

بحثاً عن مخرج لأزمة

حضارتنا

د. مصطفى حلمي
الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

بحثًا عن مخرج

لأزمة حضارتنا الإسلامية

بحثًا عن مخرج
لأزمة حضارتنا الإسلامية



الطبعة الثانية

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع
١٠٠١٠/٢٠١٤م

دار الأمل
للطبع والنشر والتوزيع

0112 0774 990 - 0100 0282 166
Daralamal2014@gmail.com

طبعة جديدة
بها تعديلات وإضافات

بحثًا عن مخرج
لأزمة حضارتنا الإسلامية

كتبه
دكتور/ مصطفى حلمي
الأستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده.

الإهداء

للباحثين عن مخرج

لأزمة حضارتنا الإسلامية

لكي تصبح حضارة المستقبل بمشيئة الله تعالى [1]

---

(١) يقول الفيلسوف الألماني «شبنجلر» بكتابه (أفول الغرب): (إن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة، هي حضارة الإسلام الذي يملك اليوم أقوى روحانية عالمية نقية).
جارودي (الإسلام دين المستقبل) ص ١٢ - ترجمة عبد المجيد بارودي - دار الإيمان (بيروت - دمشق) ١٩٨٣م.

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله أمّا بعد،،

فما أكثر الدراسات والمؤلفات والكتب التي عالجت سُنن الله تعالى في إقامة المجتمعات وسقوطها، ولكن من النادر العثور على بحوث تُعنى بإنزال هذه السنن الإلهية على واقعنا المعاصر المحفوف بالاضطرابات السياسية والاجتماعية؛ بسبب خضوع العالم الإسلامي لهيمنة الغرب العسكري والاقتصادي والسياسي والثقافي، مع اقتراح السبل لإنقاذ وتحرير الأمة من نير الاستعمار العسكري والثقافي.

وقد رأيتُ - مستعيناً بالله عَزَّوَجَلَّ - بحث (أزمتنا الحضارية) برمتها من منظور فقه التاريخ الإسلامي، واتخاذ (ثورة ٢٣ يوليو بمصر سنة ١٩٥٢م) موضوعًا للبحث والدراسة كأنموذج، وما ينطبق عليها يسري على كافة البلاد العربية والإسلامية التي خضعتْ لتجارب الانقلابات العسكرية باسم الثورات، وتلخّص دورها في انتزاع الأمة الإسلامية من تراثها، والإلقاء بها في طريق (الحداثة)[1]، وكان المشروع الإسلامي للنهضة قد تعرقل منذ إلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤ بواسطة الطاغية المرتد (كمال أتاتورك)، وحَلَّ مكانه المشروع التغريبي الذي فرضته الحكومات العسكرية بتقليدها التجربة الكمالية بحذافيرها غالبًا.

---

(١) الخطاب الحداثي هو صورة قطع كل الصلات بالماضي والاعتماد على تراكم التقدم (ولتر أرمبرست) (الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر) ص٥٣، ترجمة محمد الشرقاوي مكتبة الأسرة بمصر سنة ٢٠١٢م وقد استمرت جهود الدولة لتحويل المجتمع نحو (الحداثة) إذ يقول مؤلف الكتاب: «منذ السبعينات ووسائل الإعلام المصرية التي تسيطر عليها الدولة بشكل كبير - التليفزيون والإذاعة والصحف - استمرت في تقديم وبث روح الحداثة المتفائلة دون انقطاع كما كان الحال مع الأجيال السابقة» ص ١٨٩.

بينما تبنّى «المشروع الإسلامي» بعض علماء وقادة المسلمين كالسلطان عبد الحميد، والشيخ الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، والشيخ عبد العزيز جاويش، وحسن البنا، والشيخ محي الدين الخطيب، والشيخ محمود شاكر[١] وغيرهم..

وكانت هناك جمعيات إسلامية تتبنّى المشروع الإسلامي في برامجها الدعوية والتربوية والاجتماعية والسياسية كالإخوان المسلمين، وجمعية الشبان المسلمين وجماعة أنصار السنة المحمدية، والجمعية الشرعية، وحزب التحرير، وشباب «محمد ﷺ»، ويُلحق بها أيضًا حزب مصر الفتاة الذي اتجه في آخر عمر الأستاذ أحمد حسين اتجاهًا إسلاميًّا وأطلق على الحزب اسم «الحزب الوطني الإسلامي»[٢]، وقد أسهمت هذه الجمعيات بما ضمَّته من علماء وتربويين في تنشئة أجيال موصوله بتراثها الإسلامي لكي تُسهم في نهضة أمتها، وذلك ما قد عرفته مصر.- كما يقود الأستاذ طارق البشري - في الثلاثينيات من نموّ التيار الإسلامي، وانتعاش روح المقاومة الإسلامية كعامل سياسي، وكجامعة إسلامية[٣] أي لمحاربة الاستعمار الإنجليزي والسعي لجمع شمل الأمة وإعادة وحدتها.

وكان بوسع ضباط «حركة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢» بل المنتظرُ منهم - إن كانوا معنيين بنهضة الأمة واستعادة مجدها - استثمار ذلك التيار الإسلامي السياسي، وانتعاش روح المقاومة الإسلامية حينذاك على أيدي شباب العصر الذي تربّى في أحضان الجمعيات الدينية، وكان في مقدورهم إعادة نهضة الأمة وفق خطط مدروسة وأهداف محددة للارتفاع بالأمة إلى مجدها، ومقاومة المستعمر الذي

---

(١) يغيب عن الكثيرين أن الشيخ محمود شاكر هو صاحب فكرة (جمعية الشبان المسلمين) د/ عبد الرازق الشايجي (٢٩ نقطة مضيئة من حياة أبي فهر اللجنة الثقافية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. ص ٢٣ رجب - ديسمبر سنة ١٩٩٦م).

(٢) طارق البشري (شخصيات تاريخية) دار الهلال بمصر العدد ٥٥٢ ص ٢٩١.

(٣) نفسه ص ٢٨٨.

استولى على أراضيها وأذل سكانها، وإعادة الأمة الإسلامية برمَّتها إلى وحدتها التي حرمها منها أتاتورك، والتي حافظت عليها طوال تاريخها الطويل منذ عصر النبيِّ ﷺ، فالخلافة الراشدة، فخلافة بني أمية ثم بني العباس ثم انتهت إلى الخلافة العثمانية في العصر الحديث، التي هدمها أتاتورك اليهودي الدونمي عام ١٩٢٤م[1].

ولدينا شهادة محمد نجيب الذي خاض معهم التجربة، وعرفهم عن كثب وسرد لنا خبايا تلك الفترة من تاريخنا، فماذا قال؟

وصفهم محمد نجيب بقوله: كان البعض منهم يرتبط بمبادئ يقتنع بها.. جانبٌ منهم وقف معي ـ مع الديموقراطية ـ وجانبٌ آخر وقف مع عبد الناصر.. وبعض هؤلاء لحقته نقمة الديكتاتورية بعد أن أزيلت الغشاوة عن عينيه واكتشف الحقيقة المؤلمة، وبعد أن أصبح عاجزًا عن مقاومة طوفان الإرهاب.. والبعض منهم لم يكن مرتبطًا بأية مبادئ .. كان حريصًا على المحافظة على مصالح نَعِمَ بها واستفاد بها..

وجانب منهم قد تورَّط في أعمال قذرة جعلتهم مواجهون خطر المحاكمة إذا ذهبت اليد المساندة لهم[2] ولكن باستثناء من وقف معارضًا لدكتاتورية عبد الناصر وهم: عبد اللطيف البغدادي، وحسن إبراهيم، وكمال الدين حسين.

قال كمال الدين حسين في رسالته لعبد الحكيم عامر: «.. وأنا حين وجدت أن الإنحراف سيجرف تيار الثورة قلت: إنه لا عاصم لنا إلا الإسلام، وهذا كلام الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]».

---

(١) نسبة إلى طائفة اليهودية التي تُسمى (الدونمة) وهي تتظاهر بالإسلام بينما تحافظ على عقائد اليهود وتمارس شعائرهم وعباداتهم.

(٢) مذكرات محمد نجيب (كنت رئيسًا لمصر) ص ٢٥٩ المكتب المصري الحديث طبع نوفمبر عام ١٩٤٨م.

ويقول أيضًا: «وأنا أحتكم إلى الله وإلى الرسول ﷺ».. والواقع أن عبد الناصر يحاول بذلك دفاعًا عن نفسه حسب نظرية الهجوم أحسن وسيلة للدفاع فيتهمني أني ديكتاتور ..وجميع الناس يعلمون جيدًا من هو الديكتاتور ص ٩٩ كما واجه عبد الناصر بقوله «علينا أن نطبق ما جاء في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ عن الاشتراكية»[١].

وكان محمد نجيب هو الوحيد الذي له وعي سياسي عميق، وكان صراعه مع عبد الناصر بسبب تغليبه للديمقراطية، وقال بالحرف الواحد: «فقد كنت أخشى أن يكون حكم العسكريين هو نقطة تحول في تاريخ حكم مصر، لا تستطيع بعده أن تعود للحكم المدني، الطبيعي»[٢] .. وكان متأثرًا بمصطفى كامل وله تصور لقيام وحدة عربية على أسس متدرجة، كما اكتشف مبكرًا أن عبد الناصر متأثرًا بميكافيلي.. وعبّر من اعتقاده بأن مصر تابعه لتركيا وتخضع للإحتلال البريطاني».

وفي النهاية عندما كتب مذكراته صوّر خلاصة بنتائج الثورة وما انتهت إليه من نتائج مخيّبة للآمال وصادمةً بكل المقاييس، فاضّطر إلى التصريح بمكتون قلبه عن الضباط الذين وثق فيهم عند البداية واستجاب بترشيحهم إيّاه قائدًا للثورة، ومعرّضًا نفسه للمحاكمة والإعدام إذا فشلت.

قال: «كان للثورة أعداء، وكنا نحن أشدهم خطورة؛ كان كل ضابط من ضباط الثورة يريد أن يملك، يملك مثل الملك ويحكم مثل رئيس الحكومة..».

لذلك فهم يسمّون الوزراء بالسُّعاة .. أو الطراطير .. أو بالمحضرين!

وكان زملاؤهم من الضباط يقولون عنهم: طردنا ملكًا وجئنا بثلاثة عشر ملكًا.

---

(١) سامي جوهر (الصامتون يتكلمون) ص ٧٤، ٩٩، ٩٨ ط المكتب المصري الحديث عام ١٩٧٥م.
(٢) محمد نجيب (كنت رئيسًا لمصر) ص ١٦٥.

هذا حدث بعد أيام قليلة من الثورة.. هذا حدث منذ أكثر من ثلاثين سنة. أنا اليوم أشعر أن الثورة، تحولت بتصرفاتهم إلى عورة...

أشعر أن ما كنت انظر إليهم على أنهم أولادي، أصبحوا بعد ذلك، مثل زبانية جهنم.. ومن كنت أتصورهم ثوارًا أصبحوا أشرارًا .. فياربّ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة:٢٨٦]»[1].

وتبيَّن لنا مما تقدَّم أن عبد الناصر استأثر بالسلطة، وانفرد برأيه غير مُنصت للمخالفين حتى لو كانوا على حق؛ بل أزاح من طريقه كل من عارضه – وفي مقدمتهم محمد نجيب[2] لكي يمضي قُدمًا في تحويل مصر قسرًا من مسارها الصحيح، ودورها الذي دأبت عليه دفاعًا عن الأمة الإسلامية – وبخاصة أثناء غزو التتار والحروب الصليبية – ولم يكتف بهذا بل أنهكها في معارك مع إسرائيل بلا استعداد، ودأب على التدخل في أمور بلاد لا ناقة لنا فيها ولا جمل (اليمن والكونغو)، وفرض على شعب مصر بالقوة النظام الشيوعي فأدى إلى تقهقرها إلى الصفوف الخلفية بين بلدان العالم، فصارتْ – وياللعار – إحدى دول العالم الثالث، بعد أن كانت مُهيَّأة – بفضل ثورة شعبها قبل ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢، لكي تتبوأ دور الريادة للأمة العربية والإسلامية.

هذا وقد قام بالثورة ٩٩ ضابطًا من ضباط الجيش ليلة ٢٣ يوليو، بينما كان بالجيش المصري في ذلك الوقت حوالي خمسة آلاف ضابط.

عرض تنظيم الضباط الأحرار قيادة الثورة على الفريق عزيز المصري فاعتذر لكبر سنه وضعف صحته... وكان رد اللواء فؤاد صادق أنه سوف يقوم بعمل مثل العمل الذي قام به أحمد عرابي عام ١٨٨١، فإذا فشلت فستكون رقبته هي الثمن.

---

(١) محمد نجيب (كنت رئيسًا لمصر) ص ٢٠١ .. وفي مذكرات كمال الدين حسين، كتب يقول: «واجتمعنا لبحث عمن يكون قائد الثورة الذي نقدمه للناس ويقتنعون به.. ورشح المرحوم عبد الحكيم عامر لنا اللواء محمد نجيب وكان عامر أركان حرب له.. واتفقنا بالإجماع لأن نجيب كان يمتاز بالشجاعة التامة.. ولتراعته المطالبة .. ولجاذبيته وحب الضباط له بعد انتخابات نادي الضباط ووقوفه ضد ترشيح السراي اللواء حسين سري» - ١١ من كتاب (الصامتون يتكلمون) سامي جوهر المكتب المصري الحديث عام ١٩٧٥م.

(٢) أوجّه عناية المؤرخين إلى كتابيه: ١ – كنت رئيسًا لمصر ٢ – كلمتي للتاريخ. وهما يحتويان على [illegible] ب لها الولدان.

لذلك أراد أن يستوثق من إمكانية نجاح الثورة، وطلب الاجتماع بجميع الضباط خَليَّه من وراء خَليِّه، ولكن عبد الناصر رفض لأنه سيفقد سيطرته على التنظيم وبالتالي تنهار آماله التي يتطلع إليها.

ثم عرضت قيادة الثورة على اللواء محمد نجيب فقبلها بلا قيد ولا شرط، وكان اللواء محمد نجيب يتمتع بشعبيّة ضخمة بين ضباط الجيش، وبمجرد صدور البيان الأول للثورة باسم اللواء محمد نجيب انضم كافة ضباط الجيش للثورة..

وقد كان من الممكن أن تتحرك قوات أخرى مواليه للملك للقضاء على الثورة، ولكن زعامة وشعبية محمد نجيب حالت دون الحرب الأهلية، ومكّنت لنجاح حركة الجيش يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢[1].

يقول المستشار الدكتور علي جريشة رَحِمَهُ اللَّهُ واصفًا أعمال الانقلابات العسكرية والإسلامية وفي مقدمتها مصر: «ومن ثَمَّ سار التخطيط في خطين متوازيين: أحدهما يتناول الجانب الاجتماعي، والثاني: يتناول الجانب السياسي. وبين الاثنين ترابطٌ وتعاون..».

أما الخط السياسي، فقد استهدف تعضيد التغيير الاجتماعي المطلوب بالقوة السياسية، واستبدل بجنود الاحتلال الأجنبي، جنود الجيش الوطني يصيغون الانقلابات العسكرية، ثم يتربعون على كراسي الحكم لينفّذوا المخطط المطلوب، أو على الأقل ليقوموا على حماية تنفيذه.

وكان مُنشئ إسرائيل (بن جوريون) قد صرّح في الكنيست الإسرائيلي في أوائل الخمسينيات بأن انقلابًا عسكريًا سيحدث في إحدى الدول العربية الكبرى، وأن اليهود سوف يكونون أكثر فرحًا من أبناء الوطن نفسه... وصدق اللعين، ففي ظل ذلك الانقلاب العسكري تم تحويل مجرى نهر الأردن بعد أن استعصى على اليهود

---

(١) المصدر: حسين محمد أحمد حمودة (أحد الضباط الأحرار) صفحات من تاريخ مصر: من ٤ فبراير عام ٤٢ وحتى ٦ أكتوبر عام ١٩٨١، أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون، ص ٨٧.
- الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

دهرًا طويلًا. وفي ظل حكم الانقلاب استطاعت إسرائيل أن تضاعف مساحتها إلى سبعة أمثالها.. كذلك حققت في نهايته اعتراف أصحاب الحق بها وباغتصابها لأرض فلسطين!

وقِس على ذلك بقية انقلابات المنطقة[١].

وعندئذ يحق لنا التذكير بتلك السُّنَّة الثابتة في تاريخنا التي صاحبت حضارتنا منذ عصر النبي ﷺ، كما سجلها محمد فريد[٢]، إذْ بدأ في مقدمة كتابه (تاريخ الدولة العلمية العثمانية) بقوله: «الحمد لله الذي شاد هذا الدين على أساس مكين متين، وأقامه بالبرهان القوي المبين، وقيَّض له في كل زمان من الدولة والسلطان ما يحفظ بيضته، ويحمي عزته، ويؤيد كلمته، ثم الصلاة والسلام على خلاصة بني الدنيا إمام الأنبياء الذي دانت القبائل لطاعته، وانضمت أشتات الأفراد تحت رايته، فوحَّد بين هاتيك الجموع المتكاثرة، وألَّف بين تلك القلوب المتنافرة، فجعل بذلك للإسلام من السطوة والصولة ما لم تنله قبله ملَّة ولا دولة»[٣].

ثم استطرد في عبارة موجزة، مبينًا أن حضارتنا تأسست على دين الإسلام، وأن ما أصاب المسلمين من الوهن والضعف فبسبب «انفراط عقد بنيه.. وتشاغل كل بنفسه عن أخيه، فأغار الدهر بخَيله ورجِله على الشرق ودوله.. وقلَّبهم بين الإحن والمحن، فتناسوا ما كان لهم من فخامة الاقتدار، وجلالة الحضارة، وضخامة العمران»[٤]، ثم يأسف أشد الأسف لما انحدرت إليه أحوال المسلمين ويعلله بسبب انغماسهم في بحار الكسل والخمول، واستكانتهم إلى المذلّة والهوان صاغرين[٥]

(١) د/ علي جريشة (دعاة لا بغاة) ص ١٠٨، ١٠٩ دار البحوث العلمية - الكويت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م).

(٢) رئيس الحزب الوطني بعد وفاة الزعيم الشاب مصطفى كامل رحمهما الله.

(٣) محمد فريد (تاريخ الدولة العلمية العثمانية) ص ٦ مكتبة الآداب بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(٤) نفسه ص ٦.

(٥) نفسه بتصرف يسير. وقد نبه محمد فريد إلى أن العداء الأوروبي عداءًا دينيًا، «حيث سجل منشور السلطان عام ١٨٢٧ الذي بيّن فيه سوء مقاصد الدول عمومًا والروسيا خصوصًا نحو الدولة العلية أي الدولة الإسلامية الوحيدة، مثبتًا على أن الباعث على هذا العدوان الدين - لا السياسة - وختمه حض المسلمين على القتال دفاعًا عن الدين والملة والوطن ص ٢١٨.

وقد سرد محمد فريد التاريخ الإسلامي منذ وفاة النبي ﷺ بخلفائه وأمرائه ودوله والمعارك التي دارت بينهم، ويهمّنا في ذلك كله تعليقاته التي يعلل بها مراحل الضعف والهزائم، إذ بعد أن بلغت الدولة العباسية في التقدم والازدهار ما لم تبلغه الدول الإسلامية قبلها - وخاصة في عصر هارون الرشيد، أخذت الدولة في التقهقر شيئًا فشيئًا تبعًا لناقوس الحياة الطبيعية القاضي بالهرم بعد الشبيبة، سنّة الله في خلقه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٦٢].

كما يفسره أيضًا بسبب أن الانحلال أخذ ينخر في عظامها حتى سقطت بغداد في قبضة قبائل التتار في ٢٠ محرم عام ٦٥٦ هـ فقتلوا الخليفة المستعصم بالله آخر العباسيين بعد أن لبثت دولتهم زيادة عن خمسة قرون دعامة التمدّن الإسلامي[١].

ثم قام الأتراك بإنقاذ الأمة الإسلامية من مهاوي السقوط إلى الهاوية، إذ قيض الله تعالى «للإسلام تأسيس الدول العليّة العثمانية، فجمعت تحت رايتها أغلب البلاد الإسلامية وفتحت كثيرًا من الأقاليم التي لم يسبق تحلّيها بحلية الدين الحنيف، وأعادت للإسلام قوّته وأعلنت بين الأنام كلمته»[٢].

وامتد عمر الدولة العثمانية نحو ستة قرون (٦٨٧ - ١٣٤٣هـ - ١٢٨٨ - ١٩٢٤م)، ووصلت بفضل جهود السلطان سليمان الأول الذي أطلق عليه الغرب لقب (العظيم) إلى مكانة الذروة.

«وحالفه النصر في صراعه مع الغرب الذي استمر طوال حياته، وأدّت الانتصارات التي حققها إلى تغيير جوهري في مركز الدولة في الشئون الدولية، وفقدت الدول الأوربية كل أمل في إخراج العثمانيين من القارة»[٣].

---

(١) نفسه ص ٣٩.

(٢) نفسه.

(٣) د/ محمد سهيل طقوش (التاريخ الإسلامي الوجيز) ط ٤ ص ٣٦٩ دار النفائس - بيروت ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

إلى أن جاء عدو الإسلام الأول في العصر الحديث - أتاتورك - فهدم الخلافة عام ١٩٢٤ وحقق للغرب أمنيته الغالية، وأدى بالأمة الإسلامية إلى الضياع، ولكن دأب المخلصون من زعمائها للعمل إلى إعادة الخلافة من جديد، وكان بوسع الانقلابات العسكرية - وفي مقدمتها مصر - العمل على تحقيق هذا الهدف لوصل ما انقطع وتجديد نظام الخلافة كرباط سياسي ظل مصاحبًا لتاريخها منذ وفاة النبي ﷺ ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ومهما يكن من أمر، فإننا بإزاء تلك المصائب التي حلَّت بنا، لا نملك إلا التأسِّي بسلفنا الصالح الذين علَّمونا الاحتجاج بالقدر عند المصائب، فنعتقد يقينًا بأن الله تعالى قدَّر وما شاء فعل.

ولكن في ضوء قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦].

نقول: عسى أن تتحول تلك الأحداث المؤلمة إلى مجموعة دروس، تتعلم منها الأجيال القادمة، فتتفادى عوامل الكوارث التي حلَّت بنا، لتستأنف إحياء حضارتنا من جديد.

والله من وراء القصد،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

الاسكندرية في ١٨ ربيع الآخر عام ١٤٣٦هـ
٧ فبراير عام ٢٠١٥م

دكتور/ مصطفى حلمي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد ..

فإن هذا الكتاب يحتوي على بعض الأحاديث حول اقتراحات متواضعة عن كيفية تجديد حضارة الإسلام ، وتتضمن استعراضًا عامًا لتاريخ أمته ، ثم التعرّف على حقيقة التجارب التي فُرضت على بلادنا في العصر الحديث وتقويمها وفق سنن الله - تعالى - في النصر والهزيمة ، مع بحث مدى إمكان التغلّب على التحديات التي تقابلها أمتنا في ظل الهجمات الصهيونية الصليبية التي لم تنقطع . كذلك التعرف على ملامح الصحوة الإسلامية [1] التي كانت في نمو وازدياد قبل أن تفاجئها حركات الانقلابات العسكرية على امتداد بلاد العرب والمسلمين فأوقفتْ مسيرتها ، وشكّلَتْ في مجموعها انقطاعًا حضاريًّا لتاريخنا الإسلامي .

وقد جمعتُ في تلك الأحاديث بين الاعتماد على المصادر والمراجع وفقًا للمنهج العلمي في البحث ، وبين الإفصاح عن تجاربي الشخصية التي خرجتُ بها من معايشة واقعية للعصر الملكي في مصر ، ثم انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، وما أعقبه من أحداث أليمة لازلنا نعاني منها حتى الآن .

---

(١) يُنظر كتابنا (الصحوة الإسلامية عودة إلى الذات) ط دار الأمل بالإسكندرية .

هذا ، وقد ألقيتُ بعضَهُ لقناة فضائية إسلامية ، ثم رأيتُ طبعها في كتاب .

والله تعالى أسأله أن ينفع به المسلمين ، ويجعله ذخرًا لي بعد مماتي .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

مصطفى حلمي

الاسكندرية في ٢٨ شعبان عام ١٤٣٤هـ

٧ يوليو عام ٢٠١٣م

معالم منهج البحث في القضايا المطروحة

إن معالم منهج البحث المقترح في أحاديثنا للتعرف على كيفية تجديد حضارتنا يعتمد على ركائز تُستقرأ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وكذلك التاريخ الإسلامي في عصور التطبيق العملي ، وفي مقدمتها : عصر الرسول ﷺ ، والخلافة الراشدة .

وهذه الركائز – بإجمال – تتلخص فيما يأتي :

أولاً : تاريخنا الحضاري :

عند عرضنا لتاريخنا الحضاري فإننا سنتناول في حديثنا أمرين :

الأول : نعني بمصطلح الحضارة بشقيه المادي العلمي التكنولوجي مقترنًا بالشق الثقافي المعنوي المكوَّن من العقائد والقيم الأخلاقية الرفيعة أفرادًا وجماعات ، ففي ظل الحضارة الإسلامية (عرف العالم معنى العدل الذي لا يفرق بين عربي ولا عجمي ، والقوة التي تحوطها الرحمة لا الجبروت والطغيان ... والعلم الذي يهدف لرقيِّ الإنسان وتحضُّره ، لا إلى دماره وشقائه) [1] .

ومصداق ذلك – كما يرى الرئيس علي بيجوفيتش – أن الإسلام لا يستهدف الثقافة فحسب ؛ بل الحضارة أيضًا ، ويستدل على موقف الإسلام تجاه الحضارة من خلال اهتمامه بالقراءة والكتابة باعتبارهما أقوى محرِّك للحضارة ، « فلا غرابة أن يُعنى بهما الوحي ، فكانت أول ما نزل على محمد ﷺ من آيات القرآن : ﴿اقْرَأْ

---

(١) هشام مصطفى عبد العزيز (نهضة أمة) ص٦ ، دار الهدى بمصر ٢٠٠٨م .

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥] »[١] .

ثانيًا : يمتد تاريخ الأمة الإسلامية منذ خلق آدم ﷺ ، وهي الأخيرة في سلسلة الأمم قبلها ، وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة عن تميُّزها :

منها أن الرسول ﷺ قال : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولًا الجنة ، بيْد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق ، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه الناس لنا فيه تبع ، غدًا لليهود ، وللنصارى بعد غد »[٢] .

ومنها عن عمر بن الخطاب ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن الجنة حُرِّمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرّمت على الأمم حتى تدخلها أمتي »[٣] .

ومنها ما ورد في مسند الإمام أحمد ، وجامع الترمذي ، وسنن ابن ماجه ، ومستدرك الحاكم من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها ، وأنتم أكرمها على الله ﷻ » .

وفي شرح هذا الحديث يقول الإمام ابن كثير : « وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ ؛ فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل

---

(١) علي عزت بيجوفيتش – رئيس البوسنة والهرسك (الإسلام بين الشرق والغرب) ص ٢٨٥ ، ترجمة : محمد يوسف عدس ، مجلة النور الكويتية – مؤسسة بافاريا ، رجب ١٤١٤ هـ – يناير ١٩٩٤ م .

(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه الدارقطني في الأفراد من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

المصدر : الحافظ ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) (٢/ ٨٥) ط. دار الشعب بمصر .

على الله ، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يُعطه نبيًّا قبله ولا رسولًا من الرسل ، فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه ، كما قال الإمام أحمد »[1] .

وقد سجّل القرآن الكريم قصص الأمم قبلنا ، وكان دين الأنبياء والرسل جميعًا هو الإسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] ، وقال رسول الله ﷺ : « نحن معشر الأنبياء أولاد علّات ، ديننا واحد » يعني أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله ، كما قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨] »[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٣ ، ١٤] .

وقد فسّر ابن كثير الآيتين بقوله : « أخبر تعالى عما أحلّ بالقرون الماضية ، في تكذيبهم الرسل فيما جاءهم به من البيّنات والحجج الواضحات ، ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم ، وأرسل إليهم رسولًا لينظر طاعتهم له واتباعهم رسوله ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » مسلم (كتاب الرقاق) »[3] .

---

(١) نفسه ص ٧٨ .

(٢) نفسه (٥/ ٣٦٦) .

(٣) (تفسير ابن كثير) جـ ٤ ، ص ١٨٦ ، ط دار الشعب بالقاهرة .

ويقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي : (﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ ﴾ أي المخاطبين ﴿خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ فإن أنتم اعتبرتم واتعظتم بمن قبلكم واتبعتم آيات الله وصدقتم رسله نجوتم في الدنيا والآخرة، وإن فعلتم فعل الظالمين أحلّ بكم ما أحلّ بهم، ومن أنذر فقد أعذر) (١).

ويقول العلامة الشيخ محمد رشيد رضا : (قد كان دين الله الذي بعث به جميع رسله لجميع الأمم مصلحًا لما أفسدته الوثنية من فطرتهم بجهلهم ثم بتقليد بعضهم بعض، على أنهم كانوا إذا طال الأمد على بعثة الرسل يضلون عن هدايتهم إلى أن أتم الله الدين وأكمله للبشر...

وكان من فضل الله على عباده بعد إكمال دينه أن ضمن لهم حفظ كتابه هذا من التحريف والتبديل والنسيان والزيادة والنقصان، فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، وعصم أمة خاتم النبيين ﷺ أن تضل كلها عنه كما ضلت الأمم قبلهم، فإن كان ﷺ قد أخبر بما أطلعه الله عليه من مستقبلها أنهم سيتبعون سنن من قبلهم من اليهود والنصارى؛ فقد أخبر أيضًا بأنه لابد أن يبقى بعضهم على الحق ليكونوا حجّة الله على خلقه، فقال ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون** » رواه أحمد والبخاري عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وفي رواية لهمْ عن معاوية : « **لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون للناس** »، ورواه مسلم والترمذي وابن ماجه عن ثوبان بلفظ : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك إلى قيام الساعة** »، ورواه

(١) عبد الرحمن السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص ٢٣٨، مكتبة الصفا بالأزهر بالقاهرة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

مسلم من حديث جابر بن سمرة مرفوعًا : « لن يبرح هذا الدين قائمًا يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة » ، وروى آخرون من طرق ضعيفة يقوى بعضها بعضًا أن هذه الأمة لا تجمع على ضلالة ولله الحمد) [١] .

ويتشعب من هذا الأصل نتائج ، منها :

١ – بيَّن القرآن الكريم أسباب هلاك الأمم السابقة مع تحذير الأمة الإسلامية من الوقوع فيها حتى تضمن استمرار تقدمها الحضاري على غيرها من الأمم .

٢ – أن الأمة الإسلامية هي الأمة التي حباها الله تعالى بوراثة الأرض [٢] ، وبعد دورها القيادي الذي احتلته بجدارة نحو عشرة قرون انتهت بهدم الخلافة العثمانية على يد « أتاتورك » اليهودي – بدت الأمة الإسلامية في مستهل القرن العشرين (في حالة هزيمة شاملة ، وغياب إرادة ، وانبهار بكل ما هو غربي ، ولكنها مع نهاية القرن أضحتْ أكثر ثقة بنفسها ، وأكثر وعيًا بخصوصيتها الحضارية) [٣] .

وقد أرَّخ ابن الأثير للأمم السابقة : الفرس ، والروم ، واليونان ، وبني إسرائيل ، والعرب ، فذكر أصل كل أمة ونسبها ، وحروبها ، وعلاقاتها بعضها ببعض [٤] .

---

(١) محمد رشيد رضا (الوحي المحمدي) ط ٦ ، ص ١٨٢ ، مكتبة القاهرة ، ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠م .

(٢) د. نادية مصطفى (مشروع النهوض الحضاري ونماذجه التطبيقية) ص ٥١ ، ط منتدى النهضة والتواصل الحضاري / الخرطوم ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م .

(٣) نفسه .

(٤) د. عبد القادر أحمد طليمات (ابن الأثير الجزري المؤرخ) ص ١٠٠ – دار الكاتب العربي بمصر ، مارس ١٩٦٩م .

والغرض من ذلك أن الإسلام يحث أتباعه على السير في الأرض ؛ للاعتبار بما حصل للأمم التي انحرفت عن الاستقامة تحذيرًا من سلوك طريقها ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر : ٨٢ – ٨٥][1] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [يوسف : ١١١] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود : ١٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٧] .

يقول الشيخ عبد الودود يوسف : (إن لله قوانين ونظمًا بنى عليها حياة الناس ، وفي تاريخ الماضين أمثلة لذلك . يطلب الله إلى المؤمنين أن يرجعوا إليها ليروا من بين هذه القوانين التي لازالت سارية هلاك الذين يرفضون دين الله ، ويكذّبون رسله)[2] .

---

(١) الشيخ عبد الجليل عيسى (المصحف الميسر) ص : ع ، ١٣٩١ هـ ، دار الشروق بالقاهرة ، وينظر آية (٩) سورة الروم ، وآيات (٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥) سورة فاطر .

(٢) عبد الودود يوسف (تفسير المؤمنين) ص ٥٣ . المؤسسة العلمية بدمشق ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

وفي قوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٩] ، يستطرد المفسر قائلًا : (ولا تضعفوا إن أصابتكم هزيمة عارضة مثل هزيمة « أحد » ؛ لأن المؤمنين هم المنصورون في النتيجة ، وهذا أحد قوانين الله في خلقه) [١] .

٢ – ظهرت الحضارة الإسلامية بصورتها الكاملة على أساس من الكتاب والسنة في عصر النبي ﷺ ، ثم الخلفاء الراشدين الذين قدَّموا للأمة نموذجًا رائعًا للاقتداء به ، وقد صَدَق الدكتور « جمال حمدان » في حكمه الصائب بالقول بأن (الإسلام هو الحضارة ، والحضارة هي الإسلام ... الإسلام دين الحضارة ، دين حضاري ، دين متحضر) [٢] .

وهو بذلك يتفق في الرأي مع المؤرخ الإنجليزي الشهير « أرنولد توينبي » الذي يرد الحضارات إلى الأديان (فإن وراء كل حضارة من الحضارات القائمة اليوم ديانة ، فالعقائد الدينية هي التي تسيّر مجرى التاريخ ، وإذا كان هناك مستقبل لحضارة ما من الحضارات الخمس ، فذلك في حدود هذه الأديان ، وبسبب منها) .

والحضارات الخمس التي يعنيها توينبي ، هي : الحضارة المسيحية الغربية (أوروبا وأمريكا) – الحضارة الشرقية « الأرثوذكية» (روسيا والبلقان) الحضارة الإسلامية – الحضارة الهندية (الهندوكية والبوذية) – حضارة الشرق الأقصى أو بوذية الماهايانا .

ويرى توينبي الحضارة الإسلامية ما زالت سليمة الجوهر وإن سلبت أجزاء

---

(١) نفسه .

(٢) د . جمال حمدان (صفحات من أوراقه الخاصة تنشر لأول مرة) ص ١٤٠ ، إعداد وتقديم د . عبد الحميد صالح حمدان ، ط ١ ، ١٩٩٦م ، دار الغد العربي بالقاهرة .

من أطرافها ، فقد استطاعت أن تنتزع نفسها من الاستعمار البريطاني ، والفرنسي ، والهولندي ، ويتوقع لها أن تكون حضارة المستقبل لما تتمتع به من ميزتين : أحدهما : المساواة مقابل التفرقة العنصرية بالحضارة الغربية ، والثانية : تحريم الخمر [1].

ولكننا نتحفظ في التعميم الذي وصف به « توينبي » أديان الحضارات غير الإسلامية ، وذلك إيمانًا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وعلى هدي طريق الصحابة ﷺ نستطيع التماس طريقة تجديد حضارتنا الإسلامية لأنهم وضعوا القواعد والأسس اقتداءً بالنبي ﷺ ، وجاءت الآية القرآنية للإشادة بهم ، قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

تقول الدكتورة « نادية مصطفى » :

(إن النموذج الحضاري الإسلامي الذي تحققت فعالياته خلال قرون القوة والفتح ، والإنجاز الحضاري ، هو نموذج بدأ من الداخل ، من الإنسان واتجه للخارج مثبتًا فعالياته ، سواء في إدارة الحروب أو إدارة السلام من أجل بناء حضاري ، وفي ظل تواصل وتعارف حضاري لا ينقطع مع الآخر) [2].

وما علينا إلا اتباعهم فيما أحسنوا فيه – طبقًا للآية الكريمة – لنرتقي إلى مستواهم الحضاري ، ونتمكن أيضًا في الوقت نفسه من الحكم الصائب على محاولات تجديد حضارتنا وفق مشروعات مغايرة تمامًا لمستواهم الحضاري في العصر الحديث ، كالمشروعات العلمانية على يد مثل : « محمد علي » و « كمال

---

(١) د. أحمد صبحي (في فلسفة التاريخ) ص ٢٣٨ ، ٢٥٨ ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ط ٣ ، ١٩٩٠م.
(٢) د. نادية مصطفى (مشروع النهوض الحضاري ، ونماذجه التطبيقية) ص ١٧٠ .

أتاتورك » و « عبد الناصر » و « بورقيبة » و « بومدين » و « سوكارنو » و « أيوب خان » وغيرهم من الزعماء والقادة المعاصرين الذين يسلكوا طريقًا معاكسًا لتاريخ الحضارة الإسلامية ، فكانوا سببًا في الانحطاط والتأخر ، بل في الهزائم أمام جيوش الغرب المحتلة .

يقول المؤرخ البريطاني « توينبي » : (إن محاولة خلفاء محمد علي أن يجعلوا مصر قطعة من أوروبا قد أدت إلى الاحتلال البريطاني ، أما بالنسبة لتركيا فإن التركي يعاني قلقًا يرجع إلى أنه غيّر حياته ، وقطع صلته بماضيه ، بسبب كتابة اللغة التركية بحروف لاتينية) [1] .

ويقتضي ذلك : الحديث أيضًا - بمشيئة الله تعالى - بتوسع عن الأدوار التاريخية التي مرت بها الأمة الإسلامية في العصر الحديث ، وأسباب تعثّر المشروع الإسلامي للنهضة ، مع تخصيص الحديث باختصار عن المجتمع المصري : ثقافيًا ، ودينيًا ، واجتماعيًا ، وسياسيًا ، واقتصاديًا قبل وبعد حركة الانقلاب العسكري في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م للتعرّف على مدى إسهامها في التغيير : إيجابًا أو سلبًا بالنظر لإرهاصات الحركة الشعبية الثورية الشاملة بمصر عام ١٩٥١م ، وبالأخص تقييمها بمنهج تفسير تاريخنا الإسلامي ، وهل كان لها دور في إحياء حضارتنا أم انتكاسها ؛ وذلك لمكانة مصر كقلب العالم العربي والإسلامي ؟

٣ - رسالة الإسلام عالمية ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ﷺ ، يقول الشيخ « محمد الراوي » : (إن نصوص الإسلام وواقعه العملي يدلان دلالة قاطعة على أنه دين عالمي ، وأنه رسالة الله تعالى للعالمين ؛ لتميّزه بالخصائص الآتية :

---

(١) د. أحمد صبحي (في فلسفة التاريخ) ص ٢٥٦ .

أ – وفاؤه بحاجة الإنسانية جميعًا ، فيما يصون وحدتها ، ويَرعى إنسانيتها ، ويحمي أفرادها في العاجل والآجل .

ب – تشريعاته التي تضمن قيام الإنسانية كلها في محيط واحد ، لا تنزع معه إلى عصبية دم أو اختلاف لون ، أو فرقة جنس .

جـ – اتساقه مع حقائق الكون وخصائص الوجود ، بحيث لا يتعارض مع ما يثبت من حقائق العلم ، أو يختلف مع منطق التفكير) [(١)] .

ولكن أوضاع المسلمين المعاصرة مفجعة كما يصوِّرها الدكتور « جمال حمدان » بقوله : « المفارقة المفجعة حقًّا أن الإسلام الذي يصلح لكل زمان ومكان – أي عالميته – لم يعد له مكان بالكاد في هذا الزمان ، فخارج العالم الإسلامي الإسلام والمسلمون مطاردون ، مضطهدون ، شرقًا وغربًا ، شمالًا وجنوبًا ، في آسيا البوذية ، وأوروبا المسيحية ، وفي أفريقيا السوداء » [(٢)] .

ويرى الدكتور « جمال حمدان » أن المطلوب إعادة رسم الخريطة السياسية للعالم الإسلامي ، وهذا هو القطب الثاني من قطبي الإسلام السياسي (بالمعنى الحميد) فلا وظيفة للإسلام السياسي الفعال (الحميد) إلَّا اثنتين :

١ – تحرير فلسطين .

٢ – وحدة العالم الإسلامي السياسية ، أي الدولة الإسلامية الواحدة [(٣)] .

ويحذِّر الدكتور « جمال حمدان » بشدّة من ضياع فلسطين ؛ لأثرها الخطير على

---

(١) محمد الراوي (الدعوة الإسلامية دعوة عالمية) ص ٤٥ ، ٤٦ ، دار العربية – بيروت ، ١٣٩٠ هـ – ١٩٧١ م .

(٢) د. جمال حمدان (صفحات من أوراقه الخاصة تنشر لأول مرة) ص ١٢٨ .

(٣) نفسه ص ١٤١ .

الأمة ، بل يتوقع إذا فرّط في هذه القضية فسيصبح مصيرها كضياع الأندلس ، لذلك يحذر في صيغة شديدة اللهجة ، ولكنها صادرة عن عالم متخصص ، وله درايته العميقة بالتاريخ والجغرافيا السياسية ، فيقول :

(إن قبول العرب بضياع فلسطين نهائيًا وتثبيت إسرائيل نهائيًا ، وهو المقابل للخروج الأندلسي مع فروق ؛ سيكون اعترافًا ، بل إعلانًا مِن العرب عن إنهاء وحل العروبة والقومية العربية نهائيًا وإلى الأبد ، بمعنى أن أمة قررت حلَّ نفسها واعتبار ذاتها ليست أمة – تمامًا كما أعلن الاتحاد السوفيتي حلَّ نفسه وإنهاء وجوده كدولة) [1] .

ويتضح اهتمام الدكتور « جمال حمدان » البالغ بقضية فلسطين من كثرة المقالات والبحوث التي كتبها عنها ، ولا نشك في انفراط قلبه كما انفرطت قلوب ملايين المسلمين عند وقوع القدس أولى القبلتيْن ، وثالث الحرميْن ، ومسرى نبينا محمد ﷺ في أيدي اليهود عقب الهزيمة المفجعة في يونيو ١٩٦٧م (وقد فرح بذلك الغرب كله حين خرج الناس يرقصون في شوارع العواصم كلها ... ووقف ابن تشرشل يقول : « وافرحتاه ، لقد سقطت القدس ولن تعود إلى المسلمين أبدًا » . واجتمع اليهود والنصارى لأول مرة في التاريخ في صلاة واحدة في ألمانيا الغربية فرحًا بهزيمتنا) [2] .

وكذلك كان الدكتور « حمدان » سابقًا لعصره عندما تنبّه إلى عداء الغرب برمته للإسلام ، ونظرته له على أنه الخطر الجديد ، والعدو الجديد بعد سقوط الشيوعية والسوفييت ، فلا أحد في أوروبا يريد دولة إسلامية بالقارة ، كلهم

---

(١) نفسه ص ١٠٦ .

(٢) عبد الودود يوسف (تفسير المؤمنين) ص ٥٢ ، مصدر سابق .

يعلنونها بلا مواربة ، ويقول : (المهزلة غير الملاحظة هي أن الصراع الغربي - الشيوعي السوفيتي السابق كان يحمي العالم الإسلامي من عداء وحقد الغرب الرأسمالي المسيحي ، والآن زال الحاجز ، فانكشف الحادث !)[1] .

تمهيد

عندما نتحدث عن تجديد حضارة الإسلام ، فإننا نلجأ لاستعراض بعض المواقف التاريخية المشابهة لما نعانيه اليوم من تحديات ، فهي بمثابة معالم على الطريق ترشدنا إلى كيفية علاج الأزمات ، إذ هناك تفسير فلسفي تاريخي يقول : « إن التاريخ يعيد نفسه » ، ولكن لا يتشابه بنفس تفاصيل وفروع الأحداث ، ولكن في شكل الإطار العام ، فمثلًا : غزوات التتار على العالم الإسلامي تكاد تتشابه مع الغزو الاستعماري الغربي في العصر الحديث ؛ لضراوته وقوته وسعيه لقهر الشعوب ، وسبل المقاومة تتشابه برفع راية الجهاد ، واستنفار الأمة ، وتجديد دينها بواسطة علمائها الجهابذة .

كذلك - في مجال تجديد حضارتنا - نلجأ لاستدعاء المصطلح المسمى (بالذاكرة الحضارية) ومن وظيفتها الحفاظ على الهوية فكما أن الإنسان الفرد لا يستطيع أن يكوّن هويته الشخصية إلا عن طريق ذاكرته وحدها ، ولا يستطيع الاحتفاظ بهذه الهوية على مر الأيام والسنين إلا من هذه الطريق ، فكذلك الجماعة (أو الأمة) تقوم بإعادة إنتاج هويتها الجماعية الخاصة بها عن طريق الذاكرة الواحدة[2] .

---

(١) د. جمال حمدان (صفحات من أوراقه الخاصة ...) ص ١٢٧ .

(٢) يان أسمن (الذاكرة الحضارية ، الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى) ترجمة ومراجعة عبد الحليم عبد الغني رجب - مكتبة الأسرة بمصر ٢٠١٣م .

إن ذاكرتنا الحضارية ضرورية في هذه المرحلة حتى نحافظ على هويتنا الإسلامية فلا تذوب في بوتقة العولمة ، أو الأمركة ، لا سيما أنّ الحكم العسكري كبّلنا طوال نحو ستين عامًا ومنع باستبداده الحراك الاجتماعي نحو الرقي الذي كانت بشائره تلوح قبل حركة ٢٣ يوليو ٥٢ [1] فتسبب عصره في ردّة حضارية ، وذلك بمقياس قيم الحضارة الإسلامية وتاريخها ، وقد أحدثت ثورة يناير ٢٠١١م - كما هي طبيعة الثورات - رجّات اجتماعية ، وطفحت على السطح الاتجاهات المتباينة بيْن الإسلامية ، والعلمانية ، والليبرالية ، والناصرية ... وعندما لجأنا إلى الأسلوب الديمقراطي في الاختيار ، رجّح الشعب المصري بمحض إرادته الحرة الاتجاه الإسلامي طريقًا للنهضة ، فعبّر عن رغبته في استبعاد الاتجاهات الأخرى التي أخذت حظها الوفير في التطبيق ، كما حمّل في الوقت نفسه الإسلاميين - بكافة جماعاتهم - المسئولية الكبرى في اجتياز تلك المرحلة الصعبة التي تشبه الولادة العسرة ! [2] .

وهو تشبيه لا يحمل أية مبالغة ؛ لأن العلمانية منذ « كمال أتاتورك » اليهودي

= ويقول المؤلف نقلًا عن أحد العلماء : « الديكتاتورية تحطم اللغة والذاكرة والتاريخ » ... وعلى النقيض من هذا ، فإن الذاكرة تعتبر سلاحًا ضد القهر والقمع ...

وفي العالم الذي نعيشه اليوم ، والذي تتحكم فيه الشمولية (العولمة) يجب أن نظهر القدرة المحررة للذاكرة الحضارية نفسها » ص ١٤٨ ، ١٤٩ بتصرف يسير .

(١) وأستبرهن على ذلك تفصيلًا في أحاديثنا المقبلة - بمشيئة الله تعالى - .

(٢) ويرى الأستاذ « محمد يوسف عدس » أن صراع القوى المعادية للتيار الإسلامي أدركوا أن الممارسة الديمقراطية الصحيحة يمكن أن تأتي بالإسلاميين لحكم مصر ، فانقلبوا على الديمقراطية وشرعوا في شن حرب شرسة على الإسلاميين ، وعلى الشريعة ، وعلى الرموز الإسلامية ، والتاريخ الإسلامي ! إنهم في حالة استنفار عام كأنهم يخوضون معركة حياة أو موت .

مجلة المختار الإسلامي - ص ٨٠ - ١٠ رمضان ١٤٣٤هـ - ١٩ يوليو ٢٠١٣م .

عام ١٩٢٤م أخذت تعادي المشروع الإسلامي وتضيِّق عليه الخناق ، وحرص قادة الانقلابات العسكرية في البلاد العربية والإسلامية على تقليد هادم الخلافة الإسلامية : « أتاتورك » ، كما فعل مجلس قيادة ثورة يوليو ٥٢ في مصر ، إذ ورد على لسان « السادات » قوله : (وكان من الطبيعي لشباب مثلنا قد تجاوزوا الثلاثين بقليل ، ومعجبين بكمال أتاتورك ... أن نختارها دكتاتورية) [1] وفُرض علينا المشروع العلماني قسرًا .

إن تصور المستقبل - بمشيئة الله تعالى - يعتمد على كيفية التعامل مع التحديات ، وهي كثيرة ، وهي تتغير بتغير الأعوام والمراحل ، وإذا كنّا نقدِّم بعض المقترحات فإننا لا نزعم أنها الوحيدة ، ولكنها مجرد إسهامات نرى أنها ملائمة لاجتياز المرحلة الصعبة التي نمر بها الآن .

مع العلم بأن أحوالنا تقتضي تكاتف الجهود ، وتبادل الخبرات ، والعناية بتربية النشء والشباب ، والسعي نحو الوحدة الإسلامية تدريجيًا - اقتصاديًا وسياسيًا - ، والعمل على ملاحقة العصر في التقدم العلمي التكنولوجي .

ولا يخفى على أحد أن العالم الإسلامي يتطلع إلى الزعماء والقادة المخلصين لتحويله من حالة القوة - بلغة أرسطو - إلى الفعل ليثبتوا مكانته بين الدول الكبرى ، وما ذلك على الله بعزيز إذا خلصت النوايا ، ونفذ الزعماء سنن الله تعالى في النصر والتمكين في الأرض ؛ وتاريخنا شاهد على ذلك ، فإن دولة الإسلام اصطبغت بصبغة الدولة العالمية حتى عهد قريب ، وما غابت شمسها إلا عقب إسقاط الخلافة العثمانية ١٩٢٤م .

---

(١) أنيس منصور (من أوراق السادات)ص(٤١٤) ط دار المعارف بمصر ٢٠١٠م .

والعالم الإسلامي بالنسبة للعالم بمكان القلب من الجسد مع اتصال أراضيه وامتدادها على مساحات شاسعة، تتباين فيها ظروف التضاريس والمناخ؛ مما كان له أثره في تعدد المزروعات وتباين الثروات، كما أنه يطل على بحار ومحيطات، ويتحكم في قنوات ومضايق عالمية لها أهميتها ومكانتها المتميزة [(١)].

وقد بشّر الرسول ﷺ الأمة الإسلامية باستمرارية القيام على أمر الله ﷻ، ففي الحديث قال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ﷻ» [(٢)].

وقال ﷺ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» [(٣)].

بعض معالم المشروع الإسلامي للنهضة المرجوّة في ظل واقعنا الحالي:

إنه مشروع تجديد الحضارة الإسلامية والارتفاع بأمة الإسلام إلى مكانتها التي وضعها الله تعالى كخير أمة أخرجت للناس ... وكما وصفها رسول الله ﷺ بقوله: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا، وَأَنْتُمْ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ ﷻ» [(٤)].

---

(١) أحمد محمود حماية (العالم الإسلامي، جغرافيته وثرواته وإمكانياته الاقتصادية) صـ ١٦ مؤسسة النقس المطمئنة ٢٠٠١م.

(٢) الشيخ الألباني (صحيح الجامع الصغير وزيادته) جـ ٢ صـ ١١٢٤، المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

(٣) نفسه صـ ١٢٢٠.

(٤) مسند الإمام أحمد، وجامع الترمذي، وسنن ابن ماجه، ومستدرك الحاكم، وحسّنه الشيخ الألباني في كتابه (صحيح الجامع الصغير وزيادته).

ونقترح لتنفيذ المشروع الإسلامي مبدئيًا اتباع الخطوات الآتية :

أولاً : التحرر من النفوذ اليهودي الصليبي الذي نصّب أتباعه قادة وزعماء لخدمة مصالحه وأغراضه من خلال جمعيات الروتاري ، والماسونية ، ورجال المخابرات الأجنبية ، والإرساليات التنصيرية التي سموها خداعًا بالتبشيرية .

إن الهجمات المضادة للمشروع الإسلامي الذي نعاني منها الآن ليست أمرًا جديدًا في تاريخ أمة الإسلام ؛ إذ عانت ما هو أمّر منه وأفدح أثناء الحروب الصليبية التي استغرقت مائتين من السنين « لكن هذا المدى الطويل للعدوان لم يدفع رجال المقاومة المجاهدين إلى اليأس والتشاؤم وإلقاء السلاح ، بل ظلوا يقارعونه بالنَّفَس القوي ذاته ، وتسلّم الأجيال منهم الراية للأجيال ، حتى أذن الله ﷻ بزوال العدوان ، وجلاء آخر غازٍ صليبي عن أرض الإسلام »[1] .

ثانيًا : السعي الحثيث نحو إعادة النظام الإسلامي في صورته الشاملة ، أي في مجالات الثقافة ، والتشريع ، والاقتصاد ، والسياسة ، والاجتماع ، والأسرة والتربية ، إذ حُرمت منه منذ إلغاء الخلافة العثمانية على يد الطاغية اليهودي « أتاتورك » ١٩٢٤م ، وقلّدته حركات الانقلابات العسكرية في البلاد العربية والإسلامية ، وسُميت زورًا بالثورات !

وإذا شئنا اقتراح بعض التفاصيل بهذه المجالات :

فإن الأولويّة في تجديد بناء الأمة ، يقتضي إعادة الثقافة الإسلامية إلى صبغتها الأصلية بوصفها (ثقافة متكاملة) ظلتْ منذ عهد علماء صحابة رسول الله ﷺ

---

(١) د. عماد الدين خليل (هجمات مضادة في تاريخ الإسلام) ص (٣٣) مكتبة النور بالقاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

ومن بعدهم التابعين والفقهاء ، وآلاف مؤلفة لا تحصى ، حتى اكتملت اكتمالًا مذهلًا ...)[1] ، وقد عالج هذه القضية البالغة الأهمية الشيخ « محمود شاكر » - رحمه الله تعالى - بكتابه الفريد : « رسالة في الطريق إلى ثقافتنا » ، وقد أوضح فيه بأبلغ بيان وأقوى أدلة أن الذي تميزت به الأمة العربية المسلمة بثقافتنا المتكاملة أمر لم (يكن قط عن أمة سابقة من الأمم ، حتى اليونان - وأكاد أقول لك غير متردد أيضًا إنهم بلغوا في ذلك مبلغًا لم تدرك ذروته الثقافة الأوروبية الحاضرة اليوم ، وهي في قمة مجدها وازدهارها وسطوتها على العلم والمعرفة)[2] .

(إلى أن حدث التصدع في ثقافة دار الإسلام منذ عصر « محمد علي » ، وانشطر تعليم الأمة شطرين منذ أنشئت المدارس الجديدة ، وأخذت الهوة بين الأزهر والمدارس تتسع ، وأصبحت المناهج تتباين تباينًا شديدًا)[3] .

ويجب وضع هذه القضية بين يدي رجال التربية والتعليم ، وأساتذة الجامعات ، وعلماء المناهج ؛ لإعادة الثقافة الإسلامية إلى وحدتها التي ميزتها على سائر الأمم .

وفيما يتصل بالنظام السياسي نرى ضرورة إحياء مبدأ الشورى وتفعيل سلطة العلماء من أهل الحل والعقد ، بطريقة تكفل قيامهم بمنع الاستبداد السياسي بكافة طرقه ، مع أداء الدور الفعّال في علاج أوجه الفساد في المجتمع وفق أصل (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

كذلك لا تقل العملية التربوية شأنًا ، بل ينبغي إعطاؤها صفة الأولوية ، وتقتضي التربية متابعة النشء منذ مراحل الطفولة ، والصبا والشباب ، ووضع

---

(١) ، (٢) ، (٣) محمود محمد شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) صـ ٢٤ - ٢٥ - ١٤٧ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م .

المناهج العلمية التي تكفل استكمال بالتربية بكافة جوانبها : الدينية ، والعلمية ، والأخلاقية ، والبدنية ، والذهنية ، والمهنية ، والسياسية ، ويُشترط أن تجتمع في إطار ابتغاء مرضاة الله ﷻ في كافة الأنشطة والأعمال ، وفي ذروتها : إحياء عقيدة الجهاد الكفيلة – بعون الله ﷻ – بالنصر في الحرب الصهيونية الصليبية المفروضة على الأمة الإسلامية المستمرة للآن [١] .

وبعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م بمصر ، اتضح أن العلمانية كان لها بالغ الأثر في عقول شبابنا مما يحتاج إضافة تربوية سياسية لسد الثغرة التي أحدثتها العلمانية .

التربية السياسية : وأعني بها أولًا : التزود من العلوم السياسية ونظم الحكم قديمًا وحديثًا ، ثم التبحر في نظام الخلافة الإسلامية ومعرفة تاريخها ، والإحاطة بمراحلها كلها منذ الخلافة الراشدة ، ثم ما حدث بعدها من انتكاسات وتصرفات من بعض الخلفاء والأمراء أضرّت بالمسلمين .

ويُضاف إليها دراسة الانتصارات في الحروب الصليبية وغزوات التتار ، وكيف استطاع « صلاح الدين » إنقاذ الأمة من الهلاك ، وقد وضع لنا أسس المنهج الصحيح للنصر على الأعداء من بعده .

ثم معرفة التاريخ الصحيح للخلافة العثمانية بما لها وما عليها ، وما نجم بعد إسقاطها بواسطة « أتاتورك » من كوارث أصابت الأمة المسلمة ، ولا تزال تعاني من آثارها حتى الآن ، والنظر في كيفية إعادتها لجمع شمل الأمة من جديد كهدف

---

(١) هذه العقيدة القتالية هي التي أدت إلى انتصار الشعب الأفغاني على الروس ، وقد قال المجاهدون حينذاك : (حربنا مع السوفييت سوف تستمر مشتعلة ولو بمئة عام ، وسوف يخوضها الآباء ويرثها عنهم الأبناء ، حتى آخر رجل) . محمد الغزالي (نظرة على واقعنا الإسلامي) ط. دار ثابت ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
وقد لاحت أيضًا ملامح نصرهم بإذن الله تعالى على الولايات المتحدة الأمريكية في جهادهم الحالي .

ضروري لتجديد حضارتها ، بالإضافة إلى الإحاطة بمؤلفات علماء الإسلام السياسية ، والتعرف على آرائهم في مسألة الخروج على أئمة الجور وشروطه .

وأشير هنا إلى مؤلفات وبحوث الدكتور « حامد ربيع » - رحمه الله تعالى - وتلاميذه بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، بجامعة القاهرة .

وبالله التوفيق »



معالم المشروع النهضوي الإسلامي

نستكمل حديثنا عن المشروع النهضوي الإسلامي الذي تشكلت معالمه منذ القرن الماضي ، حيث قام على دعائم راسخة ، أولها ، الجامعة الإسلامية التي حظيت بدراسات وافية بواسطة نوابغ العلماء : أمثال الشيخ رشيد رضا ، والدكتور السنهوري كما سيأتي تفصيلًا .

وكان الأول معنيًّا في (تفسير المنار) باستحضار الآيات القرآنية الحاضّة على الوحدة والناهية عن التفرّق والاختلاف ، وناقدًا في الوقت نفسه الكثير من متفرنجة المسلمين الداعين إلى الجنسيات الوطنية مشبهًا إيّاها بالعصبية الجاهلية .

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] قال الإمام رشيد رضا : « حبل الله هو القرآن » ، كما ورد في الحديث الصحيح عن ابن مسعود وروى ابن أبي شيبة وابن جرير عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا : « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض » ... وقيل : « هو الطاعة والجماعة » ، وروي عن ابن مسعود ، وقيل : إنه الإسلام ، وروي عن ابن عباس .

وقالوا : « إن العبارة استعارة تمثيلية ، شبهت فيها حالة المسلمين في اهتدائهم بكتاب الله أو في اجتماعهم وتعاضدهم وتكاتفهم بحالة استمساك المتدلي من مكان عالٍ بحبل متين يأمن معه السقوط » .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] : « فحبل الله هو صراطه وسبيله .. فكأنه

قال : ولا تتفرقوا باتباع السبل غير سبيل الله الذي هو كتابه ، فمن تلك السبل المفرقة : إحداث المذاهب والشيع في الدين كما قال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ، ومنها عصبية الجنسية الجاهلية ... وورد في النهي أحاديث كثيرة صحاح وحسان ، كقوله ﷺ : « أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه » [رواه البخاري] » .

وانتقل الشيخ رشيد رضا بعد ذلك للمقارنة بين أحوال العرب في الجاهلية وأحوال أهل أوروبا ، ناقدًا لمقلّديها من المسلمين ، وحاضًّا على الاتحاد ونبذ الفرقة ... قال : « وقد اعتصم في هذا العصر أهل أوروبا بالعصبية الجنسية كما كانت العرب في الجاهلية ، فسرى سم ذلك إلى كثير من متفرنجة المسلمين ، فحاول بعضهم أن يجعلوا في المسلمين جنسيات وطنية ... ويوجد في مصر من يدعو إلى هذه العصبية الجاهلية ، مخادعين الناس بأنهم بذلك ينهضون بالوطن ويعلون شأنه ، وليس الأمر كذلك ؛ فإن حياة الوطن وارتقاءه باتحاد كل المقيمين فيه على إحيائه ، لا في تفرقهم ووقوع العداوة والبغضاء بينهم ، لا سيما المتحدين منهم في اللغة والدين أو أحدها ، فإن هذا من مقدمات الخراب والدمار لا من وسائل التقدم والعمران ، فالإسلام يأمر باتحاد واتفاق كل قدم تضمهم أرض وتحكيمهم الشريعة على الخير والمصلحة فيها وإن اختلفت أديانهم وأجناسهم »[1] .

ويفسر المؤرخ اليساري الدكتور عبد العظيم رمضان بأن الأيديولوجية – أي النظرية – السائدة حينذاك هي أيديولوجية (الجامعة الإسلامية) ، (ففي ذلك العصر لم تكن فكرة « القومية المصرية » أو فكرة « القومية العربية » واضحة في

(١) تفسير المنار جـ ٤ ، ص ٢١ ط مكتبة القاهرة بميدان الأزهر ، بدون تاريخ .

أذهان الناس ، بل كانت فكرة « الجامعة الإسلامية » التي ترى في الإسلام رابطة أقوى من أية رابطة قومية أخرى ، وترى ضرورة تماسك شعوب الإمبراطورية العثمانية للدفاع ضد الخطر الاستعماري القادم من أوروبا) [١] .

تعريف الجامعة الإسلامية باعتبارها الدعامة الأولى للمشروع النهضوي الإسلامي :

إن تعريفها بمعناها الشامل ومفهومها العام إنما هو : الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في العالم .

وهي قديمة بأصلها ومنشئها منذ عهد صاحب الرسالة ﷺ ، أي منذ شرع الرسول ﷺ يجاهد فالتف من حوله المهاجرون والأنصار متعصبين معه بعاصبة الإسلام لقتال المشركين [٢] .

وتتضمن فكرة الجامعة الإسلامية أيضًا معنًى آخر ، وهو أن الإسلام بذاته صالح كل الصلاحية لكي يستمد منه كل ما هو لازم للتجديد والنهضة ، وينبغي أن يقتصر أمر الأخذ عن الغرب على محاكاته في انتهاج مناهجه العملية ، والاستعانة بوسائله المادية فحسب ، ومعاوضة المنادين باقتباس الأفكار والقيم من الغرب ومحاكاته في مرافق الحياة كلها : خيرها وشرّها [٣] ؛ وذلك بغرض احتفاظ الأمة بأصالتها وهويتها الخاصة كخير أمة أخرجت للناس .. وكان الشعار التي رفعه السلطان عبد الحميد لتقوية فكرة الجامعة الإسلامية (يا مسلمي

---

(١) د. عبد العظيم رمضان (مصطفى كامل في محكمة التاريخ) ص ٨٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م .

(٢) لوثروب ستودارد الأمريكي (حاضر العالم الإسلامي) جـ١ ، ص ٢٨٨ ، ترجمة عجاج نويهض وفيه فصول وتعليقات للأمير شكيب أرسلان ، دار الفكر ط ٣ ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

(٣) نفسه .

العالم اتحدوا) [1] لأنها تصبح مصدرًا لقوة الأمم الإسلامية ، لذلك فقد هاجمها كرومر المندوب الإنجليزي بمصر هجومًا عنيفًا (وهو أول من وضع الأساس لتحويل حركة اليقظة من طريقها الطبيعي الأصيل المستمد من مفهوم القرآن إلى طريق التغريب ، فقد دعا – وعمل فعلًا خلال ربع قرن أقامه حاكمًا شرعيًا في مصر – إلى خلق طبقة من المتفرنجين المستغربين من الوجهة الأوروبية والمدنية الحديثة ، وقال إن هؤلاء جديرون بكل تنشيط ومعاونة يمكن أن تعطى لهم ، وقال إن هؤلاء خلفاء الأوروبي المصلح ومساعدوه) [2] .. وراح كرومر ينصح لدول أوروبا أن تتجمع للقضاء على فكرة الجامعة الإسلامية ؛ لأنها تعني اتحاد المسلمين في العالم أجمع لمقاومة الدول المسيحية [3] .

ولكن الشيخ رشيد رضا وقف له بالمرصاد ، ومن رأيه أن نهضة المسلمين تتوقف على إقامة الخلافة الإسلامية ، مع الاجتهاد في الشرع حتى تساير تطورات الحياة وما يجدّ فيها ، ويرى أيضًا أن من إصلاح الإسلام الديني والاجتماعي توحيد اللغة .

وكان الشيخ واعيًا لسبب خصومة بريطانيا للخلافة الإسلامية ؛ لأنها تخشى أن تتجدد بها حياة الإسلام ، وتتحقق فكرة الجامعة الإسلامية ، فيحول ذلك دون استعبادها للشرق كله [4] .

وفي مجلة (المنار) توسع في الشرح والإضافة فقال : (وقد كان لنا جامعتان سعد سلفنا بالاعتصام بهما وشقي خلفنا بالتفرق والاختلاف فيهما : جامعة علمية

---

(١) د. محمد محمد حسين (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) جـ ١ ، ص ٣ ، مكتبة الآداب بالجماميز ط ٢ ، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣م .

(٢) أنور الجندي (اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار) ص ١٤٠ ، دار الاعتصام بمصر ، بدون تاريخ .

(٣) نفسه ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٤) نفسه ص ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ .

روحية وهي كتاب الله وما بيّنه من سنّة خاتم النبيين ﷺ ، وجامعة سياسية عملية وهي الإمامة العظمى وما بينتها من سيرة خلفائه الراشدين وهدي السلف الصالحين ، وهذه متممة للأولى ومنفذة لها ، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

تفرقنا في القرآن بالتأويل ... وتفرقنا في الإمامة بالعصيان ، حضارة الأمة أممًا والدولة دولًا ، ثم أعرضنا عن كل من الجامعتين كليتهما) [1] .

ولم يقع الشيخ رشيد رضا في شباك فتنة الحضارة الغربية لأن كان يملك ذخيرة هائلة من التراث الإسلامي مكّنته من المقارنة ، فقال باستعلاء العالم المؤمن : (نتحدّاهم – وهو يقصد الفلاسفة والمؤرخين من جميع الأمم لا سيما أحرار الإفرنج – بأن يأتوا بالإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي) مؤكدًا تقديم أسمى حضارة على أساس قرآني [2] .

ولم يعاصر الشيخ رشيد رضا عملية غرس إسرائيل في قلب العالم العربي والإسلامي ١٩٤٨م ، وإلّا لكانت دعوته للجامعة الإسلامية أقوى وأشد ؛ إذ إن بلادنا الإسلامية أصبحت معرضة للتقسيم والتفتيت ، ولا يصد هذا المخطط إلا التشبث بفكرة الجامعة الإسلامية والعمل الجاد على قيام (عصبة أمم إسلامية) تدريجيًّا كما طالب الدكتور السنهوري ، وإلّا فالضياع في معركة البقاء !

ونحن نحذّر من الخطر القادم إذا ما مضت إسرائيل في تنفيذ خططها الإستراتيجية التي وردت بمجلة كيفونيم (اتجاهات) في عددها رقم ١٤ فبراير

---

(١) نفسه ص ١٥١ .

(٢) محمد رشيد رضا (الوحي المحمدي) ص ١٦٥ المطبعة السلفية بالقاهرة .

عام ١٩٨٢ .. قالت : (لقد غدت مصر – باعتبارها كيانًا مركزيًا – مجرد جثة هامدة ، لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار المواجهات التي تزداد حدّة بين المسلمين والمسيحيين ، وينبغي أن يكون تقسيم مصر إلى دويلات منفصلة جغرافيًا هو هدفنا الأساسي على الجبهة الغربية خلال التسعينيات .

وبمجرد أن تتفكك أوصال مصر وتتلاشى سلطتها المركزية ، فسوف تتفكك بالمثل بلدان أخرى مثل ليبيا والسودان وغيرها من البلدان الأبعد ، ومن ثم تشكيل دولة قبطية في صعيد مصر ... وتعد تجزئة لبنان إلى خمس دويلات ... بمثابة نموذج لما سيحدث في العالم العربي بأسره ، وينبغي أن يكون تقسيم كل من العراق وسوريا إلى مناطق منفصلة على أساس عرقي أو ديني أحد الأهداف الأساسية لإسرائيل على المدى البعيد ، والخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف في تحطيم القدرة العسكرية لهذين البلدين) [1] .

وقد أفاض الدكتور السنهوري في شرح قضية الجامعة الإسلامية في رسالته للدكتوراه بعنوان : (فقه الخلافة لتصبح عصبة أمم شرقية) [2] ... وقدّم تصورًا مستقبليًا لإعادة الخلافة الإسلامية في صورة تحقق المقاصد الإسلامية من إقامتها ، وتراعي – في ذات الوقت – الواقع الإسلامي الجديد) [3] .

ويقول : (لقد كنت أحلم صغيرًا بالجامعة الإسلامية وكنت أتعشقها ، ولم تكن أمامي إلا رمزًا لحقيقة مبهمة خالية من كل تحديد ووضوح ، أما الآن فأراها في

---

(١) روجيه جارودي (حفّارة القبور .. الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها) ص ٤١ ، ٤٢ ، دار الشروق بمصر ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م .
وما يحدث في أيامنا هذه بالعراق وسوريا تنبيه للغافلين !

(٢) د. محمد عمارة (إسلاميات السنهوري باشا) ص ٩٦ ، دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦م .

(٣) نفسه ص ٣٠١ .

صورة أخرى أقل إبهامًا وأكثر تحديدًا ... وأتمنى أن تكون جمعية أمم شرقية إلى جانب جمعية الأمم الغربية) [١] .

ويرى الدكتور محمد عمارة أن (الشرق الإسلامي) كان عند السنهوري (هيئة أمم شرقية) تجمعها رابطة الإسلام .. فهي نهضة دينية .. وجامعة أمم .. ورابطة لا مركزية ، مع عقد محالفات بين الأمم الشرقية من شأنها أن تقوي الروابط العلمية والاقتصادية والسياسية ، وتكوّن عند الضرورة معاهدات دفاعية ضد المعتدي [٢] .

ومن دراسة الدكتور محمد عمارة الشاملة لآراء السنهوري اتضح له أن الوحدة الجامعة لأمم الشرق في رأي السنهوري لا تبدأ بالروابط السياسية مباشرة؛ بل تتدرج بالخطوات التالية :

١ – نهضة تتناول الشريعة الإسلامية وجعلها مطابقة لروح العصر .

٢ – نهضة تتناول اللغة العربية .

٣ – نهضة اقتصادية ، وتتناول ربط البلاد المستقلة بمعاهدات تجارية واقتصادية واتحاد جمركي أو ما يشبهه .

٤ – نهضة لإحياء العلوم والمعارف الشرقية ، وبخاصة الإسلامية [٣] .

---

(١) نفسه ص ٩٦ .
ويبدو أن تعلقه بالجامعة الإسلامية يرجع إلى تأثره بالزعيم الشاب مصطفى كامل إذ يقول : (إن الجيل الذي أنا منه تتلمذ في الوطنية لمصطفى كامل قبل أن يتتلمذ لزغلول) ص ٩٥ .

(٢) نفسه ص ٩٧ .

(٣) نفسه ص ١٠٢ .

ولا يسعنا بعد هذه الإفاضة إلا تعليق موجز تقول فيه :

مع إجماع العلماء على مزايا وحدة الأمة الإسلامية وضرورتها السياسية ، يقف الباحث متسائلًا في حيرة ودهشة أمام إصرار عبد الناصر على تفضيل القومية العربية على الجامعة الإسلامية ، والإشادة بها ، واتخاذها شعارًا لسياسته في تعبئة شعور الجماهير ، حيث أخذ يكررها في معظم خطبه ومؤتمراته الصحفية ، وكأنها هي معبر البلاد إلى النصر والنهضة .

ويكون التساؤل في موضعه تمامًا إذا رجعنا إلى رأيه في كتاب (فلسفة الثورة) حيث قال بالحرف الواحد معبرًا عن القوة الهائلة التي تنجم عن التعاون مع الشعوب الإسلامية .. قال : (وحين أسرح بخيالي إلى ثمانين مليونًا من المسلمين في إندونيسيا ، وخمسين مليونًا في الصين ، وبضعة ملايين في الملايو وسيجام وبورما ، وما يقرب من مائة مليون في الباكستان ، وأكثر من مائة مليون في منطقة الشرق الأوسط ، وأربعين مليونًا داخل الاتحاد السوفيتي ، وملايين غيرهم في أرجاء الأرض المتباعدة - حين أسرح بخيالي إلى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة ؛ أخرج بإحساس بالإمكانيات الهائلة التي يمكن أن يحققها التعاون بين هؤلاء المسلمين جميعًا ، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية بالطبع ، ولكنه يكفل لهم ولإخوانهم في العقيدة قوة غير محدودة)[1] .

---

(١) نقلًا عن كتاب (قضية فلسطين قضية عالمية) لمؤلفه محمد متولي العتري ص ١٥٦ - الكتاب رقم ١٠٤ من سلسة دارسات في الإسلام ، يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ذو القعدة ١٣٨٩ هـ - يناير ١٩٧٠م .

الدعامة الثانية للمشروع النهضوي الإسلامي : الشريعة الإسلامية :

لما كانت أساس الحضارة الإسلامية هي الشريعة الإسلامية – في رأي الدكتور السنهوري – فلابد أن تصبح إحدى دعامات مشروع النهضة بعد أن أقصيت جانبًا على يد أتاتورك ومن قلّده من قادة الانقلابات العسكرية في بلادنا الإسلامية بعد أن كانت هي الحاكمة لمدى قرون طويلة ، ويصفها السنهوري بأنها : (شريعة من أقوى الشرائع نظامًا وأصلبها عودًا ... وقد وسعت في الماضي إمبراطورية من أكبر وأضخم الإمبراطوريات التي يعرفها العالم ، والشريعة الإسلامية بشهادة فقهاء الغرب أنفسهم من أكبر الشرائع العالمية) [١] ، وأن السبل ممهدة لتطبيقها وإحيائها على أيدي الفقهاء وعلماء القانون ، كما فعل الدكتور السنهوري من قبل .

يقول الدكتور محمد عمارة : (لم تقف جهود الدكتور السنهوري في النهوض بالفقه الإسلامي وتقنين الشريعة الإسلامية عند البرهنة على صلاحيتها وجدارتها وامتيازها كمنظومة قانونية متميزة ووافية بأن تحكم حاضر ومستقبل المجتمعات الإسلامية كما حكمت تاريخها ؛ وإنما نهض الرجل بمهمة وضع المنهاج بهذا الإحياء .. بل قام بتطبيق هذا المنهاج فيما أنجز بالعراق وسوريا .. خاصة من قانون مدني مرجعيته الشريعة الإسلامية) [٢] .

ويرى الدكتور محمد عبد الله العربي إننا إذا نفّذنا شريعتنا بمبادئها الكلية الأصلية واهتدينا في تفصيلها بموازين الاستنباط الفقهي ، مع المضي على نهج أسلافنا في اجتهاد الرأي (يومئذ يظفر العالم الإسلامي بكيان تشريعي متآلف في

---

(١) نفسه جـ ١ ، ص ٤٦١ .

(٢) نفسه جـ ٢ ، ص ٧٥٩ .

أصوله ، متناسق في أهدافه ، يكون منارًا للعالم المعاصر الذي يتخبط .. بين مذاهب مصطنعة لا تستند إلى أصول ثابتة من وحي إلهي ، فعجزت كل العجز عن التأثير في وجدان الفرد ، كما عجزت كل العجز عن التمييز بين الخير والشر ، وبين العدل والظلم ، وبين الإصلاح والإفساد ، فحق عليها غضب الله ، ولا تزال تكتوي بناره حتى تفيء إلى هدى الله) [1] .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه بتطبيق الشريعة الإسلامية في بلادنا فإن الفائدة لا تنحصر فحسب في إنقاذ العالم الإسلامي من الهاوية التي انحدر إليها ؛ بل إن نفعه سوف ينعكس على البشرية كلها ، وبذلك (نكون قد أدّينا بعض الأمانة التي حمّلها الله تعالى لهذه الأمة الإسلامية عندما فرض عليها تبليغ خاتم رسالاته إلى البشرية كافة ، وجعلنا شهداء على الناس ، والرسول ﷺ شهيدًا علينا) [2] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٨] .

وكان الشيخ محمد رشيد رضا من علماء الأمة المجدِّدين ، وعلى اقتناع تام بأن شريعة الإسلام كفيلة بحل مشكلات عصرنا كما أدّت ذلك الدور في العصور السالفة ..

---

(١) د. محمد عبد الله العربي (النظم الإسلامية .. الاقتصادية - الحكومية - الدولية) جـ ٢ ، ص ١٣٧ ، مؤسسة سجل للعرب بالقاهرة بدون تاريخ .
(٢) نفسه ص ١٢٨ .

يقول الشيخ أيضًا في كتابه (يسر الإسلام وأصول التشريع العام) :

(إن الله تعالى جعل الإسلام صراطه المستقيم لتكميل البشر في أمورهم الروحية والجسدية ؛ ليكون وسيلة للسعادة الدنيوية والأخروية ، ولما كانت الأمور الروحية التي تنال بها سعادة الآخرة من العقائد والعبادات لا تختلف باختلاف الزمان والمكان أتمها الله تعالى وأكملها أصولًا وفروعًا ، وقد أحاطت بها النصوص ، فليس للبشر بعد الرسول ﷺ أن يزيد فيها ولا أن ينقص منها شيئًا .

وأما الأمور الدنيوية فلما كانت تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة بيّن الإسلام أهم أصولها وما مست الحاجة في عصر التنزيل من فروعها ، وكان من إعجاز هذا الدين وكماله أن ما جاءت به النصوص من ذلك يتفق مع مصالح البشر في كل زمان ومكان ، ويهدي أولي الأمر إلى أقوم طريق لإقامة الميزان بما تقدم ذكره من الشورى والاجتهاد) [1] .

ومن مقتضيات تطبيق الشريعة الإسلامية : الاقتداء برسول الله ﷺ ، فهو وحده الأسوة الحسنة في كل العصور :

إن مما لا شك فيه أن تطبيق الشريعة الإسلامية يستلزم الاقتداء برسول الله ﷺ ، فإن المسلمين كافة مطالبون بالتأسي به ﷺ ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١] على مدى العصور كلها حتى قيام الساعة ، وهو وحده الأسوة الحسنة حيًا وميتًا ، فلم تنقض سنته بموته ؛ لأنهم مأمورون بطاعته طاعة مطلقة غير مقيدة بمكان أو زمان ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

---

(١) رشيد رضا (يُسر الإسلام وأصول التشريع العام) ص٢٦ .

ولا يتعارض ذلك مطلقًا مع العصرية ؛ لأن الاقتداء به يتصل بعقائد الإنسان المسلم وعباداته وسلوكياته كإنسان يحتاج إلى الأسوة في طريق اجتيازه لحياته الدنيوية ، (فالحوافز الإنسانية لم تزل نفسها اليوم كما كانت منذ فجر الحضارة الإنسانية ، فالغرائز التي هي محور عمل الإنسان لم تزل باقية كما كانت بالرغم من أن مجال النشاط الإنساني قد اتسع ، وصفات الإيثار والشرف والصدق والشجاعة المستحبة تنال من الاحترام اليوم ما كانت تناله منذ القدم) [1] .

وحسمًا للمناقشة والجدل في هذا الصدد فإننا سنتحدث عن التجربة الشخصية وأصدائها في النفس ، فنقول وبالله التوفيق :

إنني عندما أتبعه - بأبي هو وأمي - فلا أظن ولا يخطر ببالي ولا أشعر أنني أعود إلى ماضٍ بعيد أختار منه إنسانًا أحاكيه ؛ فإن الذي يحدث بالضبط هو أنني أتمثل سيرته بذاكرتي ، وأجمع محبته في قلبي وجوانحي ، فأصلّي عليه وأسلّم ، فيسهل عليَّ متابعته منقادًا طائعًا بغبطة وسعادة ؛ لأنه الهادي إلى الطريق المستقيم ﷺ .

إن سيرته ﷺ كاملة شاملة ، فلا أحتاج إلى غيره للاقتداء به ؛ لأنه أوضح كل ما يعن لي من حاجات ، حيث يدلني فيما أريد معرفته والعمل به ، ابتداءً من العقيدة إلى العبادات والمعاملات والأخلاق ، يقول القاضي عياض : (ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ، وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ، ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم .. ومحاجة كل أمة من

---

(١) (تفسير التاريخ) ، عبد الحميد صديقي .

الكفرة، ومعارضته كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرارها.. إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل، مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم إلا من جهة الخذلان ... إلخ) [١].

إنه ﷺ يعلمني كيف أعبد ربي ﷻ: أذكره في كل الأحوال قائمًا وقاعدًا، وأصلي وأصوم وأحج وأفعل الخيرات وأترك المنكرات، كيف أبيع وأشتري وأعامل الأهل والأولاد والأصدقاء، كيف أسعى لتحصيل الرزق، كيف أتقبل صنوف الآلام بالصبر والرضا.

أما عن طلاب البحث عن ثمرة اتباع السنة فإنه من اليسير إقناعهم بالحكمة أيضًا، فقد تفردت شخصية الرسول ﷺ باعتباره خاتم النبيين والقدوة الكاملة في جوانب النشاط الإنساني، حيث عاش معه الصحابة حياة حقيقية واقعية قائمة على الاقتداء به والطاعة له ﷺ، وللمسلمين بعدهم باتباع سنته القولية والعملية.

وكلما كان المسلم أقرب إلى اتباع سنته ﷺ كان إلى السعادة أقرب؛ لأنه - صلوات الله عليه - يسلك طريقه في الحياة وفقًا للوحي، وبعلم تام وحكمة شاملة للإنسان في أحواله كلها، ورسم الطريق السليم لاجتيازه الحياة الدنيا بأفضل طريقة ممكنة على المستوى البشري للناس.

ولتقريب معنى القدوة وفهم دورها في ضوء علم النفس، نضع أمام القارئ رأيًا لأحد علماء النفس المعاصرين حيث يرى أن (المثل الأعلى الصائب) هو من

---

(١) القاضي عياض (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) ص٢٩٦١ - مكتبة جار التراث بالقاهرة - نسخة مصورة من المطبعة العثمانية سنة ١٣١٢هـ.

الناحية السيكولوجية ذلك الذي يستطيع جلب التوافق للنفس باجتذاب الانفعالات الغريزية جميعًا ، وهو الذي باستثارة الإرادة إلى غرض مشترك أن يصيب الفرد باعتباره وحدة سيكولوجية في قالب كائن حي ، وهو الذي يضمن تحقق الذات والسعادة وذلك بإشباع السعي إلى الاكتمال ، إن حيازة مثل أعلى أو غرض في الحياة لهي إذن أهم الأمور الضرورية للإرادة القوية والخلق المتزن [1] .

وكان الأستاذ محمد أسد (ليوبولد فايس قبل الإسلام) سباقًا ونفاذًا إلى قلب الحقيقة في فهم الحكمة من اتباع السنة للأذهان وتقريبها ، ولشرح فكرته يرى أنه ليس من المقبول أن يتساءل الجند عن أسباب الأوامر العسكرية وعللها ؛ بل عليهم تنفيذها فورًا بلا تردد وإلا أصبح أمر المعارك فوضى ، فكذلك رسول الله ﷺ باعتباره أحسن قائد عرفته البشرية في نواحي الحياة جميعًا الفردية والاجتماعية ، النفسية والروحية ، بحيث يجب على المسلمين اتباعه والاقتداء به ؛ لأنهم أقروا بنبوته ﷺ ، فمن ضياع الجهد والوقت التساؤل في كل موقف عن السر والحكمة .

ولكن قد تصبح سعادتنا غامرة إذا ما وقفنا على بعض أو كل الحكم من سنته عليه الصلاة والسلام ، وما أدق تعبيره عندما يصف السنّة بأنها **(الهيكل الحديدي) للإسلام** .

وهنا يرى أن هناك أسبابًا ثلاثة تؤكد ضرورة إقامة السنة وتبين أطرافًا من حكمة اتباعها :

١ - تمرين الإنسان بطريقة منظمة على أن يحيا دائمًا في حل من الوعي الداخلي واليقظة الشديدة وضبط النفس ، وهذه ميزة الاقتداء برسول الله ﷺ في حركاته

---

(١) هافليد - (علم النفس والأخلاق) ص١١٥ - ١١٦ ، ترجمة محمد عبد الحميد أبو العزوم ومراجعة د. عبد العزيز القوصي - مكتبة مصر ، سنة ١٩٥٣م .

وسكناته . إن هذا الانضباط السلوكي وفقًا لسنته يؤدي إلى التخلص من الأعمال والعادات العفوية التي تعرقل النشاط الإنساني عن التقدم ، يقول محمد أسد : (إن الأعمال والعادات التي تقوم عفو الساعة تقوم في طريق التقدم الروحي كأنها حجارة عثرة في طريق الجياد المتسابقة) .

٢- تحقيق النفع الاجتماعي للمسلمين ؛ لأنهم باتباع السنة - أي المنهج النبوي في الحياة - تصبح عاداتهم وطباعهم متماثلة مهما كانت أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية متنافرة .

٣- ضمان الهداية إلى الحياة الإنسانية الكاملة الكفيلة بتحقيق السعادة والحياة الطيبة ؛ لأنه ﷺ يعمل بوحي إلهي ، وقد أرسل رحمة للعالمين وليس هاديًا من الهداة فحسب ، ولكنه الهادي إلى طريق مستقيم .

وعلى هذا تصبح شخصيته ﷺ متغلغلة إلى حد بعيد في منهاج حياتنا اليومية نفسه ، وسكون نفوذه الروحي قد أصبح العامل الحقيقي الذي يقودنا طول الحياة[1] .

وما أحوجنا إلى اتباع سنة الرسول ﷺ لمقاومة الحملات المعادية المدروسة ، وفن أساليب علم النفس لصياغة الإنسان المسلم صياغة خاصة لتطويعه وإخضاعه لثقافة الغرب وطرق حياته[2] .

يقول كارليل : « إن كل فرد يملك القوة على تعديل طريقته في فن الحياة ، وأن يفرض على نفسه أنظمة فسيولوجية وعقلية معينة وعمل معين وعادات معينة ،

---

(١) يُنظر محمد أسد : (الإسلام على مفترق الطرق) ص١١ - ط. دار العلم للملايين ببيروت .

(٢) هذا الأسلوب الذي كان يتبع بواسطة إنشاء معاهد يمكن أن يشكل فيها الجسم والعقل طبقًا للقوانين الطبيعية ، حيثما رأى الديكتاتوريون أن من المفيد تكييف الأطفال تبعًا لنظام معين (ألكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول ص٣٢٤ - ترجمة : شفيق أسعد فريد - مؤسسة المعارف بيروت) .

كذا اكتساب السيطرة على بدنه وعقله ، ولكنه إذا وقف وحيدًا فلن يستطيع أن يقاوم بيئته المادية والعقلية والاقتصادية إلى مالا نهاية [١] .

ولنا أن نفخر معشر المسلمين بسنة الرسول ﷺ التي تحقق لنا عند اتباعها المحافظة على مقوّماتنا الذاتية وأصالتنا لمقاومة حملات الغزو الثقافي ، بل من عوامل سعادتنا أيضًا أن (نتدين) ونتقرب إلى الله تعالى عندما نقتدي بنبينا عليه الصلاة والسلام ؛ ذلك لأن سنته من قبل الوحي الإلهي ، وهو الأسوة الكاملة في تحقيق السعادة للإنسان بناء على معرفته له حق المعرفة ، بينما عجزت البشرية حتى القرن العشرين وسيكون ذلك حالها ؛ لأن المعرفة الصحيحة بالإنسان ينبغي أن تستمد من خارج نطاق العقل الإنساني وتجاربه ، أي الوحي .

ويزيدنا الإمام أبو الحسن الندوي – رحمه الله تعالى – إيضاحًا فيشرح فوائد أحاديث النبي ﷺ ، فهي مجموع صور ناطقة يتعرّف بها الإنسان بنبيه ﷺ ويسعد بصحبته وكأنّه حضر مجلسه واستمع لحديثه وقضى معه مدّة من الزمان ، ليسمع كلامه ويشاهد فعله ويدرس سيرته ﷺ .. وهذه المجموعة من الأحاديث النبوية خصّ الله تعالى بها هذه الأمة ، فلا نعرف أمة من أمم الرسل سعدت بمثل هذه المجموعة الناطقة ، وبهذا السجل الخالد لنبيّها ﷺ .. كما يعتبر « الحديث » كمصدر منظّم وثروة زاخرة لاستنباط الأحكام ، ولا يعرف التاريخ سيرة نبوية أوثق من هذه السيرة ، وأحراها بالاعتماد والتعويل ، ويصح أن يسمى سجل الوقائع اليومية وشبه مذكرات – إذا صح التعبير – لمدة ثلاث وعشرين سنة ، قضاها النبي ﷺ بعدما أكرمه الله بالنبوة على ظهر الأرض ، ترينا كيف كان الرسول ﷺ يعيش في هذه الحياة ، وكيف يقضي نهاره وليله [٢] .

---

(١) نفسه ص ٣٣١ – ٣٣٣ .

(٢) أبو الحسن الندوي (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) ص ٩٦ ، دار القلم – الكويت ، ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م .

ويستطرد الإمام الندوي قائلًا : (ولا يتأتى الاعتدال الكامل في الأخلاق والأعمال إلا بالجمع بين القرآن والحديث ، الذي هو يملأ هذا الفراغ الذي وقع بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وهذه الفجوة لابد منها في السنن الإلهية ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، فلولا الحديث الذي يمثل هذه الحياة المعتدلة الكاملة المتزنة ، ولولا التوجيهات النبوية الحكيمة ، ولولا هذه الأحكام التي أخذ بها الرسول ﷺ المجتمع الإسلامي ؛ لوقعت هذه الأمة في إفراط وتفريط ، واختل الاتزان ، وفقد المثال العملي الذي حثّ على الاقتداء به ﷺ بقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، وبقوله ﷻ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، والذي يطلبه الإنسان ويستمد منه الثقة والقوة في الحياة ، ويقتنع بأن تطبيق الأحكام الدينية على الحياة ميسور وواقع .

ثم إن الحديث زاخر بالحياة والقوة والتأثير الذي لم يزل يبعث على الإنتاج والزهد والتقوى ، ولم يزل باعثًا على محاربة الفساد والبدع ، وحسبة المجتمع ، ولم يزل يظهر بتأثيره في كل عصر وبلد من رفع راية الإصلاح والتجديد ، وحارب البدع والخرافات والعادات الجاهلية ، ودعا إلى الدين الخالص والإسلام الصحيح ، لذلك كله كان الحديث من حاجات هذه الأمة الأساسية)[1] .

ضرورة التعرّف على أحوال العصر :

ويلزم للإحاطة بأحوال العصر معرفة حقيقة الصراع الحضاري مع الغرب منذ بدء الاستعمار العسكري لبلاد المسلمين في العصر الحديث ، ومتابعة

---

(١) نفسه ص ٩٨ .

استمرارية الحروب الصليبية التي لم تتوقف ، وكان آخرها التصريح بذلك على لسان رئيس أمريكا السابق « بوش » عند غزو أفغانستان [1] .

وتأتي النكبة الكبرى للمسلمين باغتصاب أرض فلسطين بواسطة اليهود وضياع القدس ، وتهديدهم للمسجد الأقصى .

وقد أصبح فرض عين على كل مسلم حاكمًا ومحكومًا بذل قصارى الجهد للعمل على استرداد الأرض المغتصَبة ، وفك أسر المسجد الأقصى .

والآن تسنح لنا الفرصة للبيان والتبيين بشيء من الإفاضة الضرورية لصلتها الوثيقة بموضوع أحاديثنا ، ففي مجال الثقافة الإسلامية والتربية السياسية : هناك العديد من الحقائق غابت عن الكثير من المثقفين الذين تربوا وفق منهج الغرب الثقافي ، وخضعوا لحملات (غسيل مخ) على يد خبراء التلاعب بالعقول في مجال الغزو الثقافي ، أضف إلى ذلك موقف السلبية الذي يعتري البعض ؛ إذ تجعله ينصت إلى أبواق الإعلام ، ولا يكلّف نفسه البحث عن الحقيقة تفاديًا للخضوع لحملات التزييف والتضليل ، ونحن في أشد الحاجة في ظل تداعيات ثورة (٢٥

---

(١) يذكر هنتجتون أن الصراع مستمر وعميق بين الإسلام والمسيحية ، ويسجل تأييد الحكومات والشعوب الأوروبية والإجراءات التي تتخذها الولايات المتحدة ضد خصومها المسلمين ، حيث قامت خلال السنوات الخمس عشرة بين ١٩٨٠ و ١٩٩٥م - وطبقًا لبيانات وزارة الدفاع الأمريكية - بالمشاركة في ١٧ عملية في الشرق الأوسط كانت كلها موجهة ضد المسلمين .. وبتعليله لأسباب الصراع يرى أن المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية ؛ بل الإسلام نفسه ، فهو حضارة مختلفة ، ويرى أن التمايز بين الثقافة الإسلامية وثقافة الغرب سيغذي الصراع بين الإسلام والغرب ... ويرى أن الصحوة الإسلامية تسعى لإيجاد حل ليس في الأيدولوجيات الغربية وإنما في الإسلام ، وهي تجسّد رفض الحداثة ، ورفض الثقافة الغربية ، والعودة إلى الالتزام بالإسلام كدليل حياة في العالم الحديث .

المصدر : صامويل هنتجتون (صدام الحضارات - إعادة صنع النظام العالمي) ترجمة : طلعت الشايب ، تقديم : د. صلاح قنصوة ـ ط سطور بالقاهرة ١٩٩٨م .

يناير) إلى تصويب بعض الآراء والمواقف ، حتى نصحح موقفنا من الأمور الجارية ، ونتخذ الوسائل الصائبة لعلاج قضايانا ومشاكلنا في ظل التحديات المعاصرة التي تحوطنا من كل جانب ، أملًا في خلق رأي عام إسلامي موحّد يخدم قضايا الأمة ، ويقف وراء القادة كالبنيان المرصوص ، ويسهم في التمكين والنصر - بمشيئة الله تعالى - .

وينبغي أن تحتل عقيدة الجهاد مكانتها اللائقة في برامج التربية السياسية للإعداد النفسي والروحي لشباب الأمة حتى يخوضوا المعركة المرتقبة مع إسرائيل ، وهي حتمًا قادمة - بمشيئة الله تعالى - لإنقاذ القدس والمسجد الأقصى - وهم مزودّون بإرادة القتال ، وهي كما يعرّفها اللواء الركن « محمود شيت خطاب » :

« الرغبة الأكيدة في خوض الحرب من أجل مُثُل عليا وأهداف سامية ، وتحمّل أعباء الحرب بذلًا للأموال والأنفس ، واستهانة بالأضرار والعقبات ، وصبرًا في البأساء والضراء ، حتى تحقيق تلك المثل العليا والأهداف السامية ، مهما طال الأمد وبعد الشوط ، وكثر العناء ، وازدادت المصائب ، وسالت الدماء »[1] .

ويضيف قائلًا : « ولا أجد تعريفًا جامعًا مانعًا لإرادة القتال ، أبلغ وأروع وأدق مما جاء في القرآن الكريم : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٢٠] »[2] .

ولن تؤتي عقيدة الجهاد أُكُلها إلا إذا حرص المسئولون بأجهزة الإعلام - في الوقت نفسه - على المراقبة الصارمة لمنع التمادي في المسلسلات الهابطة والأفلام الخليعة الحاضّة على الفسق ، والتي تزيد الغرائز اشتعالًا لدى الشباب وتشجعهم

---

(١) ، (٢) اللواء الركن محمود شيت خطاب «الأيام الحاسمة قبل معركة المصير وبعدها» ص ١١٨ ، دار الفكر - بيروت ط ٣ يناير ١٩٧١م .

على حياة الميوعة أو اللامبالاة ؛ التي لا تلقي بالًا لما يحدث لبلادهم وأمتهم من أخطار ومصائب .

ثالثًا : اتخاذ الخطوات التدريجية الحثيثة لإعادة الأمة الإسلامية إلى وحدتها التي انفرط عقدها عقب إلغاء الخلافة .

إن الطريق طويل نحو تحقيق هذا الهدف الملحّ ، ولكنه « من أعظم الخطوات في مواجهة الأخطار الخارجية والداخلية ... والبديل عن الوحدة هو التمزّق وإثارة الأقليات الضيقة ... ولا تتأتى هذه الوحدة إلا إذا سبقتها وحدة الدعاة المخلصين »[1] .

ونعود لتأكيد الأهمية القصوى لتربية الشباب بعامة ، والدعاة بخاصة .

رابعًا : قيام الأمة بمسئوليتها كأمّة دعوة لهداية البشرية إلى طريق الهداية إلى الله ﷻ ، والحياة الطيبة في الدنيا قبل الآخرة ، وذلك بعدما صرّح به بعض مثقفي الغرب وفلاسفته وزعمائه من تدهور حضارة الغرب واشتداد أزماتها ، وحاجتها إلى العلاج من خارجها ، وقد ارتفعت أصوات بعض مثقفيه وفلاسفته لاتخاذ الإسلام منقذًا من أمراضها المستعصية[2] .

وأورد الإمام ابن كثير – رحمه الله – أحاديث كثيرة للرسول ﷺ عن فضائل أمتنا ، ومنها ما رواه أحمد في مسنده ، والنسائي في سننه ، والحاكم في مستدركه ، من حديث سماك ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ، قال : « هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة » .

---

(١) محمد العبدة (أيعيد التاريخ نفسه ؟) ص ١١٥ كتاب (البيان) ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م .

(٢) منهم : « محمد أسد » ، و« جارودي » ، و« مراد هوفمان » ، و« علي بيجوفيتش » ، ويتوقع المؤرخ البريطاني الشهير « أرنولد توينبي » أن حضارة الإسلام هي حضارة المستقبل .

قال ابن كثير – رحمه الله – : « والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة ، كل قرن بحسبه ، وخير قرونهم الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي : خيارًا ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ » [البقرة: ١٤٣].

وبعد سرد الإمام ابن كثير – رحمه الله – أحاديث أخرى للنبي ﷺ ، قال في الختام : « فهذه الأحاديث في معنى قوله – تعالى – : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠][١] ، فمن تصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم ، كما قال قتادة : « بلغنا أن عمر بن الخطاب في حجّة حجّها رأى من الناس سرْعة (أي سوء أدب) فقرأ هذه الآية : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ثم قال : مَن سرّه أن يكون من تلك الأمة فليؤدِّ شرط الله فيها » رواه ابن جرير .

ومَن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله : ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ [المائدة: ٧٩] ، ولهذا لما مدح – تعالى – هذه الأمة على هذه الصفات ، شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم ، فقال : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي بما أنزل على محمد ﷺ ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، أي : قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ، وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان »[٢] .

وبعد هذا الإيضاح والبيان نقول : فإن المتابع لواقع العالم الإسلامي المعاصر

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ، ص ٧٧ ، كتاب (الشعب) ، تحقيق : عبد العزيز غنيم ، محمد أحمد عاشور ، محمد إبراهيم البنا .

(٢) نفسه ص ٨٥ ، ٨٦ .

يرى أن المخطط الذي رسمه « لويس التاسع » ملك فرنسا أثناء سجنه بالمنصورة قد نجح في الوصول لأهدافه ، ومن ثَمَّ يتعيّن على أمراء الفصائل الإسلامية بكافة اتجاهاتها ، التكاتف معًا – إذا أردنا للأمة أن تنهض من جديد – لوضع (إستراتيجية) متفق عليها فيما بينهم ، لمحو آثار الأهداف التي اقترحها « لويس التاسع » بمشروعه ، وهو يجر ذيل اندحاره العسكري على ثرى المنصورة ، ويضع تلك الخطط وهو يجتر مرارة هوانه بدار (ابن لقمان) [1] .

لقد حاول أن يحطم مصر ، لتتمزّق بتحطيمها وحدة العرب ، لينذك بانفصام وحدتهم صرح الإسلام وكانت إستراتيجيته لضرب الإسلام قائمة على الأهداف الآتية :

١ – منع ظهور زعامة قوية تنفرد بقيادة الأمة الإسلامية .

٢ – الحيلولة دون وحدة تجمع الشعوب الإسلامية [2] .

٣ – زعزعة استقرار الأرض الإسلامية .

٤ – تغريب الشرق بزرع الفكر الأوروبي في تربة الأذهان العربية حتى يمكن فصل العرب والمسلمين عن تراثهم وماضيهم ، وتوهين الإيمان بقيمهم الروحية والحضارية ، وولائهم للغتهم العربية ، مع تنشئة أجيال منهم وشخصيات يسهل تقبلها للاتجاهات الأوروبية ، واجتذاب عناصر مسيحية مخدوعة لا تلبث أن تصبح بمثابة طابور خامس للصليبية .

وكان السلاح – السري – الذي ارتأى « لويس التاسع » استخدامه في

---

(١) عبد الفتاح عبد المقصود (صليبية إلى الأبد) ص ٤١٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م .
(٢) نفسه ص ٤٢٣ .

الحروب (السلمية !) لسحق الإسلام هو «التبشير»[١].

ويصف «إبراهيم خليل أحمد» - الذي كان أستاذًا بكلية اللاهوت ثم اعتنق الإسلام - يصف التبشير بقوله : (سلك التبشير طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ورياض الأطفال، والمراحل الابتدائية، والثانوية، للبنين والبنات على السواء، كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات، ودور الضيافة، والملاجئ للكبار، ودور اليتامى، ولم يقصّر التبشير في استخدام النشر والطباعة، وعمل الصحافة في الوصول إلى غايته).

ثم يستطرد قائلًا : (والتبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار في مصر والشرق الإسلامي، كلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية والحط من اللغة العربية الفصحى، وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب الإسلامية)[٢].

إن دوافع الاستشراق كما يحددها الشيخ «محمود شاكر» - رحمه الله تعالى - كانت ضرورة تحمله على أن يخدم أبناء جلدته وعشيرته وأهل ملّته، بما أوجبه الصراع المحتدم قرونًا بين الإسلام والمسيحية المحصورة في الشمال[٣].

والاستشراق هو عين (الاستعمار) التي يبصر بها، ولولاه لظل الاستعمار في عميانه يتخبط[٤].

لقد كان المستشرقون طلائع للزحوف الأوروبية المتتابعة المستمرة التي

---

(١) نفسه ص ٤٢٣، ٤٢٤، بتصرف يسير.

(٢) إبراهيم خليل أحمد (المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي) - نقلًا عن المصدر السابق ص ٤٢٥، ٤٢٦.

(٣)، (٤) الشيخ محمود شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا)، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص ٧٧ - ٨٧ - ٥٦.

اقتحمت دار الإسلام فاستعمرتها ، وغيّرت وجه الحياة فيها تغييرًا بعيد الغور ، لم يزل ساريًا إلى يومنا هذا [1] .

ويفسرّ الأستاذ « محمد قطب » - رحمه الله تعالى - أثر الاستشراق في حياة المسلمين بعدة أمور متشابكة مدفوعة لإحداث أثر معين ، وهي : (الضغط العسكري والسياسي للغرب متمثلًا في الاستعمار والسياسات التعليمية التي وضعها الاستعمار في البلاد التي احتلها بجيوشه ، ثم الطلاب الذين خرّجتهم تلك السياسات التعليمية ليكونوا الطبقة المثقفة في تلك البلاد) [2] .

هؤلاء الطلاب تخرّجوا ويشغلون الساحة السياسية الآن بالصخب الذي يقف في وجه كل ما هو إسلامي .

لقد عانينا – وما زلنا نعاني من مخطط « لويس » الشيطاني بكل ما يحمل هذا الوصف من معنى ، ويقتضي إقصاؤه تجفيف المنابع وإبعاد العملاء من مراكز القيادة والريادة ، والحيطة والحذر بمراقبة المدارس والجامعات التابعة لبلاد أجنبية أو ذات الصلة بالفاتيكان ، وإذا لم نفعل ذلك فإن أي نهضة قادمة معرّضة للإجهاض ، وبخاصة مع وجود رأس الأفعى – إسرائيل – في قلب بلادنا العربية والإسلامية ، وهي تحرّك عملاءها ، وتزودهم بالمال والخبرة .

ومما يخفف عنا آلامنا أن نتذكر أن الابتلاءات التي تعاني منها أمة الإسلام اليوم ليست طارئة ولا جديدة ، فقد مرّت من قبل بما هو أشد وأقسى ، واستطاعت بفضل الله - تعالى - أولًا ، ثم الأخذ بسننه ثانيًا ، إنقاذ نفسها من

---

(١) نفسه .

(٢) محمد قطب (المستشرقون والإسلام) ص ٣٠١ ، مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .

الهلاك ، إذ قيّض الله - تعالى - لها من القادة والعلماء والمجاهدين مَن قاموا بعلاج أمراضها واستكمال ما ينقصها من دواعي القوة والمنعة ، ووضع الخطط الكفيلة برد كيد أعدائها وسنؤيّد ذلك بشواهد من التجارب التاريخية التي سلكها أولئك الصفوة قديمًا وحديثًا للأخذ بين الأمة إلى النهضة كلما ألـمَّت بها المحن .

نذكر منهم في العصر الحديث : الشيخ « رشيد رضا » - رحمه الله تعالى - مؤسس مجلة (المنار) التي تبنّتْ منهج النهضة للأمة الإسلامية برمتها طوال ثلاثين سنة ، والجمعيات الإسلامية كجمعية الشبان المسلمين ، وجماعة أنصار السُّنَّة ، والإخوان المسلمين ، وحزب مصر الفتاة ، والحزب الوطني ، وغيرهم ممن قاموا بجهود لا تُنكر (وسنتحدث عنهم تفصيلًا فيما بعد) بمشيئة الله - تعالى - .

وبادئ ذي بدء ، فإن المتابع لأنشطة رؤسائها والدارس للهيكل الاجتماعي والسياسي الذي قامت عليه يستخلص بلا عناء أنها كانت ماضية قُدُمًا في طريقين ، أحدهما : حركة مقاومة الغزو الاستعماري الغربي بجناحيه العسكري والثقافي ، والثاني : معارضة الاستبداد السياسي في العصر الملكي .



الغزو - أو الاستعمار - الثقافي

إنه حقًّا استعمار ثقافي لا مجرد غزو ثقافي، فقد تعلم الغرب من الحروب الصليبية أن الإسلام هو درع الأمة ومصدر قوتها (وهو الحارس الذي يستدعى عند النوازل والشدائد ... وهو منتصر دائمًا وأبدًا ... ومن كان يتصور أن الحملات الصليبية التي اشتركت فيها تمويلًا وتسليحًا كل دول أوروبا كان يمكن أن تنكسر على أبواب بيت المقدس ؟ ... ومن كان يتصور أن جحافل التتار الذين لم يقف أمامهم قوة في آسيا ولا في الشرق الأوسط .. كان يمكن أن تنهزم أمام هذا المملوك « قطز » ومعه شرذمة من المقاتلين المسلمين لا يملكون إلا أسلحة محدودة ؟ إنه الإسلام في الحالتين، وراية لا إله إلا الله التي لا تُهزم) [1]، وسنبحث كيف خطط الغرب لإضعاف أثر الإسلام في نفوس المسلمين، أو بعبارة أخرى: تفريغ عقولهم من ثقافة الإسلام، وحشوها بثقافة الغرب.

إذ يكتشف الدارسون لمرحلة الاستعمار الثقافي أن دوائر الاستعمار الغربي تفتقت أذهانها إلى إرسال بعثات المستشرقين التي تغلغلت في الصحافة والإعلام والتعليم، وخطط بعضهم للجامعة المصرية بحيث تكوّن طليعة متقدمة للثقافة الأوروبية في مناهجها ونظمها وأساتذتها، وطبقًا لهذه النظم والمناهج وعلى يد هؤلاء الأساتذة تخرجت فيها ألوف من الذين فتحت عيونهم على فكر أوروبي قديم أو جديد، حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأن ذلك الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه؛ لأن عيونهم لم تفتح على غيره لتراه – حسب وصف الدكتور زكي نجيب محمود) [2].

---

(١) د. مصطفى محمود (علم نفس قرآني جديد) ص ٣٥، ٣٦ (الأعمال الكاملة للدكتور مصطفى محمود).

(٢) د. محمد سيد محمد (الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر) ص ١٩، ٢٠، دار الفكر العربي بالقاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

ويقول الدكتور أحمد عبد الرحمن : (وأنا أتأمل هذا التوصيف الحاسم الصريح فألقاه يصدق على القسم الذي تخرجت فيه إلى حد بعيد ، وهو قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة عين شمس ، فقد قدم لنا القسم الفلسفة الأوروبية ابتداء من « طاليس » ... إلى هيدجر وسارتر ، وغفل عن ابن تيمية والأفغاني ومحمد عبده ... تخرجنا وكلنا مصاب بالعور الثقافي ، وبالانفصال الشبكي تجاه الحياة الثقافية في بلادنا في القديم والحديث على السواء) [1] .

جريمة الاستعمار الثقافية :

وزاد الطين بلّة أن الاستعمار أحدث شرخًا كبيرًا في المجتمع المصري بجريمته الثقافية التي فاقت في خطورتها وآثارها الجريمة العسكرية ؛ إذ عمد إلى تقسيم مصر إلى فئتين :

الأولى : الذين تربوا في أحضانه وبهرتهم الحضارة الغربية - مع جهل تام بالثقافة الإسلامية ، وأصبحوا من دعاة ثقافة الغرب بمحاسنها ومساوئها .. وورثوا من الاستعمار بعد رحيله كل التنظيمات التي كانت مجهّزة على أساس أوروبي ، ومتكاملة في تفصيلاتها التطبيقية ، وقابلة للتنفيذ .

أما الفئة الثانية فإنها بقيت متمسكة بتراثها الإسلاميّ ، مدافعةً عنه في مواجهة الفئة الأولى ، وتعرّضت للإبعاد والإقصاء من مراكز التأثير واتخاذ القرارات ، كذلك لم تكن مهيأة لتقديم ما تتطلبه ظروف هذا العصر من تنظيمات وضعية مستمدة من تعاليم الإسلام كما جاء بها القرآن والسنة ...

---

(١) نفسه ص ٢٠ .

وكانت الغلبة للفئة الأولى ، وضاعت فرصة وضع التعاليم الإسلامية موضع التنفيذ [1] فضلًا عن تضييق الحصار حولها ، ولكن الفئة الثانية ظلت على عهدها متفوقة على المستوى النظري ؛ إذ نجحت في وضع مشروعات نهضة لتجديد حضارة الإسلام والدعوة إليه ، مع مواجهة علمية للفئة الأولى بمنهج جدلي يجمع بين النقل والعقل ، فضلًا عن معرفة عميقة بمذاهب الغرب الفلسفية ونظمه في الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية والتعليم .

وكنا في بداية أحاديثنا قد عرضنا بعض اقتراحات فردية متواضعة قابلة للنقاش والتعديل والإضافة والنقد .. أما حديثنا اليوم فموضوعه محاولة استخلاص معالم التجديد والنهضة من برامج الجمعيات الدينية وبعض علمائنا الذين أسهموا بوضع رؤى للمستقبل ، أمثال : الشيخ محمد رشيد رضا ، والدكتور السنهوري ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، ومحمد علي علوبة (الذي كان سائرًا على درب مصطفى كامل بالاستمساك بالحقوق الوطنية فاعتبر عقد الصلح مع إسرائيل نوعًا من الخيانة) .. ومن اتبعهم بالالتزام بنفس المواقف .

ولزيادة الإيضاح ، فمازال المستغربون متمسكين بمشروعهم الذي أخذ حظّه الوافر منذ الاستعمار الإنجليزي والفرنسي لبلادنا ، بالإضافة إلى ما حلَّ بنا من استعمار جديد أصبح له أتباع في صفوف مثقفينا وقادتنا – إما للاتحاد السوفيتي قبل تفككه ، وإما للولايات المتحدة الأمريكية في عباءة (العولمة) أو (الأمركة) ... فضلًا عن قيام الانقلابات العسكرية بتنفيذ خطط كمال أتاتورك اليهودي في تركيا تنفيذًا يكاد يكون حرفيًا ! وكلها أدت إلى التراجع والانحطاط كما ذكر د. مراد هوفمان ، وأجهضت حركات النهضة الإسلامية التي تبنتها الجمعيات الإسلامية .

---

(١) د. محمد عبد الله العربي (النظم الإسلامية) جـ ٢ ، ص ٥ ، مؤسسة سجل العرب بالقاهرة .

ومن ثمَّ فلا غرابة في تكرار الحديث عن مشروع النهضة الإسلامي ، والدعوة لكافة الفصائل الإسلامية لإبداء اقتراحاتها إضافةً وتعديلًا ونقدًا ، حتى يجمع بينها مشروع موحد متفّق عليه من الجميع .

وعلى أية حال ، فإن الدارس للمقترحات والمشروعات التي قدّمتها الجمعيات الدينية مع علمائنا الذين أسلفنا ذكرهم ، تلك المشروعات تُجمع على أصول ثابتة متفق عليها .. منها فكرة (الجامعة الإسلامية) ، وضرورة الحرص على جمع شمل الأمة ووحدتها ، وضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية وتنقية القوانين الوضعية مما يخالفها ، والعناية بالتربية والتعليم وفق مناهج إسلامية مدروسة ، مع وضع اللغة العربية في مكان الصدارة ..

يضاف إلى ذلك وضع خطط لصد الغزو الثقافي المدمّر للشعوب الإسلامية وعلاج آثاره .

يقول الإمام أبو الحسن الندوي – رحمه الله تعالى - : (ومن واجب رجال التربية وولاة الأمر أن يحاربوا بكل قوتهم ما يضعف روح الرجولة والجلادة ويبعث على التخنث والعجز ، من عادات وآداب وصحافة وتعليم ، ويأخذوا على يد الصحافة الماجنة والأدب الخليع الملحد الذي ينشر في الشباب النفاق والدعارة والفسوق وعبادة اللذة والشهوات .

ولا يسمحوا لهؤلاء التجار الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا أن يدخلوا في معسكر محمد ﷺ الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق ، ويفسدوا على الناشئة الإسلامية قلبها وأخلاقها ، ويزينوا لها الفسوق والعصيان وحب الفحشاء بثمن بخس دراهم معدودة ، وقد شهد التاريخ بأن كل أمة أصيب رجالها في

رجولتهم وغيرتهم ، وتساؤها في أنوثتهن وأمومتهن ، طغى فيها التبرج ، ومزاحمة الرجل في كل شيء ، والزهد في الحياة المنزلية ، وحبب إليهن العقم ، أفل نجمها وكسفت شمسها ، فأصبحت أثرًا بعد عين .

هذه كانت عاقبة اليونان والرومان والفرس ، وإن أوروبا لفي طريقها إلى هذه العاقبة ، فليحذر العالم العربي من هذا المصير الهائل) [1] .

ولا شك أن تنفيذ المشروع التغريبي الذي وضع بذوره الاستعمار واحتضن أتباعه قد أدى بنا إلى الأحوال المتردية الحاضرة والتي هبطت بها إلى مستوى دول العالم الثالث ثقافيًا وعلميًا واجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا وتربويًا بعد أن كانت مصر متربعة على عرش الزعامة عربيًا وإسلاميًا ، فضلًا عن مكانتها المتميزة إقليميًا وعالميًا ! وبدأ إرهاصات المشروع التغريبي منذ احتلال بريطانيا لمصر ١٨٨٢م التي وضعت الخطط الكفيلة بتربية أجيال وفق ثقافة الغرب وحضارته ، يدفعها إلى ذلك الأحقاد المتوارثة منذ عصر الحروب الصليبية ، وقد عبّر عن ذلك جمال الدين الأفغاني بقوله : (العالم الغربي على اختلاف أممه وشعوبه عرقًا وجنسية هو عدو مقاوم ومناهض للشرق على العموم والإسلام على الخصوص ، فجميع الدول الغربية متحدةً معًا على دك الممالك الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا ، الروح الصليبية لم تبرح كامنة في صدورهم كمون النار في البارود ، وروح التعصب لم تنفك حيّةً معتلجة في قلوبهم إلى اليوم كما كانت في قلب بطرس الناسك) [2] .

(وبهذه الروح أعلن كرومر أنه سيهدم في مصر ثلاثًا : القرآن ، والكعبة والأسرة المسلمة ، ودعا إلى خلق طبقة من المتفرنجين والمستغربين من الوجهة

---

(١) أبو الحسن الندوي (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ص ٢٤٧ ، مكتبة الإيمان بالمنصورة – ١٩٩٤م .
(٢) أنور الجندي (اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار) ص ٩٤ ، دار الاعتصام – بدون تاريخ .

الأوروبية والمدنية الحديثة في إطار بناء قاعدة عريضة للحركة المضادة ليقظة الفكر الإسلامي)[١] .

كذلك اعتنق بعض المستغربين نظرية (دارون) عن الإنسان نقلًا عن الثقافة الغربية دون تمحيص ، وجهلًا بما جاء به الإسلام من تعريفه الحقيقي للإنسان ، يقول المهتدي للإسلام روجيه دوبا سكويه : (يعرّف الإسلام منزلة الإنسان بين الخلق أمام الله تعالى ، ويعيد تأسيس الطمأنينة داخل الروح ، مع التوافق في العلاقات البشرية وتحقيق الغاية العظمى التي خلقنا لها ، بدلًا من اختزاله إلى مادة ووظائف كميّة مسخّرة للإنتاج والاستهلاك ، مع إفساده وتمزيق داخله وإفراغ حياته من المعنى والأمل)[٢] .

ويبدو أن هذا التصوّر المنحرف للإنسان يستمد جذوره من (نظرية دارون) [١٨٠٩ – ١٨٨٢ م] التي لقيت انتقادًا شديدًا من قبل رجال الدين في الغرب ؛ إذ رأوا فيها إلحادًا وإنكارًا لوجود الخالق جل شأنه .

والحق أنه لا يصح إطلاق اسم نظرية على خيالات دارون ؛ فهي أقرب إلى الافتراضات والتكهنّات منها إلى النظرية بالمعنى العلمي ، وقد سقطت أخيرًا سقوطًا مدويًا بواسطة نخبة من الباحثين وعلماء الآثار في جامعتين في أمريكا بعد بحوث على مدى خمسة عشر عامًا ، حيث توصلوا إلى (أن أقدم كائن ذي خصائص بشرية عاش قبل أكثر من أربعة ملايين سنة ، وذلك من خلال عثورهم على هيكل عظمي لكائن بشري منتصب القامة لا يمشي على أربع ، وله قامة عادية كقامتنا)[٣] .

---

(١) أنور الجندي (نفسه) ص ٩٤ ، دار الاعتصام – بدون تاريخ .

(٢) روجيه دوبا سكويه (إظهار الإسلام) ص ١٣ ، مكتبة الشروق بالقاهرة ١٩٩٤م .

(٣) د. رفيق حسن الحليمي ، مقال بعنوان (سقوط نظرية دارون وتهافت دعاتها) ص ٥٠ ، مجلة الوعي الإسلامي بالكويت ، العدد (٥٣٧) جمادى الأولى ١٤٣١ هـ – مايو ٢٠١٠م .

وكانت (الداروينية) قد استخدمت على نطاق واسع في مجالات الفلسفة والفكر والنظم في الغرب ، فلم تقتصر فقط على تفسير النشوء والارتقاء في الحياة الحيوانية والإنسانية ؛ وإنما امتد تأثيرها على الفكر السياسي والاجتماعي ، إذ وجدت فيها القوى الرأسمالية الصاعدة في أمريكا أساسًا فكريًا لإعطاء الشرعية الأخلاقية والسياسية للممارسات السياسية القائمة على استغلال الطبقات الوسطى والفقيرة بزعم أنه في السياق المجتمعي بين مختلف الأفراد فإن قانون البقاء للأصلح هو السائد ، وبنفس السبب تبتلع الشركات العملاقة الشركات الصغيرة ، وكذلك الحال في مجال السياسة العالمية (ولعل هذا المبدأ الدارويني كان أحد الأسباب الكامنة وراء التأييد الأمريكي الفاضح لإسرائيل وسياستها العنصرية ضد الشعب الفلسطيني ، فاليهود هم الأقوى ؛ ولذلك فهناك شرعية في مشروعهم الاستعماري لطرد الشعب الفلسطيني من أرضه وإحلال الشعب اليهودي محله) [1] .

ولكننا لا نوافق على التفسير الأخير ؛ لأنه ثبت أن التأييد الأمريكي هو تأييد ديني في المقام الأول ، وسنعرض ذلك بالتفصيل في حديث قادم بمشيئة الله تعالى .

ونعود لنستأنف الحديث عن خطة كرومر ، إذ تبين أنه مع الأسف الشديد قام لطفي السيد حينذاك بتطبيق رغباته كاملة ، وخاصةً نحو هدفين :

١ – القضاء على فكرة الوحدة الإسلامية باعتبارها رابطة العالم الإسلامي جغرافيًا وسياسيًا .

---

(١) السيد يسين (الأسطورة الصهيونية والانتفاضة الفلسطينية) ص ١١٤ ، ١١٥ ، مكتبة الأسرة بالقاهرة – ٢٠٠١م . –

٢ – عزل الشريعة الإسلامية في مجال المجتمع والتربية [1] .

هذا ، وقد ظل القضاء على الوحدة الإسلامية – وما زال – هدفًا ثابتًا للغرب ، إذ ورد في تقرير وزير المستعمرات البريطانية (أورمس غو) الذي قال فيه : (إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه ، وليست إنجلترا وحدها هي التي تلتزم بذلك بل فرنسا أيضًا ، ومن دواعي فرحتنا أن الخلافة الإسلامية زالت ، لقد ذهبت ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة ، إن سياستنا تهدف دائمًا وأبدًا إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك) [2] .

أما نتائج عزل الشريعة الإسلامية فإننا نعاني من آثاره في كافة النواحي بمجتمعاتنا ، تلك الشريعة المبنية على العدل ، والتي حافظت على هوية الأمة الإسلامية طوال قرون منذ عصر النبي ﷺ ، ثم نُحيت في العصر الحديث بفعل الاستعمار الغربي وزبانيته ، ففقدنا بذلك – في رأي الأستاذ طارق البشري – جزءًا من ذاتنا الحضارية وتاريخنا وتميزنا ، أي بعضًا من قوام الانتماء لجماعتنا وتاريخنا الممتد .. ويتساءل مستنكرًا : (كيف ننهض ضد الغزاة بجمعنا كله ؟ كيف نتحرر ونستقل بغير أن يتوافر لنا أقصى درجات الشعور بالهوية والانتماء للتكوين الحضاري والتاريخي الممتد فينا ؟ كيف نقاوم غازيًا يصفّي هويتنا وتميّزنا عنه ؟ كيف نقاوم ونحن لا نتميز لمن نقاومه، بله أن نرضى بالتبعية الفكرية والحضارية له ؟! وكيف نقول إننا طلاب وحدة سياسية ونحن نغفل عن النظام التشريعي الوحيد

---

(١) أنور الجندي (اليقظة الإسلامية) ص ٢٠٥ .

(٢) د. سعد الدين السيد صالح (احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام) ص ١٢٠ ، دار الأرقم بالزقازيق ١٩٨٨م .

الذي يمكن أن يسهم في بناء هذه الوحدة ؟ كيف نطلب الاستقلال والوحدة وتغفل عن موجباتها ؟!) [١] .

ومن المعروف أن أحمد لطفي السيد كان رئيسًا لحزب الأمة الذي ضم كل الطامحين وأبناء البيوتات وأبناء المصالح الحقيقية (حسب وصف الإنجليز لهم) من أعيان البلاد الذين أفسح لهم الاحتلال البريطاني الفرصة للحصول على أكبر قدر من الأراضي ، وكان هدف الحزب وبرنامجه مستمد من مفاهيم كرومر المعادية للإسلام والعرب واللغة العربية ، وكذلك إحلال مفهوم الإقليمية باسم القومية ، ونزع مصر عن الرابطتين العربية والإسلامية ، وقد صادفت هذه الأفكار هوى في نفوس الإنجليز الذين كان يعنيهم انفصال المصريين عن تركيا حتى تتاح لهم السيطرة النهائية في مصر .

وبالمقارنة بينه وبين الحزب الوطني برئاسة الزعيم المناضل مصطفى كامل يتضح أن حركة حزب الأمة كانت منفصلة عن العروبة والإسلام (أما حركة الحزب الوطني فقد كانت منبثقة من أعماق الضمير العربي الإسلامي ، والذين انضووا تحت لوائها لم يكونوا أصحاب مصالح من أي نوع) [٢] .

ويقول الأستاذ أنور الجندي : (وقد استطاع لطفي السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمي تكوين جيل يفهم أهداف الدعوة التغريبية) ، ويرى أن فلسفة حزب الأمة تتلخص في (إخفات صوت الإسلام وفكره وتراثه ، وإبعاده عن مجال

---

(١) طارق البشري (الحركات السياسية في مصر ١٩٤٥ / ١٩٥٢) ص ٤٧ ، دار الشروق بمصر ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

(٢) أنور الجندي اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ط . دار الاعتصام .

التطبيق في المجتمع أو الدولة أو القانون أو التربية) [١] ، وهي نفسها فلسفة التغريبيين حتى يومنا هذا!

ويتضح لنا مما تقدم أن الشرخ العميق الذي أحدثه الاستعمار مازال مؤثرًا؛ إذ حرص -في مصر والشام- على تصعيد أعوانه من المستغربين إلى مراكز السلطة وقيادة المجتمع، مع الإبعاد والإقصاء -في نفس الوقت- لعلماء الإسلام بغرض عرقلة النهضة التي كانوا يدعون إليها، ويعكفون على الإسهام في وضع أصولها ورسم أهدافها لتحرير الأمة من نير الاستعمار الغربي، والارتقاء بها إلى مستوى الرقي والرفعة:

ففي مصر أبعد الحزب الوطني (مصطفى كامل ومحمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويش)، وقدّم لطفي السيد وسعد زغلول، وفي الشام أزاح شكيب أرسلان ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب ودعاة العروبة المرتبطة بالإسلام، ووضع قادة البعث ورجال الحزب القومي السوري ورجال الجامعة الأمريكية (نبيه فارس، وميشيل عفلق، وقسطنطين رزيق).

أما في تونس، فقد أزاحوا عبد العزيز الثعالبي .. وفي الجزائر لم يُمكّنوا الإمام عبد الحميد بن باديس أو رجاله أمثال الفضيل الورتلاني وغيره ... وفي الغرب حالوا بين علال الفاسي ودعاة السلفية وبين أن يكون لهم نفوذ حقيقي [٢].

وإذا تتبعنا في مصر شخصية لطفي السيد الذين خلعوا عليه لقب (أستاذ الجيل) لاتضح أنه في الحقيقة -كما وصفه الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف- شخصية متناقضة لا تنبثق من عقيدة ثابتة، فقد كان الرجل يبجّل الديمقراطية،

---

(١) نفسه ص ٢٢٣.

(٢) أنور الجندي (معالم التاريخ الإسلامي المعاصر من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية) ص ٣٢٧ دار الإصلاح بمصر ١٩٨١م.

ولكنه رضي أن يكون الصعلوك اليد الحديدية التي أعلنت في يوم من الأيام البطش بكل حق ديمقراطي للشعب المصري ؛ إذ اشترك في الوزارات التي عطلت الدستور ، وكان يبجّل الفلسفة بينما كان جهده فيها أنه ترجم كتاب (الأخلاق) لأرسطو وكتاب (الكون والفساد) عن اللغة الفرنسية [1] ، وكان يدعو إلى تمصير اللغة العربية ، ورضي أن يكون رئيسًا لمجمع اللغة العربية [2] .

ونحن ندعو الباحثين والكتّاب والمؤرخين إلى العناية بعلماء الإسلام الذين أسلفنا ذكر أسمائهم ؛ لإعادة التوازن إلى مجتمعاتنا بتعريف الأجيال الجديدة بهم ، والاستفادة من علومهم وآرائهم ، ثم السير على مناهجهم إذا أردنا تحقيق نهضة إسلامية حقة !



(١) ثم تبيّن أن هذين الكتابين لم يترجمها لطفي السيد وإنما تُرجما له إبّان عمله مديرًا لدار الكتب المصرية ووُضع اسمه عليها ، وذلك بشهادة الأستاذ أحمد عابدين مدير دار الكتب فيما بعد .
(٢) نفسه ص ٨٣ .

عودة إلى الأسس المنهجية لتجديد حضارة الإسلام

نرى أنه لابد من وضع أسس منهجية نلتمس بها تجديد حضارة الإسلام، ومن خلالها نستطيع الحكم على المشروعات العلمانية التي طُبقت في العصر الحديث، وهي تحتاج إلى مزيد بيان:

وتتلخص تلك الأسس فيما يأتي:

أولاً: أن التاريخ في الإسلام يمتد منذ آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، انطلاقًا من قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، كما قلنا من قبل.

وقد استهدف الوحي الإلهي لبني آدم تحقيق الحياة الطيبة لهم في الدنيا والسعادة في الآخرة، وقام بتبليغه الأنبياء والرسل جميعًا منذ أبينا آدم عليه السلام وحتى خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ.

ويتضح من رؤية التاريخ من هذا المنظور المعالم الآتية:

١ - بيّن القرآن الكريم أسباب هلاك الأمم السابقة مع تحذير أمة محمد ﷺ من اتباعها.

٢ - أن خلافة الأرض آلت إلى أمة محمد ﷺ.

٣ - عالمية الإسلام ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ثانيًا: لن نمل من تكرار القول بأن الحضارة الإسلامية تحققت بصورتها الكاملة على أساس من الكتاب والسنة في عصر النبي ﷺ والخلافة الراشدة،

ومن ثَمَّ قدموا لنا نظريًّا وسلوكيًّا نموذجًا رائعًا للاقتداء به ، وما علينا في العصر الحاضر لتجديد حضارتنا إلا اتخاذه مقياسًا للنهضة المرجوّة .

ثالثًا : من سنن الله تعالى في تاريخ الإنسانية : التدافع – أو الصراع – بيْن الحق والباطل ، ولذلك فإن طريق نهضتنا ليس مفروشًا بالورود ، ولكنه مليء بالمخاطر والتحديات ، وأولها أن العالم الغربي لن يتركنا لنكمل مسيرتنا ، بل سيحاول إجهاض محاولاتنا للنهضة ، وهناك الكثير من ساستهم وذوي الرأي فيهم يحذرون من خطر الإسلام على حضارتهم ، وحجّتهم من واقع تاريخ الحروب الصليبية أنه خرج منها منتصرًا ، وكان المخططون لغزو المسلمين فكريًّا يتوقعون زواله من الأرض ؛ لأنهم بذلوا غاية ما في جعبتهم ثقافيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا لعزل الإسلام عن حياة المسلمين ، **ولكن – لفرط دهشتهم – فوجئوا بالصحوة الإسلامية تتحداهم !** [1] وهذا شأن تاريخنا كله .

فإن الهجمات المتوالية للاستعمار الغربي على بلاد المسلمين ليس أمرًا طارئًا على أمتنا ، فقد مرت بنا الكثير من الأخطار – وخاصة حملات الحروب الصليبية والغزو المغولي – ، ولكن الإسلام نجا من ذلك الخطر المحيط المزدوج ، وخرج مظفرًا ، وهذا الأمر يتكرر في تاريخه .

---

(١) أصاب هنتجتون عندما قال أن إخفاق الأفكار الغربية عن الاشتراكية والقومية أدى إلى ما سمّاه (إعادة أسلمة) الشرق الأوسط ، مستندًا في ذلك إلى ما لاحظه جورج فيجل بأن اقتلاع العلمانية من العالم هي إحدى حقائق الحياة الاجتماعية المهيمنة في أواخر القرن العشرين . هذا ، وقد لاحظ مترجم كتاب (صدام الحضارات) – وهو الأستاذ طلعت الشايب – أن مؤلفه هنتجتون يبدأ كلمتي (الصحوة) و(الإسلامية) بحروف كبيرين ، فاستنتج بأنه يشير بذلك إلى حدث تاريخي بالغ الأهمية يؤثر على خمس البشرية أو يزيد ، وأنه لا يقل أهمية عن الثورة الأمريكية أو الثورة الفرنسية أو الثورة الروسية ، وهو حدث يشبه أو يماثل الإصلاح البروتستانتي في المجتمع الأوروبي أيضًا .

المصدر : هنتجتون (صدام الحضارات) ، مرجع سابق .

فإن هذا الدين (الذي وُلد في بيئة معادية له هي مكة المكرمة – لم يزل منذ ميلاده يغالِب الأزمات، ويقتحم المحن، ويخرج مظفرًا. وتلك في آخر الأمر هي الحقيقة الأساسية في وجود الإسلام، وهي لباب تاريخه؛ لأنه رمز على قوى الخير التي تصارع قوى الشر منذ خلق الله – تعالى – الخلق، وإلى أن يطوي الدنيا وما عليها)(١).

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

رابعًا: من استعراض تاريخنا في عجالة، تتضح لنا الحقائق الآتية:

١ – طبق النظام الإسلامي كاملًا في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، وظلّ ينتصر عقب كل هزيمة مع الأعداء عند استكمال شروط النصر.

٢ – كانت الأمة تسترد عافيتها وتعالج الأخطاء والانحرافات؛ لتجدد حضارتها مرة أخرى.

وتحقق هذا في مرحلة من أصعب مراحل تاريخنا عقب الحروب الصليبية وهجمات التتار – كما قلنا – فقد قام «صلاح الدين» باستكمال شروط النهضة والإصلاح حتى تحقق له النصر.

٣ – وفي العصر الحديث واجهت الأمة الغزو العسكري بأمرين:

أ – بعقيدة الجهاد ولم يتحقق النصر إلا تحت رايته.

ب – وقف علماؤها بالمرصاد للغزو الثقافي، ووضعوا أسس المشروع الإسلامي وتحدوا به المشروع التغريبي، وما زال الصراع قائمًا، وإن رجحت مبدئيًّا كفة المشروع الإسلامي عقب ثورات الربيع العربي.

---

(١) د. حسين مؤنس (عالم الإسلام) ص ٩٦، ٩٧، ط. المعارف بمصر ١٩٧٣م.

نخلص من هذا أن المشروع الإسلامي ليس أمرًا طارئًا ظهر عقب الأزمات ، ولكنه هو الأصل النافذ والمجرّب على مدى تاريخنا ، بحيث تلجأ الأمة إليه في المحن والأخطار وخاصة عندما تعمل بقوله - تعالى - : ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد : ٧] . صدق الله عظيم

وبقيت ملاحظة أخيرة ، إذ نرى بعض الباحثين يبرزون فترات الانحسار والركود في تاريخ الأمة الإسلامية ، ويوجهون عنايتهم فقط نحو عرض مظالم بعض الحكام وتعميمها ... ولكن الدراسة المتأنية تعطينا صورة صحيحة وواقعية ، مع الاعتراف بالانحرافات التي حدثت .

وفي هذا الصدد يقول الدكتور « حسين مؤنس » شارحًا للتطورات الحادثة في تاريخ أمتنا :

« وفي تاريخ أمم الإسلام نجد أن الأمة التي انفصلت عن نظم الحكم قامت أنظمتها الخاصة بها على مؤسسات ، أهمها : مؤسسة القضاء أو نظام القضاء ، فالقضاة في عالم الإسلام كانوا يتكونون في رعاية الأمة ؛ لأن الأمة كانت ترعى التعليم فيما بينها ، فيبدأ التعليم في الكتاتيب - وهي مؤسسات شعبية - ، وفي حلقات المساجد كان يتخرج الفقهاء ، ومنهم كانت الدول تُعيّن القضاة ، والفقهاء - لا الدولة - كانوا يصنعون التشريعات ، والفقه الإسلامي كله من صنع [1] (فقهاء) الأمة دون تدخل من الحكومة ... والجهاد في سبيل الله تحول خلال العصر العباسي إلى مؤسسة شعبية ، فكان المرابطون في الثغور متطوعين يعيشون على جهدهم ، ويعون قليل جدًّا من الدولة ، والحسبة وهي رقابة

(١) الأدق القول من (اجتهاد) الفقهاء في القضايا المستحدثة التي كانت محلًّا للاجتهاد .

الأسواق كانت مؤسسة ، إذ كان أفرادها يُختارون من بين الفقهاء ، وكان عمادهم الأكبر على الجمهور لا على العدد القليل من الشرطة أو الأعوان الذين كانت الدولة تضعهم تحت تصرفهم .

ومعنى ذلك أن الدولة لم تقم على مؤسسات في حين قامت الأمة على مؤسسات ، ومن هنا كانت الدول ضعيفة والأمة بخير رغم ما أصابها من مساءات الحكام ومظالمهم ، وإذا كانت الحضارة كلها ثمرة جهود الناس أي الأمة ، فإن حضارة أمم الإسلام ظلت حية نشطة معظم الوقت تقريبًا ، نعم كانت عصور ازدهار وركود ، ولكن الركود لم يصل إلى درجة الجمود التام قط ، لأن الأمة كانت تغذّي مؤسساتها الحضارية العامة : كالقضاء ، والعلم ، والفقه ، والحسبة ، ومؤسساتها الخاصة : كالنقابات ... والمدارس [1] .

وسيتضح لنا من اتباع الأسس المنهجية لتجديد حضارة الإسلام :

خطأ تصور المنهج المتبع بواسطة المخالفين للاتجاه الإسلامي ؛ فلو عالجوه لصحت لهم النتائج بدلًا من المضي في إصدار الأحكام الخاطئة الناجمة عن اتباع

---

(١) د. حسين مؤنس (الحضارة) ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، عالم المعرفة / الكويت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م .
هذا ، وقد درس مؤرخ الإسلام الأمريكي البارز ريتشارد بوليت مجتمع نيسابور في حقبة التشكل الاجتماعي الإسلامي المبكرة ، أي القرن الرابع إلى السادس الهجري ، موفرًا صورة بالغة التفاصيل للأسر المؤثرة لمجتمع العلماء ، المدرسين والمدارس والقضاء وانتشار المذاهب الفقهية .. ويستخلص من ذلك أن المؤسسات الاجتماعية حينذاك نظمت نفسها بمعزل عن التدخل المباشر للدولة ، حيث ظل دور الدولة في حياة الناس محدودًا وقدرتها على تشكيل هذه الحياة ظلت هامشية .
وظلت منظومة الاجتماع السياسي الإسلامي محافظة على ملامحها الرئيسية حتى منتصف القرن التاسع عشر ، د. بشير نافع ، مقال بعنوان (نهاية الطريق لمسيرة الدولة العربية الحديثة) مجلة المختار الإسلامي ، العدد ٣٧٩ ، ربيع أول وربيع آخر ١٤٣٥هـ - ٢٨ فبراير ٢٠١٤م .

منهجهم الذي يقلدون به فلاسفة الغرب في تفسيراتهم لتاريخهم الذي اتخذ مجرى مخالفًا تمامًا لمجرى تاريخنا الحضاري.

ولابد من التنويه في النهاية بأننا نستخدم مصطلح (المشروع الإسلامي) لأنه المصطلح السائد الآن على الساحة السياسية، ولكن الحقيقة أنه يتضمن (تجديد الحضارة الإسلامية)؛ لأن كلمة (مشروع) توهم بأنه أمر مستجد، بينما الحقيقة أن الحضارة الإسلامية بدعاماتها وسماتها هي الأصل وظلت حية منذ عصر النبي ﷺ بمنجزاتها وانكساراتها على مدى الدول: الأموية، والعباسية، والعثمانية، وما اختفت معالمها إلا منذ الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين، ثم جاءت الطعنة القاتلة بواسطة «أتاتورك» اليهودي بإلغائه الخلافة ١٩٢٤م فقضى على أبرز ملامح حضارة الإسلام، أي عالميتها.

بعض سنن النصر:

قال - تعالى -: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وفي تفسير السعدي - رحمه الله - قوله: «هذا من وعوده الصادقة التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعدَ من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة أن يستخلفهم في الأرض، فيكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأن يمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم - وهو دين الإسلام - الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن سيتمكنوا من إقامته وإقامة

شرائعه الظاهرة والباطنة ، في أنفسهم وفي غيرهم لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين ، وأنه يبدلهم أمنًا من بعد خوفهم حيث كان الواحد فيهم لا يتمكن من إظهار دينه ، وما هو عليه ، من أذى الكفار ، وكون جماعة المسلمين قليلين جدًا ، بالنسبة إلى غيرهم ، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة ، وبغوا لهم الغوائل .

فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية ، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض ، والتمكين فيها ، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي ، والأمن التام ، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئًا ، ولا يخافون أحدًا إلا الله ، فقام صدر هذه الأمة ، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوق على غيرهم ، فمكّنهم من البلاد والعباد ، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها ، وحصل الأمن التام ، والتمكين التام ، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة ، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة ، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح ، فلابد أن يوجد ما وعدهم الله ، وإنما يسلط الله عليهم الكفار والمنافقين ، ويُديلهُم في بعض الأحيان بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح »[1] .

أسباب الهزائم والنكبات :

تبين لنا من الآيات القرآنية السابقة وعد الله – تعالى – بالاستخلاف في الأرض والتمكين للمسلمين إذا قاموا بالإيمان والعمل الصالح ، وبمفهوم المخالفة ، إذا عصوا وخالفوا شريعة الله ﷻ فإنه يسلّط عليهم أعداءهم .

ويتطابق تاريخنا مدًّا وجزرًا مع هذه السنة الإلهية .

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، مكتبة الصفا بالقاهرة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م .

وكان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله سبَّاقًا وملهمًا في تفسيره للتاريخ الإسلامي (وبلغة عصرنا فلسفة التاريخ) بحيث يصلح لتعليل أحداث تاريخنا كله ، ونحن نستخدمه في بحثنا لنقنع بني جلدتنا بأن تفسير عمر بن عبد العزيز يصلح لتقديم رؤية واضحة وحكمًا صحيحًا على الأحداث السياسية في تاريخ الأمة الإسلامية المعاصر بصفة خاصة منذ إلغاء الخلافة العثمانية ١٩٢٤م ، وما لحقها من تداعيات خارجية - حيث تقاسمت إنجلترا وفرنسا بلادنا بمعاهدة سايكس بيكو - وداخلية بقيام حركات الانقلابات عسكرية - باسم الثورات - لتسير على خُطى « كمال أتاتورك » اليهودي الحاقد على الإسلام وأمته ، وأخذت أجهزة الإعلام تزوّر التاريخ وتتلاعب بعقول الجماهير ؛ فصوّرت الهزائم نصرًا ، والحكام الفراعنة أبطالًا ، بينما حقيقة الأمر أن قادة الانقلابات العسكرية انتزعوا بلادهم من أحضان الشريعة الإسلامية ، واستبدلوا بها القوانين الوضعية ، والفلسفة الماركسية في الاقتصاد والسياسة [1] ؛ فماذا كانت النتيجة ؟!

هزائم عسكرية - أشدها هولًا ضياع القدس - وانهيار أخلاقي ، وتدهور اقتصادي ، وضعف وهوان أمام دول العالم ، وتراجع في كافة المجالات الثقافية والتعليمية والتربوية ، وسبب ذلك كله إقصاء الإسلام بعقيدته وشريعته ، بل محاربة الملتزمين به وإلقائهم بالسجون ، وتشويه سيَر علماء الإسلام عن طريق الدعايات الكاذبة المتسلطة على العقول .

وآن لنا بعد أن نتعلم الدرس المستفاد منها ، ويتلخص في قول الإمام مالك - رحمه الله تعالى - : « لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » .

---

(١) كما حدث في مصر والجزائر ، وتسلط حزب البعث بقيادة « ميشيل عفلق » على الجماهير في سوريا والعراق ، وأخذ « بورقيبة » في تونس يحض الشعب على الإفطار في رمضان !

وإذا استرجعنا كتاب عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى – فسنجد ذلك بإسهاب .

قال : « وقد أحببتُ في كتابي هذا أن تعرفوا الحال التي كنتم عليها قبل نزول كتاب الله – تعالى – وسنة نبيه ﷺ من الضلالة والعمى ، وضنك المعيشة ، والذي أبدلكم الله من الكرامة والنصر والعافية والجماعة ، وسلب لكم مما كان في أيدي غيركم مما لم تكونوا لتسلبوه بقوتكم لو وكلكم إلى أنفسكم . كان قد شرط ذلك للمؤمنين ، وأعطاهم إياه إذ شرط عليهم شرطه ، فقد وفاكم الله ما شرط لكم ، وهو آخذكم بما اشترط عليكم ، قال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] .

فقد أنجز الله لكم وعده ، فأنجزوا دين الله في رقابكم أن يكفر كافر بنعمة الله ، أو ينسى بلاءه ، فيجده على الله هينًا ويطول خلوده فيما لا طاقة له به ... » . إلى أن يقول أيضًا في نفس الغرض : « ولا كنتُ أرى المنزل الذي أتى به لمن عسى أن يعمل بغير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ غبطة ولا كرامة ، ولا رفعة ، ولا الدنيا وما فيها ، فمن كان سائلًا عن الذي في نفسي ، وعن بغيتي في أمر أمة محمد ﷺ ؛ فإن الذي في نفسي وبغيتي منه – والحمد لله رب العالمين – : أن تتبعوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وأن تجتنبوا ما مالت إليه الأهواء والزيغ البعيد ، ومن عمل بغيرهما فلا كرامة ولا رفعة له في الدنيا والأخرى »[1] .

وتتضمن السطور الأخيرة خلاصة طريقة تجديد حضارة الإسلام .

---

(١) ابن الحكم (سيرة عمر بن العزيز على ما رواه الإمام مالك وأصحابه) ص ٦٣ ، ٦٥ تحقيق أحمد عبيد ، مكتبة وهبة بالقاهرة ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٤م .

دور الرسول ﷺ في نشأة الدولة الإسلامية الأولى :

إن الفترة التأسيسية من حياة الأمة الإسلامية تحل يد الرسول ﷺ بالغة الأهمية في تاريخنا الإسلامي « إذ هي القاعدة التي بدأ منها التاريخ الإسلامي ، وبدون دراستها دراسة صحيحة وفهمها فهمًا سليمًا لا يمكن الإلمام بأحداث هذا التاريخ ، وفهم تطوراته في الداخل والخارج ، فهمًا صحيحًا »[1] .

ونبدأ بالأصول العامة للإسلام التي نزل بها القرآن على الرسول ﷺ ، والتي تحققت في الواقع فاستحقت الأمة الإسلامية وصف الخيرية ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

يلخص لنا الإمام « الشاطبي » - رحمه الله - الأصول العامة للإسلام التي نزل بها القرآن على الرسول ﷺ ، بقوله : (اعلم أن القواعد الكلية هي الموضوعة أولًا ، والذي نزل بها القرآن على النبي ﷺ بمكة ، ثم تبعها أشياء بالمدينة ، كملت بها تلك القواعد التي وُضع أصلها بمكة ، وكان أولها : الإيمان بالله ورسوله ﷺ ، واليوم الآخر ، ثم تبعه ما هو من الأصول العامة ؛ كالصلاة ، وإنفاق المال ، وغير ذلك .

ونهى عن كل ما هو كفر أو تابع للكفر ؛ كالافتراءات التي افتروها من الذبح لغير الله ، وللشركاء الذين ادّعوهم افتراءً على الله ... وأمر مع ذلك بمكارم الأخلاق كلها : كالعدل ، والإحسان ، والوفاء بالعهد ، وأخذ العفو ، والإعراض عن الجاهل ، والدفع بالتي هي أحسن ، والخوف من الله وحده ، والصبر والشكر ،

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف (الدولة الإسلامية الأولى) المقدمة ، دار القلم بالقاهرة ، ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٥م .

ونحوها ، ونهى عن مساوئ الأخلاق من الفحشاء ، والمنكر ، والبغي ، والقول بغير علم ، والتطفيف في المكيال والميزان ، والفساد في الأرض ، والزنى ، والقتل ، والوأد ، وغير ذلك مما كان سائرًا في الجاهلية ، وإنما كانت الجزئيات المشروعات بمكة قليلة ، والأصول الكلية كانت في النزول والتشريع أكثر .

ثم لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة ، واتسعت خُطّة الإسلام كملت هناك الأصول الكلية على تدريج كإصلاح ذات البين ، والوفاء بالعقود ، وتحريم المسكرات ، وتحديد الحدود التي تحفظ الأمور وما يكملها ويحسّنها ، ورفع الحرج بالتخفيفات والرخص ، وما أشبه ذلك كله تكميل للأصول الكلية) [1] .

أما دور رسول الله ﷺ كرئيس دولة ، فيتضح من وضعه لدستور ينظم الحياة العامة في المدينة ، وقد عُرف بالصحيفة .

يقول الأستاذ « أحمد إبراهيم الشريف » : (ولا نكاد نعرف من قبل دولة قامت منذ أول أمرها على أساس دستور مكتوب غير هذه الدولة الإسلامية ، فإنما تقوم الدول أولًا ثم يتطور أمرها إلى وضع دستور) [2] .

وقد رسمت الصحيفة التخطيط العام للأمة ، وأعطيت الأسس للجماعة الإسلامية ووصفتها بالأمة ، وفكرة الأمة كانت جديدة بالنسبة للعالم اليوناني والروماني القديم ، فالإيمان هو رباط وحدتها ، ورسالة الأمة نشر الدعوة إلى الله ﷻ بوسيلة سليمة دون فرض الدين بالإكراه (لا إكراه في الدين) ، وتلجأ للجهاد بقصد الدفاع وإعزاز الدولة الإسلامية بحيث تعيش في أمن عام (وإتاحة الفرصة

---

(١) الشاطبي (الموافقات في أصول الشريعة) جـ٣ ص ٧٧ ، ٧٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٢) أحمد إبراهيم الشريف (الدولة الإسلامية الأولى) ص ٦٩ ، دار القلم بالقاهرة ، ١٩٦٥م ، ١٣٨٤ هـ .

للمبادئ أن تسير حجة بحجة وبرهانًا ببرهان ، دون أن تقف القوى المادية المسلحة في طريقها فتصدها أو تعنت أصحابها فتعطل من سيرها »[1] .

وللتوسع في شرح « الإستراتيجية » التي اتبعها الرسول ﷺ في التربية والإعداد ، نقتبس عدة أسطر من مقال للواء الدكتور « محمد كمال عبد الحميد » يقول فيه :

(فلنرجع إلى تأمل « الإستراتيجية الإسلامية » أو بمعنى أصح إلى « حكمة الحركة الإسلامية » التي أوحى الله - تعالى - بها لرسوله ﷺ ، وكيف كان تخطيطها ... فقد بدأت بإعداد المسلم ذاتيًا ونفسيًا في مجتمع مكة وأمضى الرسول - عليه الصلاة والسلام - ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى توحيد الله ﷻ ويواجه التحديات من قريش ... وصبرَ وصمدَ حتى رسخت العقيدة تمامًا في قلوب أصحابه المؤمنين ، وتأهلّوا تمامًا للانطلاق إلى مرحلة البناء والعمل الميداني ... فكانت الهجرة إلى المدينة التي اختارها الله - سبحانه - مقامًا ومنطلقًا للدعوة ... فهي بحكم وطبيعة موقعها الجغرافي قاعدة « إستراتيجية » صالحة تمامًا لممارسة الانطلاق عالميًا بالدعوة .

ومنها كان الانطلاق شمالًا لمواجهة الروم ، وشرقًا لمواجهة الفرس ... وغربًا لفتح أفريقيا ... وهكذا انتشر الإسلام بعد أن :

١ - تم إعداد الداعية والمجاهد المسلم إعدادًا تربويًا ... ومعنويًا ... وعقائديًا ... وعسكريًا ... وكان هذا هو الإعداد الإستراتيجي ، وبدأ في مكة .

٢ - وبعد ممارسة الجهاد في الغزوات ، واكتساب الخبرة « الميدانية » ، وزيادة

---

(١) نفسه ص ٨٩ .

قدرته المادية بالعمل والزراعة والتجارة ... وبمغانم الغزوات توفرت لـه القـدرة الاقتصادية، وبدأ الانطلاق ميدانيًا لتنفيذ أمر الله - تعالى - بالدعوة إلى دينه).

... إلى أن يقول: (لهذا نرى أن حل كل مشاكلنا يبدأ بتربية الإنسان ... وقد ثبت فشل كل محاولات الترقيع التربوي « الفهلوي » وخاصة بعد ثبوت إدانة مسئولين كبار أساءوا في أداء أمانة في الرقابة، وفي الامتحانات، وفي الغش المدعوم بسلطان الدولة وتعاون أجهزة الأمن، والتربية، والحكم المحلي، والمجالس الشعبية في تطوير وتعميم الغش الجماعي، كما هو معلوم، وفي المتاجرة بتأليف الكتب الحكومية الحافلة بالفضائح والأخطاء ... وهل ننتظر بعد ذلك إصلاحًا ؟! لماذا ؟ وكيف ؟) [1].

ويقول الدكتور « عماد الدين خليل »: (لقد تمكَّن الرسول ﷺ من تشكيل المجتمع القدوة، المجتمع النموذج الذي بلغ مرتقى صعبًا لم يكن بمقدور مجتمع في تاريخ البشرية أن يبلغه، وكان هذا يدل على النجاح الباهر لرسول الله ﷺ في مهمته من جهة، وعلى قدرة الإسلام من جهة أخرى على تغيير الإنسان والنسيج الاجتماعي بالتالي أو إعادة بنائه بتعبير أدق) [2].

ويقصد بقدرة الإسلام أنه بالحرص على تعاليمه ظل المجتمع محافظًا على مطالب العبادة بمفهومها الشامل مرورًا بمسألة القيَم، والمعاملات، والآداب، والسلوك؛ مما جعله قادرًا على حماية ذاته من التراخي، وظل قادرًا على العطاء الدائم والاستجابة المتواصلة للتحديات ... فالإسلام كان يقود هذا المجتمع ويصيغه؛ لأنه دين الحركة الدائمة والجهاد الماضي إلى يوم القيامة.

---

(١) د. لواء كمال عبد الحميد (الشباب والثقافة الإستراتيجية) مقال بمجلة الاعتصام ص ٢٨، العدد الرابع ١٥ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ، أغسطس ١٩٨٨م.

(٢) عماد الدين خليل (في التأصيل الإسلامي للتاريخ) ص ٢١١.

وقد استطاعت المجتمعات الإسلامية مواصلة التزامها على سائر المستويات : العبادات ، المعاملات ، القيَم الخُلُقية وآداب السلوك ، وصولًا إلى مطالب العقيدة الكبرى : الحركة الجهادية لإسقاط الطاغوت من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا [1] .

وبهذا الالتزام بأصول الإسلام ومبادئه حافظت الأمة الإسلامية على استمراريتها بالرغم من تخلي بعض القيادات عن مسئوليتها بدرجة أو بأخرى .

ويقع بعض الدارسين في خطأ بالغ إذ يتصورون أنه بمجرد ضلال قيادة ما عبر التاريخ الإسلامي ، وتخليها عن الالتزام وانفلاتها ؛ فإن المجتمع سينفلت ويضل هو الآخر !

ولكن الحقيقة أن المجتمعات الإسلامية ظلت تواصل التزامها دون أن يكون هناك ارتباط مباشر محتوم بين الحاكم والمحكوم ، بل أخذت هذه المجتمعات تدافع عن ذاتها إزاء حكامها ... فرغم الأخطاء التي شهدها العصر الأموي أو العباسي أو الأندلسي أو المملوكي أو العثماني على مستوى الحكم ؛ فإن المجتمعات الإسلامية ظلت تواصل مسيرتها الإسلامية باذلة جهدًا مزدوجًا هذه المرة ، إذ كان عليها أن تحمي التزامها أولًا وأن تسعى بهذه الصيغة أو تلك إلى رد السلطان إلى جادة الصواب : (إلى حكم القرآن) » [2] .

ويرى الدكتور « حسن مؤنس » أيضًا : أن الدارس لتاريخنا الإسلامي يستخلص منه أنه كان لدينا دائمًا كيانان : كل منهما قائم بذاته : الجماعة الإسلامية ، والدولة الإسلامية ، وكان لكل منهما ذاتيته واستقلاله ، واختصاصاته وميادين

---

(١) نفسه باختصار ص ٢١٢ ، ٢١٤ .

(٢) نفسه ص ٢١٥ .

نشاطه ... وفي عهود الحكومات الصالحة - كالنظام في عهد الخلفاء الراشدين - نجد الهيئتين متطابقتين ، أما في عهود الحكم السيئ ، فنجد الجماعة في طريق والحكومة في طريق آخر .

لذلك فإن التاريخ الحقيقي لشعوب الإسلام هو تاريخ جماعاته أو أممه في كل مكان ، فإن الجماعة الإسلامية جعلت دأبها المحافظة على كيانها من شرور الحكام ، وحرصت كذلك على الحفاظ على الإسلام ، وهو سر قوتها ، وصارت الجماعة هي مركز القوة برغم ما قاسى أفرادها من إعنات الحكام .

وكان يمثّل الجماعة الإسلامية الصفوة من العلماء والفقهاء ، فقد كان (الوزراء) و(كتاب ديوان الإنشاء) و(أهل الحساب والشئون المالية) و(القضاة) و(أهل العلم) و(الشيوخ) ، كان هؤلاء يقبضون على نصيب كبير من زمام الحكم فعلًا ، وهذا النصيب هو الذي استطاعت به أن تصل إليه وتحتكره الجماهير في مختلف بلاد الإسلام ... أضف إلى ذلك : المجاهدين المتطوعين لله - تعالى - دون أن يتقاضوا من الحكومة رزقًا أو عطاءً ، وهم أهل الرباطات على الثغور ، عاشوا مجاهدين وماتوا شهداءً ، وإلى هؤلاء المطوعة والمرابطين من أبناء أمة الإسلام يرجع الفضل في الكثير من الانتصارات [1] .

واستكمالًا للحديث عن (الصحيفة) بالمدينة المنورة ، يقول الدكتور « عماد الدين خليل » :

(شرع الرسول ﷺ في الكتابة لملوك ورؤساء الدول ؛ لتأكيد (عالمية الإسلام) ، وتحقيقًا لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، أي

---

(١) د. حسين مؤنس (عالم الإسلام : دراسة في تكوين العالم الإسلامي وخصائص الجماعات الإسلامية) باختصار صفحات ٢٥ - ٢٦ - ٤١ - ٢١٠ ، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م .

لا لقريش ولا للأمة العربية ، ولا لعصر معين ، بل رحمة للعالمين على امتداد العالمين في الزمان والمكان)[١] ، (ولقد كانت مكاتبات الرسول ﷺ حملة إعلامية على النطاق الدولي على أن هذا الدين ليس دين العرب أو جزيرة عربية ، وإنما هو دين الإنسان حيثما كان هذا الإنسان ، ونداء إلى السلطات الحاكمة أن تستجيب للدعوة أو تسمح – على الأقل – لدعاتها بممارسة نشاطهم بحرية ، ولشعوبها في مقابلة هؤلاء الدعاة والاستماع إليهم ، بل يختاروا عقيدتهم على بيّنة ، بعيدًا عن الضغط والقسر والإكراه)[٢] .

لذلك كان الهدف من الجهاد هو نشر النظام الإسلامي في العالم كله واستلام القيادة السياسية من الطواغيت ، وتحويلها إلى أناس يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا[٣] .

فلم تُفرَض العقيدة الإسلامية بالقوة كما يتصور البعض ، كما أن الفتوحات لم تكن بهدف الحصول على الغنائم لتحقيق الغنى بعد الفقر أو مغادرة الصحراء لجدبها والاتجاه نحو الأراضي الخصبة !

كل هذه المزاعم يدحضها الواقع التاريخي من خلال طبيعة قانون الجهاد في الإسلام ، ومن تصريحات قادة المسلمين وسفرائهم « إن ما قاله « المغيرة بن شعبة » و« ربعي بن عامر » لـ« رستم » قائد الجيش الفارسي ، وما قاله « المغيرة بن زرارة » لكسرى نفسه « يزدجرد الثاني » ليس سوى نماذج فحسب لما قيل في هذا الاتجاه ... « ما لهذا – أي طلب المال – جئناكم ، فوالله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم ،

---

(١) د. عماد الدين خليل (في التأصيل الإسلامي للتاريخ) ص ١٠٩ ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ١٩٩٨م .

(٢) نفسه ص ١١٢ .

(٣) نفسه ص ١٤١ .

ولقتالكم بعد أحب إلينا من صلحكم » ، و« إن الله بعثنا ليخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده »[1] .

الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم :

وعند التطبيق قام الخلفاء الراشدون بعد رسول الله ﷺ بالسير قدمًا لتأسيس الحضارة الإسلامية بصبغتها الأخلاقية الروحية والمادية معًا جنبًا إلى جنب .

يقول « جوستاف لوبون » : (وكان الخلفاء الأولون ، وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي من صحابة محمد ﷺ ، وقد اقتدى هؤلاء الخلفاء بمحمد ﷺ في زهده وبسيط عاداته ، فلم يترك أبو بكر رضي الله عنه حين وفاته غير ثوبه الذي كان يلبسه ، وبعيره الذي كان يركبه ، ومولاه الذي كان يخدمه ، ولم يأخذ من بيت المال في حياته سوى خمسة دراهم مُيَاوَمَة ليعيش منها ، وكان عمر رضي الله عنه يلبس ثوبًا مرقعًا ، وينام على درج المسجد بين المساكين مع اقتسامه هو وجنوده مغانم كثيرة)[2] .

ويصور « جوستاف لوبون » كيف استطاع العرب منذ أوائل القرن الثاني من الهجرة توسيع رقعة حدود دولتهم من جبال البرنات وجبل طارق إلى الهند ، ومن شواطئ البحر المتوسط إلى رمال الصحراء .

وصار معظم آسية خاضعًا لسلطان الخلفاء الممتد من جزيرة العرب إلى التركستان ، ومن وادي كشمير إلى جبال طورس ، وعُبِّدت بلاد فارس ، وصار ملوك كابل وجميع أمراء وادي السند يُعطون الجزية ، وأضحى العرب (الأولى

---

(١) نفسه ص ١١٨ .

(٢) د. جوستاف لوبون (حضارة العرب) ص ١٣٧ ، ترجمة عادل زعيتر ط عيسى الحلبي وشركاه بمصر ١٩٦٩م .

القول : المسلمون) مالكين لإسبانية ولجزر البحر المتوسط ، وأضحوا في إفريقية مالكين لشمالها ولمصر [١] .

وكان « لوبون » دقيقًا في وضعه فيصلًا للتفرقة بين فتوحات المسلمين وغزوات البرابرة الذين استولوا على العالم الروماني ، والترك ، وغيرهم ، إذ استطاعوا إقامة دولة عظيمة ، ولكن لم يؤسسوا حضارة (وعكس ذلك أمر العرب الذين أنشأوا بسرعة حضارة جديدة كثيرة الاختلاف عن الحضارات التي ظهرت قبلها ، والذين تمكنوا من اجتذاب أمم كثيرة إلى دينهم ولغتهم ؛ فضلًا عن حضارتهم الجديدة ، واتصلت بالعرب أمم قديمة كشعوب مصر والهنود ، واعتنقت معتقدات العرب وعاداتهم وطبائعهم ، وفن عماراتهم ، واستولت بعد ذلك الدور أمم كثيرة على الأقطار التي فتحها العرب ، فظلّ نفوذ العرب فيها ثابتًا) [٢] .

ثم يعلّق على ذلك بقوله : (ويلوح لنا رسوخ هذا النفوذ إلى الأبد في جميع البقاع الآسيوية والإفريقية والتي تمتد من مرّاكش إلى الهند) .

ثم يستثني الإسبان وحدهم الذين استطاعوا التخلص من الحضارة العربية ، ويختم قوله بملاحظة قاسية ، إذ يذكر أنهم لم يضعوا هذا « إلا ليقعوا في الانحطاط العُضال » [٣] .

الدكتور محمد حسين هيكل شاهد على انحراف المنهج التغريبي :

يقول في تشخيصه لأزمة المثقفين المتغربين :

(كيف نستطيع أن ننقل ثقافة الغرب الروحية لتنهض بهذا الشرق ، وبيننا

---

(١) نفسه ص ١٤٣ .

(٢) نفسه ص ١٣٦ .

(٣) نفسه ١٣٦ ، ونحن نعجب من إصرار « لوبون » على إطلاق اسم حضارة العرب على حضارة الإسلام ، وربما يرجع ذلك إلى الحقد الصليبي الذي يضمره في قلبه !

بين الغرب في التاريخ وفي الثقافة الروحية هذا التفاوت العظيم ؟! لا مفر إذن من أن نلتمس في تاريخنا وثقافتنا ، وفي أعماق قلوبنا وفي أطواء ماضينا هذه الحياة الروحية ، نحيي بها ما فتر من أذهاننا وخمد من قرائحنا وجمد من قلوبنا) [1] .

ويمضي قائلًا :

ورأيت أن تاريخنا الإسلامي هو وحده البذر الذي ينبت ويثمر ، ففيه حياة تحرك النفوس وتجعلها تهتز وتربو .

الفكرة الإسلامية المبنية على الإيمان بالله تخالف ما يدعو إليه عالمنا الحاضر من تقديس القوميات ، وتصوير الأمم وحدات متنافسة ، يحكم السيف ، وتحكم أسباب الدمار بينهما فيما تتنافس عليه .

إن الأمة التي لا يتصل حاضرها بماضيها خليقة أن تضل السبيل ، وإن الأمة التي لا ماضي لها لا مستقبل لها .

ويعني بالماضي الحياة الإسلامية الأولى في عاصمة الإسلام (المدينة المنورة) عندما أقام الرسول ﷺ بها ، وعقد بين أهلها من الأوس والخزرج واليهود الوثيقة وجعل سياسته ﷺ فيها سياسة قوة لا يتطرق إليها الضعف ، وإن لم تشبها شوائب العدوان على الغير ، وسياسة القوة هذه كانت مقدمة حياة الجهاد الذي اندفع إليه المسلمون من يومئذ إلى أن بدأت نُذُر الانحلال أيام الدولة العباسية .

وكانت أخلاقيات المسلمين أيام الرسول ﷺ كما يصورها الدكتور « هيكل » تتسم بالقوة والإيثار ، حيث تنازل كثيرون منهم عن مالهم لله وفي سبيل الله ... وليس يسمو أحد إلى ما يسمو إليه المجاهد المؤثر من أمثال الحياة العليا ، فإذا بلغ

---

(١) د. محمد حسين هيكل (في منزل الوحي) ط ٩ ، دار المعارف بمصر ٢٠٠٢م ، ٢٣ ، ٢٤ .

المؤثر من إيثاره أن نسي نفسه في إخوانه ، وأن أحب إخوانه في الله لم تغلبه قوة في الأرض حيًّا ، فإن مات بقي من ذكر جهاده ما يكفل لمثله الأعلى النصر لا محالة [1] ، ويضرب الدكتور هيكل مثلًا للإيثار بما فعله الخليفة الرابع عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي اشترى بئر رومة بعشرين ألف درهم لتكون خالصة للمسلمين ... ويمضي قائلًا : « هذه كانت حياة المسلمين الأولين في المدينة ، وبهذا تُحدث آثارها ويشهد ظاهرها . فلما نسي المسلمون ما لله من المثَل الأعلى ، وعكفوا على أنعم الحياة وتوهموها الغاية من الحياة ، بدأت نذر الانحلال يدب دبيبها فيهم ، وتسري جراثيمها إليهم » .

ثم انحدرت أحوال المسلمين وأصبحوا أسوأ عنوان لدين هو دين الكمال ، والمثل الأعلى .

وإن يرد المسلمون خروجًا من هذا الهوان ، فليعيدوا سيرة السلف الأولين في القوة على الحياة ، والإيثار على النفس ، وفي البر والتقوى ، وليذكروا قوله تعالى :

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وقوله – جلَّ شأنه – : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

---

(١) نفسه ص ٥٨٨ .

ويعقّب الدكتور « هيكل » على ذلك بقوله : (إنهم إنْ فعلوا فآثروا على أنفسهم ، وذكروا الجهاد في سبيله، وتحابوا بنور الله بينهم ، واتخذوا من مثل السلف الأول إسوتهم ، غفر الله لهم ، وغيّر ما بهم ، وأنزلهم مكان العزة ، ورفع عنهم مقته ؛ تلك سنته في الكون فمن تدبرها فاز في الآخرة والأولى ، ورفعه الله مكانًا عليًّا) [١] .

وما أحوجنا في أحوالنا الراهنة للعمل بتلك السُّنَّة الإلهية .

وكان متوقعًا بدعوته هذه وسط تيار تغريبي عارم أن يُتهم بالرجعية ، فقال ردًّا على مخالفيه : « فليغمزني من شاء بالرجعية ، وليتهمني من شاء بمخالفة الإجماع ، وليقدر هذا المجهود من شاء بما يشاء ، فإنما ابتغي به الجزاء من الله يوم تُجزى كل نفس بما كسبت ، ولا يعرف حميم حميًا » .

وأخذ يستنهض الهمم ، ويحث الكتّاب إلى مزيد من العناية بهذه البلاد الإسلامية ، ودراسة حاضرها وماضيها دراسة علمية دقيقة ، ودعوة المفكرين والساسة أولي العزم ليعملوا على إصلاح هذه البلاد ، وليتخذوا من مكة - أم القرى - مقرًّا لعصبة أمم إسلامية .

حديث عن القياس الحضاري للنهضة :

يتضح لنا مما تقدم : الإجماع على اتخاذ عصر (الصدر الأول) نموذجًا يُحتذى ، ومن أفضل الاقتراحات المقدَّمة في هذا الغرض ، هو اقتراح الشيخ الدكتور « مصطفى السباعي » - رحمه الله تعالى - الذي أعياه البحث في سبيل تحقيق نهضتنا بالمقارنة بحضارة العصر ومحاولة اللحاق بها ، فقال : (والهدف الذي نسعى إليه الآن هو

---

(١) نفسه ص ٥٨٩ .

اللحاق بركب الأمم المتحضرة حتى نقاربها في القوة ومستوى المعيشة ، وفي هذه المرحلة ينبغي أن نضع لأنفسنا – مقياسًا – حضاريًا نستمده من مقاييسنا الحضارية على ضوء مشكلات الحضارة الحديثة وحاجياتنا وظروفنا)[1] .

وبنظرة واقعية للقوة المادية التي تملكها الحضارة الغربية ، فإننا لا نستطيع الوصول إلى المستوى الذي وصلت إليه .

(لذلك علينا استكمال قوتنا الذاتية المادية إلى غاية ما نستطيع ، مع وضع « مقياس » حضاري جديد لنا وللإنسانية كلها ، ونحن نملك كل إمكانيات « الاستقلال » في تخير الطريق الصحيح للحضارة ، ومعنا الوقت الكافي لدراسة مقاتلها ومشاكلها لننجو منها في مرحلتنا الحاضرة – لو آمنا بما عندنا وبمقاييسنا التي أثبتت التجارب صحتها ، وبمن يتألف منهم ركبنا الحضاري ، أي بشعبنا العظيم الذي لم تمت فيه جذوة الطموح ، ولم تخبُ عنده نار النضال ، ولم يستسلم للغزاة رغم شدة الضربات ، وتكرار الغزوات ، وتعدد الخيانات)[2] .

(وإذا نجحنا في بلوغ تلك الغاية ، فيومئذٍ سيلتفت إلينا العالم الغربي المنهوك القُوى ، ويأخذ عنا ما يخفف من آلامه – يومئذ تنتقل إلينا قيادة الحضارة ، وتوجيه التاريخ قبل أن يقرر نهاية الإنسانية بعض « المجانين »)[3] .

ويشاركه في هذا الرأي الإمام « أبو الحسن الندوي » – رحمه الله تعالى – إذ يصوِّر حالة الأزمة الروحية والخُلُقية والاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها العالم ، ولن يأتي الإنقاذ إلا بتحول القيادة من الغرب الذي يشمل بريطانيا ،

---

(1) مصطفى السباعي (من روائع حضارتنا) ص ١٦ ، المكتب الإسلامي – دمشق ، بيروت ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م .
(2) نفسه ص ١٧ .
(3) نفسه ص ١٨ .

وأمريكا ، وروسيا ومَن كان على شاكلتهم من الأمم الآسيوية والشرقية – التي تقودها المادية والجاهلية – إلى العالم الإسلامي الذي يقوده سيدنا محمد ﷺ برسالته الخالدة ودينه الحكيم) ... هذا هو التحول الذي يغيِّر وجه التاريخ ، ويحوِّل مجرى الأمور ، وينقذ العالم من الساعة الرهيبة التي ترقبه [(١)] .

ثم يأتي رأي مشابه آخر من مسلم غربي – هو الدكتور « مراد هوفمان » – الذي يصف جذور الأزمة الأخلاقية في الغرب بأنها تعود إلى ٢٥٠ عامًا مضت ، ويقترح لشفائها نقدًا جذريًّا لعقلانية الحداثة وما خلقته من دين بديل ، ثم يحمِّل المسلمين المسئولية بطريقة غير مباشرة لأنهم إذا نجحوا في إقناع الغرب بأن الإسلام يمكن أن يقدِّم لهم الشيء الكثير مما يحتاج إليه الغرب بشدة ويفتقده ، إذ يستطيع أن يحرره وينقذه من أزمته الوجودية (فالإسلام يمكن أن يكون دواءً لداء الغرب) [(٢)] .

ويشاركه في الرأي أيضًا الفيلسوف الفرنسي « رجاء جارودي » إذ يقول تحت عنوان : (الإسلام هو السبيل إلى الخلاص) [(٣)] .

– إن الإسلام يملك اليوم إمكانيات واحتمالات انتشاره بأكثر مما كان في أوج عظمته ، فهو يستطيع أمام هذا الإفلاس المستعصي والمزدوج للنموذج الأمريكي والسوفيتي أن يعيد الأمل إلى عالم مهدد في بقائه بهذا الفشل المزدوج ...

---

(١) أبو الحسن الندوي (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟) ص ٢٢٨ ، مكتبة الإيمان بالمنصورة – مصر ١٩٩٤م .

(٢) د. مراد هوفمان (الإسلام في الألفية الثالثة : ديانة في صعود) ص ٢٢٠ ، تعريب عادل المعلم ، وياسين إبراهيم ، مكتبة الشروق ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م .

(٣) جارودي (الإسلام والقرن الواحد والعشرون – شروط نهضة المسلمين) ص ١١٩ ، دار الجليل – ترجمة كمال جاد الله ١٩٩٧م ، بمصر .

وبالمقارنة بغيره من الأديان ، يتضح أنه خلافًا للهندوكية والبوذية ، فإن الإسلام لا يعتبر العالم شرًّا ، وخلافًا للنصرانية فإنه لا يمتدح الرهبانية .

كذلك فإن الأمة الإسلامية هي أمة ذات مبدأ عالمي ... وهدفها الوحيد تحقيق إرادة الله على الأرض وهي أمة الإيمان [1] .

الحضارة الحقيقية مصدرها الوحي :

« إن التفكير الإسلامي للتاريخ والحضارات يرى أن الوحي هو الأصل والقاعدة في كل شئون الحياة ، بينما الفكر الغربي يحصر الدين والعقيدة في مساحة ضيقة ويعده رافدًا من روافد التفكير البشري ، والفكر العقدي في الغرب ذاته ترك المساحات الأوسع للعقل يعبث بها على هواه » [2] .

والثابت أنه ما قامت حضارة حقيقية إلا في ظل مبادئ الوحي ، أما بعض الحضارات التي قامت على أسس غير الوحي ، فهي في عرف الإسلام مدنيات وليست حضارات ... وما سقطت حضارة أو انتحرت أمتها إلا في ساحة الفساد الأخلاقي والعقيدي ، والحروب والقتال ، والانصراف عن طريق الأنبياء والرسل [3] .

وهناك من الآيات القرآنية الأخرى ما أضافت أسبابًا أخرى : كالظلم ، والتكذيب ، وعدم الإيمان ، والإجرام ، كما يتبين من الآيات التالية ، مع تحذير أمة محمد ﷺ في ارتكاب آثام الأمم التي استحقت الهلاك بسبب ظلمها [4] .

---

(١) نفسه ص ١٢٠ .

(٢) محمد هيشور (سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها) ص ١٤٤ ، دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧م .

(٣) نفسه ص ٦٩ .

(٤) نفسه ص ٢٨١ .

قال – تعالى – : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٣ - ١٤].

وهذه الآيات بيّنت أسباب هلاك تلك القرون السابقة، وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فإن الخطاب موجه إلى أمة محمد ﷺ، فماذا سيعمل هؤلاء المستخلفون في الأرض، وقد علموا أن الله – تعالى – أهلك قرونًا سابقة ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾، أي هل تتخذون هؤلاء الهالكين مثلًا تحتذونهم فتستحقوا من العقاب ما استحقوا، أم تنهجون نهج الحق فتستحقوا جزاء الله وثوابه في الدنيا والآخرة؟[1].

وقال – تعالى – : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [فاطر: ٣٩].

يقول الأستاذ «محمد هيشور»: (ودلت الآيتان السابقتان – أي يونس ١٤، وفاطر ٣٩ – أن خلافة الأرض آلت إلى أمة محمد ﷺ التي بُعث فيها ... وانتهت خلافة الأرض عن الأمم كلها إلى أمته ﷺ، أي إلى المسلمين عبر العصور الآتية كلها، وبذلك باعتبار رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وباعتبار المسلمين ورثة الأمم والرسالات السابقة، قال الطبري في قوله – تعالى – : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: أي جعلكم خلفًا للأمم الماضية والقرون السابقة)[2].

---

(١) نفسه ص ٢٨١.

(٢) نفسه ص ٢٨٢، ٢٨٣.

رأي الشيخ رشيد رضا :

كذلك أدلى الشيخ رشيد رضا بدلوه في أصل الحضارات ، إذ رأى أن الدين هو الأصل في نشأتها ، وهو يستخدم لفظ « المدنية » بدل « الحضارة » :

يقول الشيخ رشيد رضا : (وقد علّمنا التاريخ أنه لم تقم مدنية في الأرض من المدنيات التي وعاها وعرفها إلا على أساس الدين ، حتى مدنيات الأمم الوثنية كقدماء المصريين والكلدانيين واليونانيين ، وعلّمنا القرآن أنه ما من أمة إلا وقد خلا فيها نذير مرسل من الله ﷻ لهدايتها ، فنحن بهذا نرى أن تلك الديانات الوثنية كان لها أصل إلهي ثم سرت الوثنية إلى أهلها حتى غلبت على أصلها ... وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظًا تامًّا إلا الديانة الإسلامية) [1] .

واستثناءً من هذا الحكم القاطع يرى أنه سرى إلى بعض المنتسبين للإسلام أنواعًا من الوثنية الجلية أو الخفية كالنصيرية وسائر الباطنية وغيرهم ممن غلب عليهم التأويل أو الجهل ... ثم يؤكد مرة أخرى أن اتّباع الرسل وهداية الدين أساس كل مدنية ؛ **لأن الارتقاء المعنوي هو الذي يبعث على الارتقاء المادي** ، مستشهدًا بكلام شيخ الفلاسفة الاجتماعيين (هربرت سبنسر) القائل بأن آداب الأمم وفضائلها التي هي قوام مدنيتها مستندة كلها إلى الدين وقائمة على أساسه ، وأن بعض العلماء يحاولون تحويلها عن أساس الدين وبناءها على أساس العلم والعقل ، وأن الأمم التي يجري فيها هذا التحويل لابد أن تقع في طور التحويل في فوضى أدبية لا تعرف عاقبتها ولا يحدد ضررها ، هنا معنى كلامه في بعض كتبه [2] .

(١) تفسير المنار جـ ٤ ، ص ٤٢٩ ، ط مكتبة القاهرة بميدان الأزهر - بدون تاريخ .
(٢) نفسه ص ٤٣٠ .

سنة الله - تعالى - في دفع الحق بالباطل :

قال الشيخ « عبد الرحمن السعدي » - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

قال : (أي : لولا أنه يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار وتكالُب الكفار ؛ لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها ، وإقامتهم شعائر الكفر ، ومنعهم من عبادة الله - تعالى - ، وإظهار دينه ...

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

حيث شرع لهم الجهاد الذي فيه سعادتهم والمدافعة عنهم ، ومكّنهم من الأرض بأسباب يعلمونها ، وأسباب لا يعلمونها) [١] .

وفي تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ [الحج : ٤٠] ، قال : « فيدفع الله بالمجاهدين في سبيله ضرر الكافرين ، ﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ﴾ أي : لهدمت هذه المعابد الكبار لطوائف أهل الكتاب ، معابد اليهود ، والنصارى ، والمساجد للمسلمين ، ﴿ يُذْكَرُ فِيهَا ﴾ أي في هذه المعابد ، ﴿ ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ تقام فيها الصلوات ، وتتلى فيها كتب الله ، ويذكر فيها اسم الله بأنواع الذكر ، فلولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ، لاستولى الكفار على المسلمين ، فخرَّبوا معابدهم ، وفتنوهم عن دينهم ، فدلّ هذا أن الجهاد مشروع لأجل دفع الصائل المؤذي ، ومقصود لغيره .

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص ٩٢ ، تحقيق عبد الرحمن اللويحق ، دار ابن حزم - بيروت ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م .

دل ذلك على أن البلدان التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة الله ، وعمرت مساجدها ، وأقيمت شعائر الدين كلها ، من فضائل المجاهدين وببركتهم دفع الله عنها الكافرين ...

وقال - تعالى - في وعده الصادق ، المطابق للواقع : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي : يقوم بنصر دينه مخلصًا له في ذلك - يقاتل في سبيله - لتكون كلمة الله هي العليا ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي : كامل القوة - عزيز لا يرام ، قد قهر الخلائق ، وأخذ بنواصيهم ، فابشروا يا معشر المسلمين فإنكم وإن ضعف عَدَدُكم ، وعُدَدُكم وقوي عدَدُكم عدكم وعدتهم ، فإن ركنكم القوي العزيز ، ومعتمدكم على من خلقكم ، وخلق ما تعملون ، فاعملوا بالأسباب المأمور بها ، ثم اطلبوا منه نصركم ، فلابد أن ينصركم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد : ٧] ، وقوموا أيها المسلمون بحق الإيمان والعمل الصالح ، فقد ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور : ٥٥][1] .

قال - تعالى - : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

إن دفع الفساد من الأرض يكون بقيام جماعة خيّرة تهتدي بدين الله ، وتدرك أنها مكلفة بدفع الباطل وإزالته ، وبناء الحق في الأرض ؛ وإلا فالنار مثواها ... تنهض بهذا الدور النبيل ، وتحتمل الصعاب تحقيقًا لرضا الله ، وتبدأ الصراع مع

(١) نفسه ص ٥١٢ .

الباطل تدفعه عن ظهور الناس ... ولا تزال تصارعه حتى تصرعه ، ويسود حكم الله في الأرض»[١] .

وقال - تعالى - : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج : ٤٠] .

« وقد جعل الله تدافع الناس وتحاربهم وسيلة من وسائل كبح جماح الباطل ؛ لأن المؤمنين إذا لم يرفعوا السلاح فإن الباطل سيقتلهم ويهدم دور العبادة في الأرض كلها ... ولينصرن الله نتيجة هذا التدافع والتحارب أنصاره المؤمنين الذين إن أزالوا الطواغيت ووصلوا إلى قيادة الناس ، فإنهم لا يطغون ولا يبغون ، لكنهم يقيمون الصلاة ذكرًا لله ولشرعه ، وتعظيمًا له ، ويدفعون المال يزكون أنفسهم من الشح ، ومجتمعهم من الفقر ، ويرفعون لواء الخير في العالم ويدعمونه ، ويزيلون من بين ظهور الناس الباطل والظلم ، حتى يرث الله الأرض »[٢] .

لماذا تعثر المشروع الإسلامي ؟

إن من متابعة الصراع المستمر بين المجددين من علماء المسلمين والدعاة والمفكرين من جانب ، وبين علماء الغرب من الساسة والمجندين لتنفيذ المشروع الصليبي والصهيوني في جمعيات الروتاري والماسونية ، وباقي الطابور الخامس من غير المسلمين للتمكين من المشروع التغريبي من جانب آخر - يتضح لنا :

أن أسباب الغلبة للفريق الثاني وتباطؤ المشروع الإسلامي يرجع إلى أن الاستعمار أمدَّ التغريبيين بأجهزة التمكين ، ووسائل الدعوة لمشروعهم ، ووضع

---

(١) عبد الودود يوسف (تفسير المؤمنين) ص ٣٢ ، راجعه د. « مصطفى الخن » ، المؤسسة العلمية - دمشق ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .
(٢) نفسه ص ٢٦٩ .

بين أيديهم وزارات التربية والتعليم، والتعليم العالي، والثقافة، والإعلام، والمخابرات، وكان دورها مجتمعة ينحصر في الأهداف الآتية:

١ - الحرص على تفريغ مناهج التعليم في المدارس والجامعات من الإشارة إلى التاريخ الصحيح، والذي يشيد بأبطال الإسلام الحقيقيين من المجاهدين في سبيل الله، منذ الصحابة ﷺ والتابعين، إلى «صلاح الدين الأيوبي» و«عمر المختار» و«السنوسي» و«ابن باديس»، وغيرهم في العصر الحديث.

٢ - تضخيم أدوار المفكرين والأدباء المنحازين لثقافة الغرب والداعين إلى نشرها وإذاعتها؛ لكي يصبحوا قدوة للأجيال الجديدة من شباب المسلمين.

٣ - الإلحاح على تعريف الإسلام كدين تنظيم علاقة الفرد بربه ﷻ، والعناية بالأخلاق الفاضلة، بحيث يصبح كالنصرانية ولا صلة له بشئون الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، ورفع الشعار: (لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين!).

٤ - تبني فكرة عدم صلاحية الشريعة الإسلامية للعصر الحديث، وأن القوانين المستوردة من الغرب هي المؤهلة لتنظيم المجتمعات الإسلامية.

٥ - أخطأ قادة الانقلابات العسكرية خطأ فادحًا، وكانت خططهم وبالًا على بلادهم عندما ظنوا أن طريق النهضة هو الطريق الذي سار فيه «أتاتورك» اليهودي الذي قاد الشعب التركي إلى هاوية التغريب وانتزعه من هويته الإسلامية، بل أفقد الأمة برمتها درع الخلافة الإسلامية التي كانت تحتمي من ورائه لصد غزوات الاستعمار حتى في فترات ضعف الخلافة العثمانية في آخر مراحلها.

وسيتبين لنا عندما ندرس معالم تلك الفترة من تاريخنا - أي منذ سقوط الخلافة العثمانية - أنها تشكل ما يُطلق عليه: (الانقطاع الحضاري)؛ لأن قادته

انحرفوا بالأمة انحرافًا حادًا عن الطريق الصحيح الذي كان ينبغي عليهم سلوكه إذا كانوا يريدون حقًا نهضتها .

وفي هذا المعنى يقول الدكتور « عماد الدين خليل » : « إن الانقلاب على السلطان عبد الحميد تكمن خطورته البالغة من كونه مؤامرة دولية كبيرة استهدفت تدمير قيادة إسلامية عميقة الجذور ذات تقاليد موغلة في الزمن ، وعُمْرٍ جاوز الثلاثة عشر قرنًا ، ومهما كان حجم الأخطاء ، والتي مارستها هذه القيادة ، فإنها لم تكن بشيء إزاء الخطيئة الكبرى التي نفذها قادة ما بعد السقوط ؛ أولئك الذين قادوا عالم الإسلام إلى التمزق ، وضيعوا فلسطين ، وساقوا شعوبهم إلى التبعية والضياع »[1] ، ويقصد بذلك قادة حركات الانقلاب العسكري في بلاد المسلمين .

ركائز المشروع التغريبي في مصر :

يمكن استقراء ركائز المشروع التغريبي من كتابات بعضهم ، وعلى رأسهم : الدكتور « طه حسين » الذي صرَّح بكتابه (مستقبل الثقافة في مصر) بأن طريق النهضة هو تقليد حضارة أوروبا تقليدًا كاملًا ، وتابعه أحد تلاميذه وهو د. « جابر عصفور » فقال : (إننا مطالبون اليوم بتنفيذ ما جاء بكتاب مستقبل الثقافة في مصر ... لأن ما نادى به لا يزال قائمًا للعمل به)[2] .

ومن ركائز المشروع : ما يُسمى (بالعقلانية) ، التي يصفها د. « محمد نوار » بقوله : (فلا ثقافة ولا فكر ، ولا نقد أدبي ، ولا إبداع ، ولا حياة بدون أن نعطي الأولوية للعقل ، وليس للنقل ... وهذا المبدأ يقودنا إلى المبدأ الثاني وهو الإنسانية)[3] .

---

(١) (في التأصيل الإسلامي للتاريخ) ص ٩٤ ، د. « عماد الدين خليل » ، دار الفرقان – عمان ١٩٩٨م .

(٢) كتاب طه حسين من جديد « آراء نخبة من كبار المثقفين » إعداد د. محمد نوار ، ص ٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م .

(٣) نفسه ص ٩ .

ويذكر أن الإنسانية هي الوجه الآخر للعقلانية ، ويقصد بذلك الانفتاح على الثقافات والديانات الأخرى دون الانغلاق على النفس ، ونبذ مبادئ العنصرية التي تنادي بتفوق جنس من الأجناس ، مستندًا بذلك إلى أستاذه د. طه حسين (ومبدأ الإنسانية هو الذي قاد طه حسين إلى أن يقول : ليس هناك ما يمنع المسلم أن يقرأ الإنجيل ويشعر بمتعة الإنجيل وجماله وجلاله الخاص ، وليس هناك ما يمنع المسلم أن يقرأ كتب الديانات الأخرى ، ويستشعر ما فيها من جمال وجلال ؛ لأن هذه الكتب في نهاية الأمر إنما تقدم جوانب مختلفة من الإنسانية التي هي جوهر الدين الصحيح) [1] .

وفي مجال الفكر السياسي كان « طه حسين » يرى أن البديل للخلافة العثمانية أو الخلافة الإسلامية هو القوميات (بمعنى القومية المصرية أو السورية أو السودانية نجد البديل عنها هي العروبة ؛ لأن فكرة العروبة بديل عن فكرة الخلافة الإسلامية) [2] .

وبما يؤكد ذلك – في رأي الدكتور « محمد نوّار » – أنه يكتب بمنطق عروبي

= وكان من معارضي طه حسين الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي .. ومن أقواله : (هل أن أستاذ الجامعة إنما يقلّد الهدّامين من جبابرة العقول في أوروبا ، وإنه منهم ... وهو وأمثاله المجدّدون يسمّون كتابًا وعلماء وأدباء ، إذ كان لابد لهم من نعت وسمة في طبقات الأمة ، غير إنهم على التحقيق غلطات إنسانية تخرجها الأقدار في شكل علمي أو أدبي ليعارض بها صوابًا كاد يهمله الناس)

ويقول في مقدمة كتابه : (وما نريد أن نزيد « طه » على ما قلنا فيه مما ستقرؤه في هذا الكتاب ، ولكنا نرجو أن يهديه الله فيكون من أمته ويعود إليها ، فإنه إلا يكن بها لا يكن بغيرها ، وإنها إلا تكن به تكن بغيره) .

مصطفى صادق الرافعي (تحت راية القرآن) المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ط٦ ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .

ويُنظر رأي الدكتور عبد الرحمن بدوي (ملحق رقم ١) من الكتاب في المقارنة بينه وبين طه حسين .

(١) نفسه ص ١٠ .

(٢) نفسه ص ٥٦ .

معترفًا بوجود القومية العربية ، وعندما أصبح رئيسًا لمجمع اللغة العربية كان يتحدث باعتباره من أكبر أدباء العربية وليس الإسلامية (حتى كتاباته الإسلامية كانت تفسر بمنظور عربي ، وليس بمنظور إسلامي ، يعني لم يرجع إلى الأصول الإسلامية ، وإنما بدأ يتبنى مفهوم القومية العربية الذي كان يتبناه النظام السياسي في ذلك الوقت حتى ١٩٧٣م) [١] .

القول الفصل في آراء « طه حسين » هو ما وصفه به الغربيون أنفسهم ، فقالوا : « إن بضاعتنا رُدّت إلينا ، ويعنون بذلك أن طه حسين ابن ثقافتهم » [٢] .

تفنيد آراء الدكتور طه حسين [٣] :

مات طه حسين ، ولكن أبى تلاميذه إلا نفخ الروح في أفكاره (وكان قد رجع عن بعضها كما صرّح للشيخ محمود شاكر كما سنبيِّن فيما بعد) وظلوا يرددونها في كتبهم ومحاضراتهم ومحافلهم ، وكان آخرها – فيما نعلم – الندوة التي عقدوها في القاعة الرئيسية بمعرض القاهرة الدولي في يناير ٢٠١٤ بعنوان : (طه حسين رائد التنوير كما يراه تلاميذه) مرددين نفس الأفكار وتتلخص في أمور ،

---

(١) نفسه ص ٥٦ .

ويرى « رجاء النقاش » أن إيمان « طه حسين » بالعروبة السياسية هو أثر من آثار ثورة يوليو على عقل « طه حسين » ، وعلى وضوح وتحديد فكره السياسي (ص ٤٦) .

(٢) مجلة (الهلال) يوليو ٢٠١٢ ص ٢٢٥ ، مقال بعنوان : (أصداء ملف العقّاد) .

(٣) ولا يسعنا إلّا أن ننبّه إلى مشروع مكتبة الأسرة الذي يصرّ على إعادة طبع كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) ، وكتب المتغربين أمثال سلامة موسى وغيره .

ويذكر الكاتب أبو الحسن الجمال أن هناك ثلة من الماركسيين والعلمانيين يشرفون على هذا المشروع ، مستبعدين أي صوت يمثل التيار الإسلامي مع أنه الغالب في الشارع الآن ، وهو يدافع عن هويته الحضارية والفكرية .

مقال بعنوان (سلامة موسى .. الوجه الحقيقي) مجلة المختار الإسلامي - فبراير ١٩١٤م .

منها : العقلانية ، وتعني الاحتكام إلى العقل ، وجعله أساس الحكم على الأشياء ، وهو ما اعتمده المعتزلة في فكرهم ..

والاستشهاد بالمعتزلة هنا في غير موضعه ؛ فشتان بين منهج الشك عند طه حسين المقتبس من ديكارت الفيلسوف الفرنسي وبين منهج المعتزلة ، فبالرغم من انحرافاتهم بتاتًا التي وقف لها علماء أهل السنة والجماعة بالمرصاد فأظهروا بدعهم ، إلا إن المعتزلة في مجموعهم كان مرجعيتهم القرآن الكريم وإن غالوا أحيانًا في تأويلاتهم ، ومع هذا كان لعلمائهم مواقف مشهودة في الدفاع عن الإسلام في مواجهة الملل والنحل الأخرى .

واتباع المنهج العقلي لمن يدرس كتب علماء السنة بموضوعية ليس بعيدًا عن منهجهم ، حيث ابتكروا هذا المنهج من تدبر القرآن الكريم ، فخلصوا إلى أن الأدلة الشرعية تجمع بين المنقول والمعقول ، ولابن تيمية سفر ضخم في شرح هذا المنهج بعنوان : (موافقة صحيح المنقول مع صريح المعقول) ، شارحًا ومقدمًا الأدلة والبراهين أنه لا تعارض بينهما .

وقد استخلص ابن تيمية من القرآن الكريم الكثير من الاستدلالات ذات الصبغة العقلية ، كالآيات في الأنفس والآفاق ، ومثل قياس الأولى الذي يبرهن على قيام الحياة الآخرة ، كما تضمن القرآن الكريم الكثير من الأمثلة ، وكان الرسول ﷺ يستخدمها في مواجهة المنكرين لنبوته في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان : ٣٣] ، شأنه في ذلك شأن الأنبياء جميعًا ، فليس تعليمهم (مقصورًا على مجرد الخبر – أي الأدلة السمعية – كما يظنه كثير من النظار ؛ بل هم بينوا من البراهين العقلية التي بها يعلم العلوم الإلهية ما لا يوجد

عند هؤلاء البشة ، فتعليمهم – صلوات الله عليهم – جامع للأدلة العقلية والسمعية جميعًا ، بخلاف الذين خالفوهم) [1] .

أضف إلى ذلك كله فإن سبيل النجاة في الآخرة – وهو قصد كل مسلم – لا يتحقق إلا باتباع الأدلة السمعية ، فهي الكفيلة بتحقيق النجاة من العذاب ، والمفضية إلى تحقيق السعادة في دار النعيم ؛ لأن العقل وحده لا يكفي للسلوك بصاحبه هذا السبيل ، ومع تقدير ابن تيمية للعقل الإنساني إلا أنه (له حدود يعجز عن تخطيها ، فكما أن نور العين لا يرى إلا مع ظهور نور أمامه ، فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة) [2] .

ولمكانة العقل في الإسلام أيضًا يقول الدكتور توفيق الطويل : (وكان توفيقًا من الله تعالى أن يجمع الإسلام بين الدعوة إلى القيم الأخلاقية العليا والمبادئ الإنسانية السامية ، في الوقت الذي بني فيه الإيمان الديني على النظر العقلي ، ودعا إلى احترام المعرفة وتكريمها ، إلى حد أن أول آية نزلت من القرآن الكريم في سورة العلق : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق : ١ – ٥] .

ويكبّر من شأن الحواس والعقل أداة للمعرفة فيقول : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج : ٤٦] .

ويأمر القرآن بالنظر في الكون لمعرفة الخفي المجهول ، ويعيب الغافلين عن التفكير فيما يشاهدون : ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ

---

(١) ابن تيمية (الرد على المنطقيين) ص ٣٢٤ ، ويُنظر حجاج إبراهيم ﷺ مع النمروذ .

(٢) ابن تيمية (توحيد الربوبية) .

عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١] ... إلى أن يقول الدكتور الطويل: (ومنطق العقل في القرآن ليس جافًا خاليًا من العاطفة والروح؛ بل هو منطق ينظم العقل والعاطفة والروح جميعًا حتى يتمكن من استكناه أسرار الكون، وبهذا المنطق الذي تؤازره العاطفة والروح أكمل الله دينه، وأتم على الناس نعمته، وبه توّج الرسالات وختمها) [١].

وإذا كان المقصود (بالعقلانية) استخدام العقل كوسيلة من وسائل المعرفة؛ فما أكثر ما حض القرآن الكريم على ذلك، بل عاب على المقلّدين للآباء اتباعهم لعقائدهم الموروثة وأفكارهم الشائعة المتداولة بغير فحص لها أو اختبار، كذلك اتجه القرآن إلى تحريك عقولهم نحو النظر في كل شيء، والآيات على ذلك كثيرة:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾ [عبس: ٢٤].

وهكذا دعا القرآن إلى النظر في كل شيء مما يمكن أن يقع تحت الإدراك البشري، كما رفع من شأن العلم اليقيني القائم على النظر والفكر السليم الذي لا احتمال معه لخطأ أو وهم ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

ويقول الدكتور محمد بلتاجي: (وفي كلمة واحدة، فإن ألفاظ: العلم والتفكير والنظر والفقه والتعقل – وكلها من آثار إعمال العقل بحثًا عن اليقين – قد وردت في آيات القرآن الكريم أكثر من ألف مرة) [٢].

---

(١) د. توفيق الطويل (الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية – دارسة مقارنة) ص ٩٢، مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة ١٩٩٠م.

(٢) دكتور محمد بلتاجي (مدخل إلى الدراسات الإسلامية) ص ٤٠، مكتبة الشباب بالمنيرة، القاهرة، ١٩٨٢م.

أما وصف طه حسين بأنه (رائد التنوير) فالمقصود به الوصف الأوروبي حين أطلق على زمن التحرر من سلطان رجال الكنيسة الذي كان يحجر على العقول، وهو وصف يختلف تمامًا عن معنى (النور) في عقيدتنا الإسلامية، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

يقول الشيخ عبد الودود يوسف: (إن الله هو مدبّر أمر السموات والأرض وهاديها إلى أفضل ما تسير عليه من نظام يحفظها ... مثل نوره – سبحانه – ودينه كنور مصباح موضوع في زجاجة متلألئة كأنها كوكب من اللؤلؤ موضوع في طاقة من الجدار، يوقد من زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء دون إشعاله بنار، فكلها نور على نور، وهكذا الإسلام الذي هو نور من الله الذي يهدي الله له من يشاء من عباده)[١].

وفي تفسير ابن كثير: عن (أنس بن مالك قال: « إن إلهي يقول: نوري هداي »، واختار هذا القول ابن جرير، وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ قال: « هو المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره، فضرب الله مثله، فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، بدأ بنور نفسه، ثم ذكر نور المؤمن فقال: مثل نور من آمن به »، قال: فكان أبيّ بن كعب يقرؤها: « مثل نور من آمن به »، فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره)[٢].

---

(١) عبد الودود يوسف (تفسير المؤمنين) ص ٢٨٣، راجعه د. مصطفى الخن ط المؤسسة العلمية – دمشق ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

(٢) الحافظ ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) المجلد السادس ص ٦٠، ط دار الشعب بالقاهرة.

ومكمن خطأ عند من يسمّون أنفسهم (بالتنويريين) بينما أنهم يستعيرون التجربة الدينية في التاريخ الثقافي الأوروبي – بما لها من ذاتية خاصة – ليطبقوها بحذافيرها دون اعتبار للاختلاف الكبير – الذي يصل إلى حد التضاد – بين الثقافتين الغربية والإسلامية [1] .

كذلك غاب عن المتحازين للثقافة الغربية أن حركة التنوير الأصيلة في مصر كانت إسلامية ... وقد قدم لنا الأستاذ فتحي رضوان أحد الأدلة بقوله :

(إذا تأمّل الإنسان في تاريخ مصر الحديث منذ بدأ حتى اللحظة التي تكتب فيها هذه السطور ظهرت له حقيقة غريبة ، وهي أن مصر الحديثة صاغها وصورها وألهمها بالفكر ودعاها إلى العمل ورسم لها طريق النهضة شيوخ لم يتخلوا عن العمامة ... ومع حرصهم على سالف العادات وقديم المناهج كانوا قادة حركات تجديد ورواد نهضات تحرر ...وطليعة عهد جديد ... اصطدموا بقوى أكبر منهم ... ولكنهم لم يتخلوا عن رسالتهم) [2] .

والدارس لكتابه (دور العمائم في تاريخ مصر الحديث) يستخلص من فحواه أن الاستنارة في مصر كانت دائمًا إسلامية ، وأن حاملي مشاعل الحضارة المؤثرين في صياغة العقل الجمعي لمصر كانوا دائمًا منذ مطلع القرن الماضي حتى الآن من داخل الدائرة الإسلامية [3] .

---

(١) ومن الأمثلة على ذلك أنه ليس في الإسلام رجال دين بالمفهوم الكنسي ، وليس هناك تعارض بين الأدلة السمعية والعقلية ، كذلك لم يعرف تاريخنا فترة تُسمّى بالعصور الوسطى المظلمة عندما حرقت الكنيسة الإيطالية برونو وهو حي ١٦٠٠م لإيمانه بدوران الأرض حول الشمس ، أو الحكم على جاليليو بالسجن لقوله بتلك الحقيقة التي رآها بالتلسكوب حينذاك !

(٢) فتحي رضوان (دور العمائم في تاريخ مصر الحديث) ص ١٥ ، الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

(٣) نفسه ص ٨

ونضيف إلى ذلك كله أن تنوير القلوب الحق – لا الزائف – مطلب شرعي في الإسلام ، فقد كان الرسول ﷺ يقول في دعائه : « اللهم اجعل في قلبي نورًا ، وفي بصري نورًا ، وفي سمعي نورًا ، وعن يميني نورًا ، وعن يساري نورًا ، وفوقي نورًا ، وتحتي نورًا ، وأمامي نورًا ، وخلفي نورًا ، واجعلني نورًا ... »[١] .

أما النزعة الإنسانية عند طه حسين فتُستنتج من قوله : (أنا مصري وعربي ولكني أنتمي إلى الإنسانية ، والنزعة الإنسانية تسبق الميثاق العالمي لحقوق الإنسان) .

وربما استخلص هذا المعنى من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] ، ففي تفسير ابن كثير قال : (يقول الله تعالى مخبرًا الناس أنه خلقهم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ، وهما آدم وحواء ، وجعلهم شعوبًا وهي أعم من القبائل ... فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء ، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية ، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ ، ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضًا منبهًا على تساويهم في البشرية)[٢] .

إنْ قصد طه حسين هذا المعنى فلا بأس ، ولكننا لا نوافقه على قوله : (ليس مهمًا أن تكون مسيحيًا أو يهوديًا أو مسلمًا حتى تقرأ الكتب المقدسة وتتأثر بها ؛ لأن كل الكتب المقدسة هي تراث إنساني وهواية للإنسانية)[٣] .

---

(١) عبد العزيز بن راشد النجدي (أصول السيرة النبوية) ص ٢٦١ ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ ، ط دار الطباعة والنشر – مصطفى كامل – الإسكندرية .

(٢) ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) المجلد السابع ص ٣٦٥ ، كتاب الشعب – القاهرة .

(٣) جريدة الشروق المصرية ٣١/ ١/ ٢٠١٤ ص ١٥ (طه حسين رائد التنوير كما يراه تلاميذه) .

إن هذا التعميم يحتاج إلى ضبط وتدقيق للأسباب التالية :

أولاً : أن كتاب الله ﷻ – وهو القرآن الكريم – ليس تراثًا إنسانيًا ، بل هو كلام الله ﷻ ، وهو – سبحانه – ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وهل يجهل ذلك طه حسين ؟!

ثانيًا : أن طه حسين – وهو حافظ للقرآن الكريم – يدرك تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٠ ، ٧١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] كما بيّن الله ﷻ ما أخفى أهل الكتاب من الحق ، ويخبر المؤمنين ما حاولوا إخفاءه ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] .

ويكشف الله تعالى ذلك الخلاف الذي قام به بعض أهل الكتاب بعد أن أعرضوا عن دعوة خاتم الرسل ﷺ إذ أخذ كل منهم يدّعي بغير حق بأنه هو وحده الذي على حق وهدى ، وأن غيره في ضلال مبين : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة : ١١٣] .

ومن نعم الله تعالى على أهل القرآن أنه بقي محفوظًا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩][1] .

---

(١) محمد يهالي سليم (القرآن الكريم والسلوك الإنساني) ص ٢٧٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ .

ثالثًا : أخشى ما أخشاه ، أن يكون طه حسين قد خُدع - كما خُدع غيره ولا يزالون - بفكرة الإخاء الإنساني بالمفهوم الماسوني ، لذلك حذّرنا الأستاذ محمد علي علوبة بقوله : (إني أدعو الأمم العربية عامة ومصر خاصة إلى محو الجمعيات الماسونية في بلادها ، وما يتبعها من أندية الروتاري المختلطة ومؤتمرات السلام المسمومة ... فإن هذه الهيئات جميعًا ليست سوى مؤسسات صهيونية ابتكرها اليهود لتخدير المسيحيين أولًا والمسلمين ثانيًا تحت ستار الإخاء الإنساني ، حتى يصلوا بهذه المسميات البرّاقة إلى تغلغل الصهيونيين فيما بينهم ، والوصول إلى مآربهم وإفساد المجتمعات غير اليهودية ، والقضاء على حريات العالم تنفيذًا لقرارات حكمائهم وأوامر توراتهم وتلمودهم) [1] .

ولكن فات الأستاذ علوبة تعرية الماسوني الأول في عالمنا الإسلامي ، وجريمته الكبرى بإسقاط الخلافة ، تقول دائرة المعارف الماسونية :

(إن الانقلاب التركي ١٩٠٨ الذي قام به الأخ العظيم مصطفى أتاد الأمة ؛ فقد أبطل السلطنة وألغى الخلافة ، وأبطل المحاكم الشرعية ، وألغى دين الدولة الإسلام ، ونشر العلمانية والحرية) [2] .

ويقول البروتوكول الخامس عشر (من بروتوكولات حكماء صهيون) :

(وسنعمل كل ما في وسعنا على منع المؤامرات التي تدبر ضدنا حتى نصل إلى السلطة بعدد من الانقلابات السياسية المفاجئة التي سننظمها بحيث تحدث في وقت واحد في جميع الأقطار ... وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم) [3] .

---

(١) محمد علي علوبة (فلسطين والضمير الإنساني) ص ١٨٩ ، كتاب الهلال بمصر ١٩٦٤م .

(٢) ، (٣) أبو الفداء محمد عزت محمد عارف (نهاية اليهود) ص ١٤٣ ، دار الاعتصام بمصر ١٩٩٦م .

ويذكر الأستاذ محمد عزت عارف أن حركة عبد الناصر كانت انقلابًا مثل حركة أتاتورك في تركيا تمامًا ... وعلى نفس المنهج العلماني انطلقت الثورة المصرية ، لدرجة أن السادات كان يقدس أتاتورك ، وكانت صورة أتاتورك لا تفارق جدران مكتبه متأثرًا بوالده الذي سمّى كل أولاده بأسماء رفاق أتاتورك : أنور ، وعصمت ، وطلعت [1] .

مذهب الشك عند الفيلسوف الفرنسي ديكارت :

يقول أحد تلاميذ طه حسين : (... ثم عاد إلى مصر ، وأول ضجة حدثت من استخدامه العقل من خلال مصادره الإسلامية والغربية ، وكان من الطبيعي أن يصطدم بالمسلّمات ويشك فيها ، وهكذا بدأ حاله بأول ثمرة إيجابية هي الشك) ...

إن مذهب الشك الذي تلقّفه طه حسين بسطحية ظاهرة دون دراية بأساسه الديني أوقعه في محظورات كان في غنًى عنها لو دقّق النظر وتناول مذهب الشك الديكارتي بدراسة فلسفية تحليلية عميقة ، وهذا ما فعله أستاذنا الدكتور محمد علي أبو ريان – وهو الفيلسوف المخضرم – فخلص إلى نتائج مثيرة لم تكن لتخطر لطه حسين على بال !

يقول الدكتور أبو ريان – رحمه الله تعالى – : (ونحن إذا تناولنا الكوجيتو الديكارتي بالدراسة النقدية فسنجد أنه يفصح عن أساس وبنية لاهوتيّة محضة ، تُرد اليقين وحفظ الوجود إلى سند إلهي محض ، فأنا أفكر وحدها لا تكفي لإثبات وجود الذات المفكرة لأنها محتاجة إلى مساندة الله لهذا الوجود ... وكما يقول ديكارت : لعل هناك شيطانًا ماكرًا يعبث بنا ، ويرينا الحق باطلًا والباطل حقًّا ،

---

(١) نفسه ص ١٤٥ .

فلولا التدخل الإلهي لكي يُخلّصنا من الشك – الذي يكاد يكون مطلقًا بدون هذا التدخل – لما أمكن معرفة ذواتنا، وهنا تظهر آثار الفعل الإلهي في الحفاظ على المخلوقات التي تستظل بنعمته الإلهية ...

وكذلك يظهر بوضوح الرد المسيحي الخالص على الثنائية الثانوية التي جعلت الشر (الشيطان) صورة مساوقة للخير أي للإله الحق، فيرى ديكارت أن الله هو الذي يقهر الشيطان الماكر الخبيث ويردعه، ويحفظ معرفتنا ووجودنا من آثاره المضللة ... وبذلك يتحول الشك إلى شك منهجي، ربما أفادنا في تطهير نفوسنا في معارفها السابقة، وربما كان المسيح الذي يقوم بدور الحكمة، أي العقل في تطهير الإنسان من الخطيئة الأصلية التي تمت بإيحاء من الشيطان الماكر الخبيث... وهكذا نجد كيف أن اللاهوت المسيحي يتدخل في كل المواضع التي يحاول فيها ديكارت أن يظهر بمظهر العقلاني الكامل) [1] .

هذا، وقد اكتشف الدكتور أبو ريان – بعد أن أفنى عمره في دراسة المذاهب الفلسفية – أن بعض هذه المذاهب إنما تتضح بنيته وإطاره العام من خلال علاقته باللاهوت المسيحي وقضاياه، لذلك حَرِصَ على تنبيه أصحاب نزعة التغريب من المسلمين المعاصرين إلى أن الحامل الأساسي للعلوم الإنسانية في الغرب – ألا وهو الفلسفة – ظل مرتبطًا في بنيته الأساسية باللاهوت المسيحي – وبكل ما علق

(١) د. محمد علي أبو ريان (أسلحة المعرفة ... العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية) ص ٢٠٨، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٩٧م.

ويذكر الدكتور أبو ريان أيضًا أن تيار اللاهوت المسيحي قد اندفع بشكل عارم في تيارات الفكر الحديث من (ديكارت) إلى (كيركجارد) و(جبريل مارسيل) في الفترة المعاصرة ... ومن ذلك يتضح أن المد الديني ظل يواصل انتشاره من خلال الفكر الفلسفي مع محاولة الفلاسفة الظهور بمظهر الانتماء للعقل وللعقلانية برغم تغلغل اللاهوت المسيحي في بنية مذاهبهم التي كانت تشتمل على خلاصة العلوم المعرفة، ص ٢٠٦.

بالعقلية الأوروبية من مناقشات حول القضايا المسيحية ، ثم خطا خطوة أخرى لتنبيه المتغربين إلى هذه الحقيقة التي لا يماري فيها إلا المكتفون منهم بالنقل الحرفي لكل شيء من حضارة الغرب بلا دراسة أو تمحيص ، فيقول :

(ينبغي على هؤلاء الذين يدّعون أنهم ذوو نزعة علمانية ، ينبغي عليهم أن ينتبهوا إلى هذه النقطة الخطيرة ، وهي أنهم في الوقت الذي يقفون فيه في تحدٍ ظاهر ضد تراث الإسلام والعرب الذي يؤمن أصحابه بالإسلام عقيدة وسلوكًا ، نراهم يقعون في شباك التيار المسيحي الذي يلتحم تمامًا بالفكر الغربي منذ مطلعه ، ويتعصبون له كتراث أساسي للحضارة الغربية بدلًا من أن يكتشفوا الزيف عنه ويجرّدونه من العناصر الدينية ، مستفيدين فقط من النواحي العلمية الموجودة فيه والتي قد تفيدنا في قيام الحضارة لدينا دون أن تنتقص من تراثنا القومي أو تقضي عليه فتكون صورًا مكررة وناقصة ، مستعبدين لثقافة الغرب المسيحية وحضارته وعنفوان غزوه الفكري) [1] .

وعلينا في النهاية أن نذكّر تلاميذ طه حسين برجوعه عن بعض آرائه كما صرّح بذلك الشيخ محمود شاكر .. وكان مما قاله : (والذين يظنون أن الحضارة الحديثة حملت إلى عقولنا خيرًا خالصًا يخطئون ؛ فقد حملت الحضارة الحديثة إلى عقولنا شرًا غير قليل) ... ثم يصف أحد ضحايا الحضارة الحديثة فيقول : (وشرُّه ليس مقصورًا عليه ؛ وإنما يتجاوزه إلى غيره من الناس ، فهو يتحدّث ، وهو يُعلّم ، وهو يكتب ، وهو في هذا كلّه ينفث السم ، ويفسد العقول ، ويمسخ في نفوس

---

(١) نفسه ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، وقد قام الدكتور أبو ريان بدراسة مفصلة للفلاسفة : ديكارت – مالبرانس – بسكال – ليبنتز – باركلي – كانط – كيركجارد ، من ص ٢٠٦ إلى ص ٢٢٣ نفس المصدر .

الناس المعنى الصحيح لكلمة « التجديد » ، فليس التجديد في إماتة القديم ، وإنما التجديد في إحياء القديم ، وأخذ ما يصلح منه للبقاء) [١] .

وممن قلدوا « طه حسين » في القول بالتغريب : « سلامة موسى » الذي كان يرى أن تحقيق النهضة يستوجب التمثل بالغرب ، فقال : « فلنولِّ وجهنا شطر أوروبا ، ونجعل فلسفتنا وفق فلسفتها » ، فالنهضة لا تتحقق إلا بالاتجاه الكامل لأوروبا .

وُلد « سلامة موسى » بالشرقية ١٨٨٧م لأسرة قبطية ، وحصل على البكالوريا من القاهرة ثم سافر إلى أوروبا ، وعاد منها - كما وصفه خصومه - ملحدًا كافرًا بالأديان ، وكان ينادي بعدم التمسك باللغة العربية ، ويرى أن الدين خاضع للتطور ؛ لأن مصدره بشري ، وترتكز أفكاره على إحلال العلم محل الدين ، فليس هناك مقدس في الدين ؛ لأنه صنعة البشر !

ومن أقواله : « ليس للإنسان في هذا الكون إلا عقله ، وأن يأخذ الإنسان مصيره بيده ويتسلط على القدر ، لا يخضع له ! » ، ومات ١٩٥٨م .

وكانت له ندوة تعقد بالقاهرة ، ومن تلاميذه « نجيب محفوظ » الذي يُؤثر عنه قوله له : « عندك موهبة كبيرة ، ولكن مقالاتك سيئة » .

وقد أثار ضجة كبرى عندما ألقى محاضرة ١٩٣٧م مدح فيها الخمر وأباحها ، وساق أشعار المدمنين ، مما أثار عليه الدكتور « عبد الحميد سعيد » - وهو من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين حينذاك - فقدَّم استجوابًا لوزير المواصلات في

---

(١) محمود محمد شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ص ١٦٣-١٦٤ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة - ط ٢ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

مجلس النواب في ١٨ / ٥ / ١٩٣٧ معترضًا على سماح محطة الإذاعة بأن تلقي هذه المحاضرة بواسطتها وتساءل : فما الذي ستتخذه الوزارة بخصوص هذا العمل المخالف للدين والتقاليد ؟! » [١] .

وكان « سلامة موسى » قد اشتط في تفكيره – عليه من الله ما يستحقه – فزعم أن الفلاسفة والأدباء يؤدون نفس وظيفة النبيين ! فهم يطوّرون الفضائل في المجتمع ، بل إنهم يوجدون قيمًا بديلة للقيم الدينية تكون غايتها ترقية البشر إلى عصر جديد غير العصور التي نشأت فيها الأديان ، لذا فهم بمثابة أنبياء هذا العصر ! [٢] .

ولكن – بحمد الله تعالى – حوصر فكره بواسطة علماء الإسلام ، ومنهم الشيخ « عبد العزيز جاويش » (ت ٢٥ / ١ / ١٩٢٩م) .

فقد كان من أشهر المقاومين لتقليد أوروبا المعبّر عن سياسة الحزب الوطني بقيادة « مصطفى كامل » ، وجنّد قلمه للدفاع عن الحركة الوطنية بجريدة (اللواء) ، وكان يصف الداعين للتغريب بالمقلّدين ، وعاب عليهم افتقاد التمييز بين الغث والثمين عند نقلهم لثقافة أوروبا ، فقال : « ولو أن أسارى التقليد ممن تصدوا لزعامة الحركة الفكرية والنهضة العلمية ، كانوا طلقاء العقول ، أحرار التفكير ، لما اتبعوا من محصول العقول الغربية إلا ما أمنوا غشه ، واستوثقوا من نقاء معدنه ، وكمال صلاحه ، بعد أن عرضوه على محك الاختبار » [٣] .

---

(١) « صلاح الإمام » مقال بعنوان : (سؤال عن الخمر في مجلس النواب ١٩٣٧) جريدة (المصريون) ١٩ جمادى الأول ١٤٣٤ هـ – ٣١ / ٣ / ٢٠١٣م .

(٢) نفسه .

(٣) الشيخ عبد العزيز جاويش (الإسلام دين الفطرة والحرية) ص ١٤١ ، ط دار الهلال بمصر .

ويعلل الشيخ « جاويش » تخبطهم في إصدار الأحكام « بسبب الانقياد الأعمى للثقافة الغربية ، فأطلقوا ألسنتهم بالأراجيف » فزعموا أنه لا يجوز للدين أن يقف في سبيل الرقي العلمي ، وأنه إذا لم يتنحَ عن سبيله فستكون الهزيمة المنكرة مصيره ، ويرجفون بالقول أنه لابد من فصل الدولة عن الدين ، وأن حرية الفكر الإنساني تستلزم انقلابه ماديًا طليقًا لا يتقيد بشيء من قيود الأديان »[1].

وكان صريحًا في وصفهم بالحائرين والإباحيين ، وأصحاب الكيد السيء لأهل القرآن بالطعن فيهم والاستخفاف بهم ، موضحًا « أنه لو كان لهم علم بأصول القرآن ووقوف على ما مكّن للعقل والوجدان ، وأرسى من قواعد الحرية الصادقة في سائر شُعب الحياة ، لما زلَّت لهم قَدمٌ في مزالق التقليد ، ولفقهوا جلال ذلك الكتاب الكريم الذي فيه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ، والذي فيه : ﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

---

(١) نفسه ص ١٤١ .

(٢) نفسه ص ١٤٢ .

أما حقيقة سلامة موسى فقد عرضها بإسهاب الكاتب أبو الحسن الجهال مستندًا إلى وثائق نشرتها مجلة المصور في العدد ٣٤١ الصادر يوم الجمعة ٢٤/ ٤/ ١٩٣١م ، وتحتوي على وقائع منها : أنه في عزّ الصراع بيننا وبين إنجلترا وحادثة دنشواي وجهاد مصطفى كامل ودعوته إلى الجامعة الإسلامية ، نراه يذهب إلى أوروبا بعد رفض الانضمام إلى الحركة الوطنية التي شملت الجميع .. ذهب بعد شنق الأبرياء في دنشواي ، فبدلًا من أن يعزّي الضحايا ذهب ليبارك الجزارين !!

كان يدّعي محاربة الأديان ، وهو متدين متعصب طائفي ، ورأس تحرير جريدة (مصر) التي كانت تعبر عن الطائفة القبطية ، وكان لا يغادر الكنيسة أو جمعية الشبان المسيحيين .. وزعم في جريدته أن المعلم يعقوب - اللعين كما وصفه الجبرتي - كان أول من دعا لاستقلال مصر ، وجاراه في هذا الإفك تلميذه المخلص لويس عوض وغالي شكري ... ويظهر تناقضه بين مهاجمته للغة العربية وحرصه على الكتابة بالفصحى .. ودعا إلى تحديد النسل وامرأته أنجبت ثمانية ، وقد اعتبره معاصروه كالعقاد وتوفيق بأنه (مجرد قارئ للفكر الغربي ، ينقل عنه بلا منهج أو رؤية مشعة) .

ومعلوم أن الحكمة في ظهور الأنبياء والرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - إنما هي دعوة أممهم الضالة ، أي إصلاح ما فسد من أمرها ، ومعالجة ما مرض من أخلاقها ، وكبح ما جمح من أهوائها وشهواتها .

لمثل هذه الآراء والمواقف حق للأستاذ « أنور الجندي » - رحمه الله تعالى - أن يصف الشيخ « عبد العزيز جاويش » بأنه لم يكن رئيس تحرير صحيفة فحسب (بل كان له طابع زعامة في تعلقه بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، وله سمته الخاص المنبعث من إيمانه الذاتي في كتاباته وأعماله الواسعة في الإصلاح الاجتماعي ، والحركة التعاونية ، وإنشاء النقابات العمالية ، والمدارس الليلية ، والجمعيات الأهلية ، وإنشاء مجلة الهداية ، ولجنة الأزهر) [١] .

المشاريع التغريبية قبل الحرب العالمية الأولى :

يتوسع الأستاذ « طارق البشري » في عرضه للمشاريع التغريبية الأساسية الثلاثة بمصر في خواتم القرن الماضي وأوائل القرن العشرين ، وهي :

(**الأول** : المدارس الحديثة على وفق مناهج « دانلوب » ، وكان قسيسًا إنجليزيًّا خلع ثوب الكهنوت ، وأصبح وزيرًا للمعارف في حكومة الاستعمار الإنجليزية ، وظل يحارب الإسلام من مكانه لسنوات طويلة ، وكذلك مدارس الإرساليات التبشيرية والأجنبية .

والثاني : جماعة (المقطم) و(المقتطف) ومن تحلّق حولهما من مفكرين .

= أبو الحسن الجمال ، مقالة بعنوان (سلامة موسى .. الوجه الحقيقي) مجلة المختار الإسلامي العدد ٣٧٩ ، ربيع أول وربيع آخر ١٤٣٥هـ - ٢٨ فبراير ٢٠١٤م .

(١) أنور الجندي (عبد العزيز جاويش : من رواد التربية والصحافة والاجتماع) ص ٦٤ ، سلسلة أعلام العرب - الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥م .

والثالث : جماعة صحيفة « الجريدة » ومن لف لفهم ، ثم حزب الأمة .

وكل تلك الجهات إما أن تصدر عن سياسات إنجليزية وأوروبية كـ « دانلوب » ، وأصحاب (المقطم) و(المقتطف) ، وإما أنها تصدر عن فئة مصرية ذات روابط قوية بالسياسة الإنجليزية ، وبالتوجه الأوروبي عامة : كحزب الأمة)[١] .

ثم أخذ في شرح المشروع الثالث ، فقال :

« لقد كان حزب الأمة وصحيفة الجريدة الناطقة بلسانه والتي أنشأها أحمد لطفي السيد تهادن الإنجليز ، وبالمقابل : نلحظ أن جماعة صحيفة اللواء والحزب الوطني اللذيْن أنشأهما مصطفى كامل كانا في مقاومتهما للوجود الأجنبي ينزعان منزعًا إسلاميًا صحيحًا ، ويبدو ذلك جليًا في موقف جماعة الحزب الوطني وتياره العام في ذلك الوقت من فكرة الجامعة الإسلامية وحركتها ، وأسلوب تصديها لقضايا المجتمع بعامة ، ووجهتهم من موضوع الإصلاح المرتكز على أصول الشريعة الإسلامية »[٢] .

ويتضح الصراع بين التيارين التغريبي والوطني بين حزب الأمة والحزب الوطني ، فبينما كان حزب الأمة – برئاسة لطفي السيد – يدعو لمسالمة الاحتلال ، ويؤمن بسياسة التفاهم والمحاسنة ، كان الحزب الوطني (برئاسة مصطفى كامل) يؤمن بسياسة العداء الصريح لبريطانيا[٣] ، وكانت مفاهيم الحزب الوطني ، أنه

---

(١) طارق البشري (الحركات السياسية في مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢) ص ٣٤ « مراجعة وتقديم جديد » دار الشروق ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

(٢) طارق البشري (الحوار الإسلامي العلماني) دار الشروق بالقاهرة ، ط ٣ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م .

(٣) أنور الجندي (عبد العزيز جاويش : من رواد التربية والصحافة والاجتماع) ص ٣٠ ، الهيئة المصرية العامة (سلسلة أعلام العرب رقم ٤٤ ، ١٩٦٥ م) .

ليس هناك ما يمنع من تلاقي القومية المصرية والعالم الإسلامي »[1].

ولم يزل الصراع محتدمًا حتى يومنا هذا بين الاتجاهين : التغريبي والوطني الإسلامي ، مع اختلاف التوجه ، إذ أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية وريثة الاستعمار البريطاني في عالمنا العربي والإسلامي ، وعقب الثورة البلشفية اصطبغ فرع من الاتجاه التغريبي بصبغة الماركسية ، وأصبح يُعبّر عنه الآن - بعد انهيار الاتحاد السوفيتي - باليسار ، وتمادى بعض المثقفين في التقليد الأعمى للغرب ، فسمعنا عن (الليبراليين) و(الحداثيين) ، وكلها نزعات نبتت من الثقافة الغربية ومن تطوراتها التاريخية ، ولا تمت بأدنى صلة لعقائدنا وقيمنا الإسلامية ، وهي لغرابتها لا تجد أدنى صدى لدى الجماهير التي تلفظ بفطرتها ما يخالف ثقافتها الإسلامية التي تربت عليها منذ قرون طويلة .

وسنعرض - بمشيئة الله تعالى - عند حديثنا عن الجمعيات الإسلامية في مصر كيف كانت تقوم بدور تربوي للشباب والإعداد للقيام بنهضة حقيقية على دعائم ثابتة تتصل بالتراث الإسلامي للأمة ، وتضع البديل للمشروع التغريبي الذي فرضه الاستعمار البريطاني بواسطة أعوانه في مصر .

أضف إلى ذلك أن هناك حقيقة كبرى تغفل بعض المصادر عن ذكرها ، تتمثل في أن شعب مصر بكافة فئاته كان مقبلًا على ثورة حقيقية ضد الاحتلال والقصر الملكي معًا ، وقد اتضح ذلك من بعض الوثائق التي سُمح بالإفراج عنها ، ومنها : خطاب السفير الأمريكي بتاريخ ٨ / ٣ / ١٩٥٢م ، فقد جاء فيه بالحرف الواحد : « ... بل إن احتمال الثورة والفوضى الشاملة في مصر لا يمكن استبعاده ،

---

(١) نفسه ص ٢١

ونحن نقترب بسرعة من نقطة اللا عودة ، وإذا مضت مصر في هذا الطريق ، فالشك كبير جدًّا في قدرة الشرق الأوسط على الصمود »[١] .

ويعلّق الأستاذ « محمد جلال كشك » – رحمه الله تعالى – على ذلك بقوله : (وتشبث الأمريكيون بحلّهم وهو ضرب الثورة باسم الثورة ، إسقاط النظام العاجز – أي الحكومة المصرية آنذاك – وإقامة نظام شاب قادر على ضرب قوى الثورة وإعادة مصر إلى حظيرة الاستعمار العالمي ، على أن تكون هذه المرة في المدار الأمريكي)[٢] .

وإذا اتخذنا من مصر نموذجًا للتمييز بين المشروع الإسلامي للنهضة وغيره من المشروعات الأخرى ، فإنه ينبغي دراسة التيار الناصري – أو ما يُسمى بالناصرية[٣] – وهو يحتاج إلى دراسة عميقة لبيان معالمه ، ومدى اتفاقه أو مخالفته لمشروع النهضة الإسلامي .

والمنهج الموضوعي المقترح هو التعرّف أولًا على مشاريع النهضة قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بمصر ، وكذلك التعرّف على حركات المجتمع المصري الثورية أيام الملكية في عصر فاروق ، ثم بحث الانقلاب الذي أحدثته ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م سياسيًّا ، واجتماعيًّا ، واقتصاديًّا ، وأخلاقيًّا ؛ لنستدل على التغيير الذي حدث إيجابًا أو سلبًا .

---

(١) محمد جلال كشك (ثورة يوليو الأمريكية « علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ») ص ١٠٤ ، الزهراء للإعلام العربي بمصر ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .

(٢) محمد جلال كشك (ثورة يوليو الأمريكية « علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ») ص ١٠٤ ، الزهراء للإعلام العربي بمصر ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .

(٣) ومن أبرز معالمها « ديكتاتورية الرأي الواحد » .. يقول إبراهيم سعده : (لقد عشنا طويلًا ، ولم يسمح سوى لفرد واحد – ومعه شلته المحدودة العدد – بالأمر والنهي في كل صغيرة وكبيرة في حياة الشعب المصري ... إن عهد الإقطاع الفكري والديكتاتورية في اتخاذ القرارات قد انتهى بلا رجعة) ص ١٥٦ ، من كتابه (سنوات الهوان) المكتب المصري الحديث ١٩٧٥م .

وللتمهيد لهذا الغرض نعرض لوصف المستشار «يحيى الرفاعي» لتلك الحقبة بصورة مجملة، ولكنه يعبّر عن حقائق لا ينكرها باحث مدقق.

يقول المستشار «يحيى الرفاعي» في وصف العصر الناصري:

«... ثم عرض التقرير (لطبيعة النظام المعمول به في مصر منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، وكيف قام على حكم الفرد واستئثاره بسلطات مطلقة بغير حدود، ودون أن تقابلها أية مسئولية أمام أية جهة، فألغى جميع الأحزاب، وصادر الصحف تحت ستار ملكيتها للشعب، وقام بتأميم الشركات، والمصانع، والمؤسسات الفردية، مقابل تعويضات رمزية في صورة سندات آجلة، وابتداع نظام الحراسات بأنواعها، وأصبح بذلك هو وأتباعه وأهل الثقة هم أصحاب السلطة الحقيقية على كافة الناس ومقدّراتهم، كما صار هذا الحكم يفضلّهم على أهل الخبرة، وترهلَ الجهاز الإداري للدولة، وتَفشّى التراخي، والانحراف والفساد، والتربح، وهبط مستوى الإنتاج من حيث الكم والكيف، وتم بيع رصيد الدولة الذهبي، وخسرت مصر سلاحها كله في حرب ١٩٦٧م وكان يقدر بالمليارات، كما تم قتل أعداد هائلة من أبنائها لدى انسحابهم»[1]، وسنعود لإفراد حديث مستقل لهذا العصر - بمشيئة الله تعالى -.

---

(١) المستشار «يحيى الرفاعي»، مقال بعنوان: (تزوير الانتخابات واستقلال القضاء والقضاة) ص ٦٩، مجلة منبر الشرق شعبان ١٤٢٧ هـ - سبتمبر ٢٠٠٦م، والفقرة ضمن تقرير أعدّته لجنة تنقيح التشريعات لمواكبة التحرر الاقتصادي والمتغيرات العالمية).

ويقول إبراهيم سعده: (وقد نشر - أخيرًا - معهد الدراسات من أجل السلام في ستكهولم إحصائية بالمبالغ التي صرفتها مصر على شراء الأسلحة وحدها منذ بداية الخمسينات وحتى يونيو ١٩٦٧م، فقدرتها بنحو ٦ آلاف مليون جنيه إسترليني ... وهناك آلاف الملايين الأخرى التي صرفت خارج حدودنا من أجل تدعيم أنظمة متداعية، وبهدف إسقاط حكومات معادية). (سنوات الهوان) ص١٤٠.

الاختلاف في المنهج بين التيارين الإسلامي والتغريبي في مصر :

لا يفسر اشتداد الصراع الفكري عقب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م ، إلا الاختلاف في المنهج بين التيارين : الإسلامي ، والتغريبي في مصر ، فقد نجح الاستعمار في تخريج (النخبة) التي صنعها على عينيه ، وغذاها بثقافته ، ووجهها بعناية لإلقاء سهامها في صدر كل ما هو إسلامي : عقيدة ، وشريعة ، وتاريخًا ، وحضارة ؛ مما يثبت أن الاستعمار العسكري خرج من الباب ليدخل من النافذة لتستمر سيطرته على بلادنا بتحريك أمورنا من وراء الستار وذلك باستخدام جماعات الماسونية ، والروتاري ، لكي يصل هؤلاء (النخبة) إلى مراكز القيادة والتوجيه في الإعلام ، والصحافة ، والجامعات ، ومختلف الوزارات ، ومراكز صنع القرار ، وكان دورهم المتفق عليه بإجماع هو العمل على الحيلولة دون تطبيق المشروع الإسلامي .

كما وقف كلٌّ من أتباع المنهجين معارضًا للآخر ؛ فالتغريبيون يطالبون بتقليد حضارة الغرب في محاسنها ومساوئها ، وعلماء الإسلام ينادون باتباع شرائع وقِيَم كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ ، مع اتباع الأساليب الغربية في التنظيم والإدارة ، والصناعة ، والعلوم ... إلخ .

لذلك يتضح لمن يؤرِّخ للتيارات الفكرية بمصر في نهاية القرن التاسع عشر - كما فعل الدكتور « كمال عبد اللطيف » - : أن نخبة من المثقفين من تلاميذ الغرب تبنت المفاهيم الغربية حيث تعلّم أغلبهم في أوروبا ، وتعرفوا على طبيعة الحياة الأوروبية من قرب ... لقد درس « لطفي السيد »[1] في سويسرا ، وفرنسا ،

---

(١) أطلق التغريبيون عليه اسم (أستاذ الجيل) ، وكان أكثرهم غلوًّا وخصمًا لكل ما هو إسلامي مما دفعه إلى معارضة مساعدة أهل ليبيا الذين تعرضوا لأبشع حملة عسكرية إيطالية ، فعندما بدأت دعوة مصر لمساندة الدولة العثمانية صاحبة الولاية على طرابلس في حربها ضد إيطاليا على أساس فكرة الجهاد ، هاجم لطفي =

و« شبلي شميل » في فرنسا ، و« علي عبد الرازق » في بريطانيا ، و« فرح أنطون » سافر إلى أمريكا ، و« طه حسين » تعلم في فرنسا ، و« سلامة موسى » أقام مدة خمس سنوات في كل من فرنسا ، وبريطانيا [1] .

« عبَّر مثقفو التيار الليبرالي التغريبي بمختلف أجنحته عن واقع التأخر السائد في مجتمعهم ، وتبينوا أن خلاص مجتمعهم لا يتأتى عن طريق الحل المقترح من طرف الخطاب السلفي (أي الإسلامي) ، بقدر ما يكمن في تمثل قيم ومنجزات الغرب ... واستعانوا أثناء خطابهم النهضوي بمفاهيم التراث الليبرالي ، وهي :

فلسفيًّا : العقلانية والوضعية .

سياسيًّا : اللادينية [2] والديمقراطية .

اقتصاديًّا : الحرية ومبدأ المنافسة الفردية .

أخلاقيًّا : تمجيد الإنسان ، والسعي نحو المنفعة الدنيوية [3] .

= السيد هذا التوجه ، وكتب ثلاث مقالات تحت عنوان : (سياسة المنافع لا سياسة العواطف) منتقدًا فكرة الجهاد ... وهاجم الجامعة الإسلامية ودعاتها .

د/ عاصم الدسوقي – مقال بعنوان (الأوائل الذين نادوا بالدولة المدنية) مجلة الهلال شعبان ١٤٣٣ هـ ، ص ٢٠ ، يوليو ٢٠١٢ .

(١) د. كمال عبد اللطيف (سلامة موسى وإشكالية النهضة) ص ٩١ ، مكتبة الأسرة بمصر ٢٠٠٩م . ويعبِّر إصدار هذا الكتاب عن إصرار المسئولين عن مشروع مكتبة الأسرة لترسيخ التيار التغريبي في مصر ومقاومة التيار الإسلامي .

(٢) هذا بينما كانت إسرائيل تمضي قُدمًا لإنشاء الدولة الدينية اليهودية التي يحكم الحاخامات فيها دولة إسرائيل . يقول جارودي : (إن عصابة الجنرالات والحاخامات رفعوا البنادق والتلمود ، وأعلنوا أنهم وكيل العقارات الأكبر في السماء قد وهبهم وإلى الأبد أراضي فلسطين لهم وحدهم ، ولذا لزامًا عليهم طرد وسحق وقهر وقتل غير اليهود أو ما يطلق عليهم الجوييم « الأغيار » لتصبح الدولة اليهودية دولة عنصرية) ص٨١ ، من كتاب روجيه جارودي (محاكمة الحرية) منشورات الفيحاء – بيروت ١٩٩٨م .

(٣) نفسه ص ٧٩ ، ٨٠ .

وهذه الجوانب تشكّل ما يعرف (بالعقيدة الليبرالية) التي تشكلت في فكر الغرب الأوروبي ابتداءً من القرن السادس عشر، وما زالت تتلون بأشكال مختلفة ومتعددة إلى يومنا هذا[١].

ويصل الغلو في الخطاب الليبرالي إلى أقصاه بدعوته إلى الانفصال عن الشرق، والمناداة بالتخلي عن كل القيم الشرقية (أي الإسلامية)، وطالبوا بالتوحد مع الغرب ...[٢].

وهذا يعني رفض دعوة (الجامعة الإسلامية) والتشبث بالقومية العربية أو الفرعونية ...

إن «الدعوة إلى الغرب إذن هي دعوة إلى انفصال، عكس الدعوة السلفية التي تحدد مبدأ الرجوع إلى الأصل كمبدأ للخلاص من الانحطاط»[٣].

ويشير الخطاب السلفي في ردود كل من «جمال الدين الأفغاني» و«محمد عبده» إلى قضية واحدة، وهي: أن الإسلام الصحيح - إسلام السلف الصالح - هو شرط كل تقدم، وأن خلاص العالم الإسلامي من شروره لن يتم إلا بالرجوع إلى الأصل (كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ)، ولا يصح تبرير الانحطاط بالعقيدة الثابتة؛ لأن سبب الانحطاط الرئيسي هو تخلي المسلمين عن عقيدتهم، وتشبثهم بما لحقها عبر التاريخ من تشويهات وبدع لا علاقة لها بها.

كذلك فإن المنحى العقائدي للخطاب السلفي يسير في اتجاه إبراز القوة

---

(١) نفسه ص ٧٩، ٨٠.

(٢) نفسه ص ٨٣، ٨٤.

(٣) نفسه ص ٨٤.

المطلقة والشاملة للإسلام ، عندما نزيل عنه ما لحقه من البدع ، ويبين أيضًا أنه لا يوجد أي تناقض بين العلم والدين أو بين السياسة والدين[1] .

وتبنى التيار السلفي الدعوة إلى (جامعة إسلامية) تكفل للشعوب الإسلامية الوحدة التي افتقدوها ، وتعيد لهم الأمجاد السابقة[2] .

يقول الدكتور « كمال عبد اللطيف » : (إن الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، ومحاولة إحياء الخلافة الإسلامية ، تشكل محاور رئيسية في الخطاب السلفي إلى يومنا هذا)[3] .

ولكن فاته أن يذكر اقتران هذه الدعوة بحركات التمرد ضد الاستعمار الغربي ومقاومته التي انطلقت تحت راية الجهاد ، وأثبتت أن شعوبنا لم تستسلم لأعدائها ... وبقي على زعماء الأمة وقادة الرأي فيها إحياء هذه الشعيرة من جديد إذا أرادوا إقامة المشروع الإسلامي الحضاري من جديد .

ولا ينبغي أن يشغلنا الاهتمام بمشاريع النهضة بمجالاتها الرحبة في مجالات : الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة ، والتعليم ، وغيرها ، أو المشروعات الصناعية والتكنولوجية للحاق بالعصر - لا ينبغي أن تصرفنا عن أوّل الخطوات وأهمها ، ونعني بذلك تربية الإنسان أولًا ، وإحياء العقيدة في نفسه ومشتملاتها من تقوى الله ﷻ والإخلاص في العمل ، والاستعداد لبذل النفس ؛ لتكون كلمة الله هي العليا ، واسترداد أرض فلسطين المغتصبة من اليهود ، وتحرير المسجد الأقصى .

وقلوب شعوبنا - ولله الحمد - مليئة بتلك الذخيرة المتراكمة والمتوارثة جيلًا بعد جيل ، والدليل القريب على ذلك هو عصر الاستعمار ومقاومته .

---

(١) نفسه ص ٦١ .

(٢) ، (٣) نفسه ص ٦٤ .

يقول الأستاذ « طارق البشري » : « إن الحركات السياسية في بلادنا لا نجد فيها دعوة لقيام حركة سياسية علمانية ، أو دعوات لإحلال غير الإسلام إطارًا مرجعيًا حاكمًا لنظم الحياة وسياسات الدولة والحركات الشعبية ، بل إن حركات المغرب العربي كلها كانت واضحة التوجه الإسلامي في مشروعها ومفادها ومقاصدها من « عبد القادر الجزائري » إلى « السنوسي » إلى غيرهما ...

وكذلك الحركات الوطنية المقاومة للاستعمار الأوروبي ونفوذه ، فقد كانت تلك الفترة لا تزال تصدر في الأساس عن الفكرة الإسلامية وعن معايير الاحتكام والشرعية القائمة على أسس من هذه الفكرة »[1] .

وهذا يدعونا إلى التوسع في الحديث عن تلك الحركات .

حديث عن الحركات المقاومة للاستعمار التي كانت كلها من منطلق (الجهاد) :

إن حركات المواجهة والتصدي للغزو الاستعماري العسكري انطلقت تحت راية الإسلام ، وبدافع الجهاد في سبيل الله لمنع الكافرين من احتلال ديار المسلمين ، وليست بدافع الوطنية أو القومية أو العرقية أو غيرها من الشعارات التي جاء الإسلام لدحضها ، حيث وضع ميزانًا آخر للتقويم بقوله – تعالى – : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وحديث الرسول ﷺ : « لا فَضْلَ

---

(١) طارق البشري (الحوار الإسلامي العلماني) ص ١٥ ، ص ١٧ ، دار الشروق بالقاهرة ، ط ٣ ، ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦م.
ويجب ألا ننسى المجاهدين الكبار أمثال عمر المختار الذي أعدمته سلطات الاستعمار الإيطالي الغاشم ١٩٣١م ، كذلك ثورة عرابي المؤيدة بفتوى شرعية من مشايخ الأزهر بمروق الخديوي من الدين لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده .
د. عبد العظيم رمضان (الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة) ص ٨٣ ، وص ٢٢٢ ، دار المعارف بمصر ١٩٨٥م .

لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى »[١].

فلا عجب إذن أن قام قادة المسلمين من العلماء والأمراء بحث الأمة على الجهاد ودفع مخاطر المعتدين، ولم يأبهوا بتفوق جيوش الغرب في السلاح والعتاد - منهم: « عبد القادر » في الجزائر، و« المهدي » في السودان - كما انفجرت الثورات في أفغانستان، والهند وفي أواسط آسية، وانتشرت حتى امتدت شرقًا فبلغت الأقطار الصينية، فثار الصينيون ثورتهم الكبرى في تركستان الصينية، واشتعلت الثورة في جزر الهند الشرقية (أندونيسيا) ضد هولندا[٢].

ولكي نواصل خط السير، ونربط حلقات السابق باللاحق، ونعرف حقيقة أنفسنا في الوقت الحاضر، يجب علينا بحث إحدى حلقات السلسلة المفقودة، فنقف لنبحث: هل أخفقت هذه الحركات الإسلامية إخفاقًا تامًا؟ أم أنها مع إخفاقها في صد الغزو الاستعماري بقيت مشتعلة تحت الرماد تغذي الأجيال تلو الأجيال؟

وهل نحن في حاجة إلى تذكرة البعض بأن عقيدة الإسلام هي درع الأمة؟ صدت به عن نفسها الغزوات والأخطار، وما زال هذا الدرع وحده الكفيل بوقوفها على أرجلها من جديد بعد أن ترنحت وفقدت توازنها بسبب الجراح الثاخنة، والطعنات الموجعة، وإذا كان الجسد قد ترنح وفقد توازنه، فإن الروح ما زالت قوية صامدة تتحدى الطعنات!

لذلك فنحن في حاجة فقط إلى تذكرة بعض أبناء جيلنا الحاضر بهذه الحقيقة

---

(١) عن النبي ﷺ: « إن الله أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس بنو آدم، خلق من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ». رواه الترمذي.

(٢) لوثرب ستودارد « حاضر العالم الإسلامي » جـ ١ ص ٧٣، ٨٣، ٩٣، ١٠١ / ١٠٢، ترجمة عجاج نويهض، وتعليق وتقديم الأمير شكيب أرسلان، ط ٤ القاهرة ١٣٤٣ هـ - المطبعة السلفية.

التاريخية الثابتة، حيث نسي البعض منا ذلك بسبب المعالجات المغرضة لتاريخ أمتنا، كذلك ساهمت القوى الغازية وأعوانها في إسدال ستار النسيان على حقبة الاستعمار، وقصص شعوبنا في مقاومته؛ لكي تبقينا في دوامة الحيرة. والآن علينا استرجاع تلك الأمجاد لكي نستأنف خط سيرنا مرة أخرى من حيث انتهى أجدادنا وآباؤنا في مقاومة الاستعمار من منطلق العقيدة الإسلامية وهويتنا الحضارية الذاتية الأصيلة تحت راية (الجهاد).

فهل نستطيع أن نذكِّر أنفسنا وبني قومنا مرة أخرى بهذه الوقائع التي سجلها التاريخ؟

ربما يواجهنا سؤال عن سبب تعثر بعض هذه الحركات - وبخاصة ثورة عرابي - بينما نجحت حركات مماثلة سابقة في صد الغزاة أيام الصليبيين والتتار. وسنحاول الإجابة على هذا السؤال أولًا قبل الدخول في بيان وقائعها بالتواريخ والأرقام.

ربما يرجع أسباب تعثر هذه الحركات في التصدي في البداية؛ لأن القوى الغربية كانت متفوقة عسكريًا، حيث جابه المسلمون قوى أعتى منهم، كذلك فإن التوقيت الزمني عند الاصطدام كان في صالح القوى الغازية؛ لأنها كانت في فترة ذهبية؛ ولأنها كانت تستند إلى مجتمعات متفوقة علميًا واقتصاديًا وسياسيًا، وما الجيوش إلا رأس حربة لها.

هذا، بينما افتقدت القاعدة الجماهيرية المسلمة التي يستند إليها الأبطال المسلمون نفس المزايا، بل إن المجاهدين كانوا بمثابة طلائع فذة متفوقة بمواهبها وقدراتها، وعبقريتها الخاصة، فلما استشهدت أو ماتت لم تكن كوادر الصفوف الثانية على نفس المستوى، فضلًا عن الجماهير التي أنهكتها المقاومة مع تزايد

الأساليب الشرسة التي استخدمها الاستعمار في القهر ، مقترنة بأساليب الغزو الثقافي [1] .

وكما أن الأسلحة مهما بلغت قوتها تحتاج إلى ذخيرة ، فإذا نفدت لم تعد هذه الأسلحة أية فاعلية ، كذلك فإن استشهاد هذه الطلائع أصاب حركات الجهاد الإسلامي بطعنات مؤثرة ، ولكنها ليست قاتلة ؛ لأن الجذوة ظلت مشتعلة .

ولا شك أن القوات العسكرية الغازية كانت تستمد مقومات النصر من التفوق الغربي في العلوم التجريبية ونتائجها المتحققة في تطوير الأسلحة وتنظيم الجيوش بقواتها الثلاث : البرية ، والجوية ، والبحرية ، فضلًا عن الكوادر المنظمة وراء هذه الجيوش ؛ حيث تمونها وتخدمها وتقدُّم لها العنصر البشري ، وتمدها بالأسلحة والذخيرة ؛ والخبرات العلمية العسكرية بالكليات المتخصصة .

ومما يجدر ذكره أيضًا : ظهور عناصر الخيانة في صفوفنا ، وتجنيد ذوي النفوس الضعيفة التي لا تخلو منها أمة أو مجتمع ، بإغراء الأموال والمناصب وغيرها من المغريات ... هذا فضلًا عن الغزو الثقافي الذي فاق بآثاره الغزو العسكري في تسميم الشخصية الإسلامية وإضعافها !

وتصبح خطوتنا التالية تفسير وتحليل حركات المقاومة التي جابهت الاستعمار وقاومته ببسالة ، وقدّمت التضحيات بالأنفس والأموال .

---

(١) إن أول من كشف الستار عن تلك الأساليب هو الشيخ محمود شاكر - رحمه الله تعالى - إذ بيَّن دور المستشرقين ، ووصفهم بأنهم دأبوا على تحقيق أهداف المسيحية الشمالية ، وإعداد أنفسهم لحرب صليبية رابعة ، لا بالسلاح ولكن بأساليب غاية في الدهاء والمكر . كتابه (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ص١١٢ وما بعدها ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

نبذة مختصرة عن حركات مقاومة الاستعمار :

سنعتمد في دراستنا على بحث قام به عالم غربي ، هو الدكتور « رودلف بيترز » الذي سجّل حركات مقاومة المسلمين للاستعمار في المناسبات الآتية تبعًا لتاريخها الزمني ، ونستخلص منها أن قوة الإيمان في القلوب هي التي - بعون الله تعالى - تغلَّبت على قوة السلاح والجيوش :

١ - مقاومة المسلمين للاستعمار البريطاني في الهند .

٢ - المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير « عبد القادر » ضد الاستعمار الفرنسي .

٣ - الحركة المهدية في السودان .

٤ - المقاومة المصرية بقيادة « أحمد عرابي » ضد الاحتلال البريطاني لمصر .

٥ - مقاومة « السنوسي » للاستعمار الإيطالي في ليبيا .

٦ - إعلان الجهاد العثماني سنة ١٩١٤م .

٧ - المعارضة الدينية للاستعمار البريطاني وللصهيونية في فلسطين [١] .

أما تحليل أسباب الإخفاق في هذه الحركات التي كانت لعقيدة الجهاد أهمية كبرى في مقاومتها الاستعمار الغربي - هذه الأسباب ترجع إلى عوامل مختلفة سنعرض لبعضها حيث ترجع إلى ما ظهر من خيانة في صفوف بعض حركات

---

(١) الإسلام والاستعمار (عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث) ص ٥٧ - ٥٨ ، والمؤلف أستاذ بمعهد الدراسات العربية الإسلامية بجامعة أمستردام . الترجمة العربية - دار شهدي للنشر بالتعاون مع المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية - القاهرة سنة ١٩٨٥م ، وقد اعتمدنا على هذا الكتاب كمصدر رئيسي في عرض حركات المقاومة الإسلامية للاستعمار العسكري الغربي .

المقاومة أو تفوق القوة العسكرية لدول الاحتلال أو استخدام بعض علماء السوء لاستصدار الفتاوى لتبرير ترك المقاومة المسلحة .

١ – في الهند :

استطاعوا تجنيد « أحمد خان » حيث استجاب لهم بإصدار فتوى يزعم فيها أن الجهاد ضد الإنجليز غير شرعي [١] .

وكان الإنجليز قد أفردوا المسلمين – دون الهندوكيين – بالقهر المتعمد ، فأبعدوا المسلمين من الوظائف الحكومية ، والقضاء ، والشرطة ، وأحلوا محلهم الهندوكيين بأعداد متزايدة ، إذ أظهروا استعدادًا أكبر للتأقلم مع الظروف الجديدة [٢] .

٢ – الجزائر :

واستندت حركة مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر أيضًا إلى العقيدة الدينية حيث (اتخذ الأمير عبد القادر الإسلام باعتباره قوة توحيد يجمع القبائل بعضها إلى بعض وليتغلب على النزعات القَبلية الضيقة الكامنة في المجتمع الجزائري) [٣] .

كذلك بذل ما في وسعه للحكم بمقتضى الشريعة ، ومحافظًا في الوقت نفسه على عقيدة التوحيد حيث حَمَل حملة شعواء على البدع ، وخاصة تقديس الأولياء ، واعتبر النضال ضد الفرنسيين جهادًا .

ثم جاء بعده الإمام « عبد الحميد بن باديس » الذي خلّص الجزائر من براثن فرنسا ، وهو الأب الروحي لثورة الجزائر .

---

(١) المرجع السابق ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٤ ، ٧٥ .

٣ – السودان :

وقامت حركة المهدي (١٨٤٤ – ١٨٨٥م) [1] في السودان أيضًا على أساس إنشاء دولة تحكمها مبادئ القرآن والسنة، وكان أتباعه يبايعونه على ذلك :

٤ – حركة «أحمد عرابي» في مصر :

كانت حركة «أحمد عرابي» ضد الغزاة الإنجليز نابعة من عقيدة الجهاد، فقد نشرت (الوقائع المصرية) وهي الجريدة الرسمية لمصر (إعلان الجهاد)، ودعا العلماء في طول البلاد وعرضها إلى الجهاد وحثوا المصريين على تأييد الجيش ضد الكفار.

والقارئ لصيغة الإعلان يلاحظ أنه كان يدعو إلى نصرة الدين لردع كل من العدو، والخائن الحقير (الخديوي)، ويتضمن قول الله – تعالى – : ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ١٢٣].

وعلل كثير من العلماء في بياناتهم للشعب سبب الغزو، إلى سلوك الحكام المخالف للإسلام، واتخاذهم الكفار أولياء، واقتفاء آثارهم في التعامل والسلوك بلا مبالاة بأحكام الإسلام [2].

ولهذا السبب – أي وضوح مبدأ الجهاد الذي رفعت رايته الحركة – لقيت الثورة العرابية مقاومة عنيفة من أوروبا «فقد وقف الأوربيون جميعًا ضد الثورة العرابية ... بل كان القنصل الألماني في مصر من أشد الناس كراهية لعرابي، ومن

---

(١) ولكن ينبغي شجب ادعائه (المهدية) بزعم الكشف والإلهام والرؤى ومقابلة الخضر ... إلخ، ويعنينا هنا أن حركته كانت دينية في أساسها الفكري وغايتها ووسائلها.

يُنظر كتاب د. محمد إسماعيل المقدم (حركة المهدي السوداني) ص ٥١، دار ابن الجوزي بالقاهرة، ط ٥، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٢، ١٠٣.

أعنف الداعين إلى القضاء عليه ... بل كان هناك في الجيش المصري جنرال أمريكي يسمى شابيه لونج ... وكان المفروض أن يقف بعواطفه مع المصريين ... أو يقف على الحياد على الأقل ... ولكنه كان من أكبر المطالبين بإعدام عرابي وأصحابه »[1].

وكان « عرابي » – في رأي د. « حسين مؤنس » على رأس حركة فريدة من نوعها في ذلك العصر – فقد واجه الحاكم المستبد، وأوروبا كلها متمثلة في القناصل، ويستحق كل تمجيد مهما صدر عنه بعد ذلك[2].

٥ – « السنوسي » في ليبيا :

من المعروف أن الطريقة السنوسية كانت في الأصل تلتزم بالإسلام وتسعى إلى تطهيره من البدع الدخيلة، كما عارض أتباعها كلاً من ثورة تركيا الفتاة العلمانية سنة ١٩٠٨م، وخلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩م.

وعندما أقدمت إيطاليا على احتلال ليبيا أصدر السيد « أحمد الشريف » (١٨٧٣ – ١٩٣٣) – وهو حفيد مؤسس الطريقة – بيانًا بالجهاد موجَّهًا إلى كل المسلمين و – بخاصة في البلاد التي احتلها أعداء الدين – تضمن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على الجهاد.

وقد ظلت حركة المقاومة مستمرة بصورة أو بأخرى منذ إعلان ذلك البيان سنة ١٩١٢م؛ مما اضطر الإيطاليين للاعتراف بسيادة السنوسية، ثم تغير الوضع بوصول الفاشيين إلى الحكم في إيطاليا، إلى أن انتهى النضال بقيادة الشيخ البطل

---

(١) د. حسين مؤنس (باشوات وسوبر باشوات « صورة مصر في عصرين ») ص ٣٦، الزهراء للإعلام العربي بمصر ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(٢) نفسه ص ٣٧.

« عمر المختار » الذي استشهد سنة ١٩٣١م [١]

٦ – وفي هذا المجال أيضًا ينبغي وضع نصب أعيننا صمود الشعب الأفغاني المذهل في مواجهة قوى الغزو الإنجليزي والروسي والأمريكي تباعًا في العصر الحديث ، وانتصاره تحت راية الجهاد ، مع صلابة المجتمع وتماسكه في ظل الشريعة الإسلامية في الداخل .

وعلى قادة فصائل الصحوة الإسلامية دراسة هذه التجربة الواقعية التي تُغني عن الاجتهادات الفقهية النظرية ، والتعلُّم من خبرتها .

٧ – الجامعة الإسلامية وإعلان الجهاد في الخلافة العثمانية :

وكان إعلان الجهاد أيضًا هو وسيلة الخلافة العثمانية في حربها مع الروس ، والفرنسيين ، والإنجليز عام ١٩١٤م ، حيث صدرت عدة فتاوى تستحث المسلمين في البلاد [٢] الخاضعة لحكم هذه الدول على الجهاد ، والثورة على حكامهم .

ويعلل مؤلف كتاب (الإسلام والاستعمار) عدم اندلاع أي ثورة مناهضة للاستعمار ، بالقمع الذي مارسته السلطات الاستعمارية ، إذ اعتقلت الزعماء

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٧ / ١١٣ .

(٢) مثل : القرم ، وقازان ، وتركستان ، وكيفا ، والهند ، والصين ، وأفغانستان ، وفارس ، وأفريقيا ، وغيرها . والجدير بالذكر أن الشريف حسين والي مكة المكرمة رفض الارتباط علنا بالجهاد العثماني ، وكان الإنجليز قد فاتحوه من قبل بمخطط ثورة عربية ضد الأتراك .

ويعتبر موقف « حسين » هذا مخالفًا لما كان عليه كثير من المثقفين المسلمين المتوجسين خيفة من تزايد النفوذ الاقتصادي والسياسي الغربي في العالم الإسلامي ، وكانوا يميلون إلى توحيد المسلمين جميعًا تحت زعامة السلطان العثماني حيث يرون أنه الوسيلة الوحيدة لمقاومة السيطرة الغربية (الإسلام والاستعمار ص ١١٦ ، ١١٧) .

وانتصر الإنجليز على الأتراك بفضل القوات العربية ، وكان جزاء الشعوب العربية (جزاء سنمار) حيث خضعت بلادهم لاستعمار الدول المنتصرة ، وكانت نكبة فلسطين .

الموالين للأتراك ، وحظرت كل الكتابات الموالية للأتراك ، ولكنها في الوقت نفسه استصدرت الفتاوى من بعض علماء السوء مؤداها أن طاعة بريطانيا فريضة شرعية ، أي عرفت كيف تطوّع المفاهيم الدينية لصالحها بناءً على فهم ووعي بنفسية الجماهير .

ويبدو هذا التصرف معقولًا لدولة تسعى لتحقيق مصالحها وفق مبادئ « ميكافيللي » السياسية ، ولكن الأمر يشكّل عقبة أمامنا عندما نحاول فهم تصرف (الشريف حسين) الذي خُدِع بوعود الإنجليز عن منح العرب (الاستقلال) إذا شاركتهم في حربها للدولة العثمانية .

ونقف مشدوهين أمام الجيش العربي بقيادة « فيصل بن حسين » الذي حقق حلم الإنجليز – ومن ورائهم الغرب بأسره – عندما أسهم مساهمة فعّالة في دخول القوات البريطانية إلى أرض فلسطين بقيادة (اللنبي) الذي أعلن بسرور بالغ : « الآن انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين ! » .

ولا يعلم إلا الله – تعالى – ماذا كان سيحدث لو لم ينضم العرب بقواتهم العسكرية إلى الإنجليز عونًا وتدعيمًا حتى تحقق النصر على الدولة العثمانية ، إلا أننا لا نستطيع تبرئة (الشريف حسين) من الطعنة التي طعن بها ظهره – وظهر العرب والخلافة الإسلامية معه – وسجّل له التاريخ هذا التصرف القاتل الذي لا يخرج عن كونه إما (غفلة) أو خطأً سياسيًّا دفع العرب والمسلمون ثمنه غاليًا ولا يزالون !

وبعد ، فليعذرنا القارئ للإطالة في تناول هذه الأحداث ، لا لشيء إلا لكي نعيد للذاكرة الدور الذي أداه الأجداد ، ومن ثَمَّ فقد أصبحنا مسئولين عن استئنافه بعدهم ، مستفيدين من تجاربهم بدلًا من رفع الرايات من الشرق والغرب

أو استخدام الأيديولوجيات المستوردة، وافتعال (الثورات) وغيرها من وسائل ثبت إخفاقها.

كما نتوجه بهذه النتائج أيضًا إلى بعض مثقفينا من ضحايا (التضليل) الثقافي الاستعماري، الذي تعمَّد تشويه تاريخنا وإخفاء معالمه البارزة ذات الفاعلية المؤثرة في سير الأحداث التي انحدرت إلى ما نحن عليه في العصر الحاضر.

ولا نريد تفريع المسائل أكثر من ذلك، فإن مصادرها موجودة، ولكن نريد الوقوف على ملاحظتين تشتركان في تفسير ما صرنا إليه:

الأولى: نجح الاستعمار وأعوانه في إحلال أفكار الوطنية والقومية محل العقيدة الدينية التي ظلت تحرِّك الأمة طيلة القرون الطويلة تحت راية الجهاد، ومن ثَمَّ أخذت روح المقاومة في الضعف التدريجي، كما أفقد الأمة سلاحها في مقاومة الغزو العسكري الخارجي، وخير دليل على ذلك ثورة الشعب المصري ضد غزو نابليون تحت راية الجهاد، والضعف البادي في صدِّه للاستعمار البريطاني ١٨٨٢م [1].

الثانية: استبدال القوانين الوضعية المستوردة بالشريعة الإسلامية، ففقدت الأمة سلاحها الثاني في المقاومة، أي الإبقاء على تماسكها الداخلي وأيديولوجيتها الموحدة.

وفي ضوء متابعة هذه الحقائق الثابتة في تسلسلها إلى عصرنا الحاضر، يمكن بسهولة إقناع مثقفينا المتأثرين بالتوجيهات الثقافية الغربية، بأن تطبيق الشريعة الإسلامية في الداخل وإقامة العلاقة الخارجية مع شعوب الأمة الإسلامية وفق مبدأ الوحدة الإسلامية، يمكن إقناعهم بأن تنفيذ هذين المطلبين يُعد بمثابة

---

(١) والموضوع يحتاج إلى دراسة مستفيضة.

(تصحيح) أوضاع أمتنا لاستئناف خط سيرها المرتبط بعقيدتها وحضارتها وتاريخها ، ذلك لأن القوانين الوضعية المطبقة حاليًا فُرضت على شعوبنا بالقوة ، كذلك أُكرهت الأمة على التجزئة والتفتت عقب القضاء على الخلافة العثمانية فتحول الجسد الواحد إلى أوطان متفرقة متناحرة أكثر منها متآلفة ..

ونود استخلاص مغزى أخير بعد هذا العرض الموجز ، حيث تصبح حركة (الصحوة الإسلامية) معبِّرة عن روح الأمة الأصيلة وتشوقها إلى تراثها وقيمها ، ومستأنفة لجهود أجدادها .

لقد خاض الكثيرون في تعليل حركة هذه الصحوة ، ولكن أغلبهم فاتهم متابعة حلقات المقاومة الإسلامية لكل ما هو أجنبي ، ولكن ينبغي التعرف على الخيط الرابط بين حركات المقاومة الإسلامية التي بيناها آنفًا على امتداد العالم الإسلامي بأسره :

فبإزاء المخططات العدائية للإسلام ، بقي الإسلام صامدًا وتهافتت أمامه التحديات وبقيت الأمة - بالرغم من مظاهر الهزال والضعف البادية - قوية بعقيدتها .

وبعبارة أخرى ، على السطح تغيرت النظم وبعض العادات وحلت محلها ملامح (التفرنج) ، ولكنها تمثّل قشرة سطحية لم تنفذ إلى الأعماق .

فقد بقي قلب الأمة حيًا ينبض ، وستظل كذلك ما دام هناك أذان يُرفع خمس مرات في اليوم معلنًا [الله أكبر] ، وصلوات تقام ، وصيام يُؤدى ، وحج تقام شعائره كل عام بانتظام (وها نحن أيضًا أمام فهم إضافي من زاوية جديدة للحكمة من شعائر العبادات) .

ومع ازدياد حملات التغريب والتسميم الفكري، وفرض تجارب الأنظمة الشرقية والغربية، ومظاهر الفشل الذريع، وأمام المآسي التي ظهرت للعيان في الحروب العسكرية حيث الهزائم الساحقة، والخراب الاقتصادي، والانهيار الأخلاقي، أمام كل هذه النتائج نشأ الجيل الجديد، وقد تلقى الدرس ووعى التجارب، فاستند إلى جدار الإسلام، ونبذ الأيديولوجيات والنظم المستوردة.

يقول الدكتور «حامد ربيع»: (إن اليقظة الإسلامية في حقيقتها بالنسبة للأمة العربية هي حركة مقاومة ضد الاستبداد السياسي والغزو الحضاري الأجنبي، وهي أيضًا تطور يسعى إلى ربط الماضي بالحاضر) [١].

ونستدل من ذلك كله أن قلوب شعوبنا مملوءة بالإسلام وبالإيمان، وعلى القادة والزعماء توظيف ذلك في إيقاظ الشعوب الإسلامية؛ لدرء المخاطر المحيطة بها من النفوذ الصهيوني والصليبي خارجيًّا، وداخليًّا: الحث على العمل والكفاح الدءوب لطريق التقدم، لتخطي حالة التخلف والتبعية التي حوصرت داخلها منذ الغزو الاستعماري في العصر الحديث، مع إقناع الجماهير بأن ذلك نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله.

وليت ضباط حركة (٢٣ يوليو ١٩٥٢م) كانوا قد استثمروا هذا الكنز الإيماني المستقر بالقلوب لدفع مصر إلى طريق النهضة، استكمالًا لتجارب الأجيال الماضية، واستغلالًا لمآثر الجهود الإصلاحية التي أرسى دعائمها العلماء والقادة والساسة والجمعيات الدينية في مرحلة ما قبل (٢٣ يوليو)... ولكن مع الأسف، ألقوا كل ذلك وراء ظهورهم، وفرضوا على الشعب النظام الماركسي في ثوب

---

(١) د. «حامد ربيع»، القومية العربية بين الغزو الصهيوني وإرادة التكامل القومي، ص ١٧٢، ط دار الموقف العربي بالقاهرة سنة ١٩٨٢م.

الاشتراكية [١] ، فكانت الهزائم ، وتقهقرت مصر إلى الوراء ، وفقدت مكانتها كقلب العالم العربي والإسلامي !

الأدوار التاريخية التي مرت بها الأمة الإسلامية في العصر الحديث :

قبل تشعب موضوعات البحث والاستغراق في دراسة قضاياه المتنوعة ، سنعطي فكرة تمهيدية عن الأدوار التاريخية والتطورات المتلاحقة التي مرت بها الأمة في العصر الحديث عند اصطدامها بالاستعمار الغربي :

١ – أحوال العالم الإسلامي قبل الغزو الاستعماري إذ كانت الحملات الاستعمارية في حقيقتها تستهدف إجهاض الأمة لا الأخذ بيدها لمسايرة الحضارة . والنموذج المعبّر ها هنا يتمثل في حملة « نابليون » على مصر [٢] .

٢ – كانت الشريعة الإسلامية هي التي تسود تنظم المجتمعات في نظم التعليم والاقتصاد والتجارة .

٣ – انطلقت حركات المقاومة من عقيدة الجهاد .

٤ – عندما أصبح العالم الإسلامي في قبضة الدول الأوروبية أخذت تفرض عليه نظمها : الثقافية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، كذلك فرضت

---

(١) يقول إبراهيم سعده : (وجاء وقت كان الشيوعي يفخر علينا بشرف انتسابه للماركسية .. ونجحوا في ترديد نغمة تقول أن الشيوعية شيء والاشتراكية شيء آخر .. وتمادوا في تفسيراتهم لدرجة أنهم أعلنوا أن الاشتراكية والماركسية لا تتعارضان مع الأديان ، وأن المسلم يمكنه أن يحافظ على دينه ، وأن يؤمن بالماركسية في نفس الوقت) . (سنوات الهوان) ص١٧٦ .

(٢) يقول « رجاء جارودي » : « ... فلقد أعطى استيلاء نابليون على مصر سمة جديدة لعلاقة الغرب بالشرق ... إنها قبل كل شيء علاقة تقوم على الخداع والسيطرة ... كما أعلن بونابرت بيانه إلى سكان الإسكندرية الذي جاء فيه قوله : « ... نحن المسلمون حقًا وصدقًا » من كتابه (ما يعد به الإسلام) ص ٢٣٥ ، ترجمة قصي أتاسي ، وميشيل واكيم ، دار الوثبة – دمشق ١٩٨٣ م .

عليه : آدابها ، وفنونها ، وقيمها ، وعاداتها ، وأنماط سلوكها في الحياة بشتى شُعبها ، وكلها كانت مخالفة لعقائد الأمة الإسلامية وشرائعها ، مشوهّة لذاتيتها ، ومعالم أصالتها ، وتفرّدها .

أما آن لنا بعد هذه التجربة المريرة أن ننفض الغبار عن تاريخ حضارتنا الذي نسيناه في غبار الحياة في ظل ثقافة الغرب ؟ وما علينا إذا أردنا القيام بنهضة حقيقية إلا استرجاع النموذج الرائع في صدر الإسلام بعقيدته وشريعته وقيمه الأخلاقية ، مع الأخذ بالأساليب العلمية بنظم الحياة العصرية المتفقة مع شريعتنا الإسلامية .

المساهمون في حركة النهضة قبل ثورة (يوليو ١٩٥٢م) :

دأبت أجهزة دعاية ثورة (٢٣ يوليو) على إنكار أي فضائل للعلماء والقادة المفكرين من السادة قبلهم [1] ، ووسم العصر كله بالفساد والرجعية ، وكيل الاتهامات لمخالفيهم في الرأي ، بلغ إلى حد ضرب الدكتور « السنهوري » الفقيه الدستوري الشهير في مكتبه ؛ لأنه كان يتبنى النظام الديمقراطي في الحكم مع تأكيد أبواق الدعاية على أن ضباط الحركة حققوا ما لم يأتِ به الأولون !

ومهمتنا بهذه الدراسة مناقشة تلك المزاعم وتفنيدها بدراسة مشاريع النهضة قبل ثورة (٢٣ يوليو) ، والتعرّف على اتجاهاتها والدعامات التي قامت عليها والأشخاص القائمين بها .

---

(١) يذكر الأستاذ « توفيق الحكيم » أن ثورة (١٩٥٢م) شجّعت على التزييف ، والنفاق ، وطمس الحقائق ، وجعل ثورة (١٩٥٢م) هي تاريخ ميلاد مصر الحضاري ، وأن ما قبلها هو الجاهلية ، في حين أن ثورة (١٩٥٢م) ما كان يمكن أن تقوم إلا على دعائم قوية من نهضة مصرية حقيقية قامت في الثلاثين سنة السابقة على الثورة . كتاب (عودة الوعي) ص٩٨ .

وسنبدأ بدراسة دور « جمعية الشبان المسلمين » في حركة النهضة المصرية المعاصرة :

جمعية الشبان المسلمين :

في وقت طال فيه اتصال المسلمين بأوروبا ، واشتد تأثرهم بالمدنية الأوروبية خيرها وشرها ، وأصبح المسلمون في حاجة إلى مَن يدلهم على المسلك الصحيح إزاء تلك المدنية [1] .

وأمام نشاط المبشرين الآخذ في الاتساع لم يبقَ أمام الشعوب الإسلامية إلا : إما النهضة الإسلامية ، وإما المادية والفساد الخلقي ؛ بسبب التقليد الأعمى لشرور المدنية الغربية .

في هذا الوقت قام بعض المخلصين من رجال مصر تحركهم فكرة إنقاذ القومية الصحيحة بالاعتصام بالدين والتمسك بالأخلاق الفاضلة ؛ لكي يخدم الشبان بلادهم ، وأن يكون الإسلام أساس الحياة القومية [2] .

وكان إنشاء جمعية الشبان المسلمين بمثابة حركة انبثقت في مصر « فكانت أكبر دلالة على الحالة العقلية الحاضرة لا في مصر فحسب ، بل في كثير من البلاد الناطقة بالضاد » [3] .

وقد عبّر عنها الدكتور « يحيى الدرديري » - أحد أعضاء مجلس الإدارة - بقوله : « إن ما أصاب الأمم الإسلامية من الانحلال والضعف يدعو كل مفكر

---

(١) مقدمة كتاب (وجهة الإسلام) ص ٣ بقلم د. « محمد عبد الهادي أبو ريدة » ، المطبعة الإسلامية بالقاهرة - ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م .
(٢) وجهة الإسلام ص ٧٢ .
(٣) نفسه ص ٦٩ .

إلى تعرف الأسباب والبحث عن أنجح الوسائل للعلاج ، فإن الفوضى الخُلُقية التي أصابت المجتمع الإسلامي ترجع إلى أسباب كثيرة ، أهمها : الجهل المنتشر ، وتقليد المسلمين لسيئات المدنية الغربية ، وإهمال المتعلمين واجباتهم نحو محاربة البدع والضلالات ... وللمسلمين دواءً واحدًا ؛ هو الرجوع إلى القرآن وأخذ الأخلاق من أوامر الله ﷻ ... ومن ثمَّ فلابد أن يكون القرآن أساسًا ونبراسًا ، ومصدرًا للنهضة الخلقية بين المسلمين ، هذه النهضة التي لا تصلح بدونها نهضة اجتماعية أو اقتصادية أخرى »[1] .

ويصور المستشرق « د. ج . كامبفماير » أحوال مصر في العشرينيات من القرن الماضي بقوله :

« كان المصريون أثناء العشرين سنة الماضية عرضة لأن يفقدوا - بسبب اتصالهم بمدنية الغرب - ما لهم من شخصية ويقطعوا الصلة بينها لهم من ماضٍ ودين ، وأخلاق ، ويسلموا أنفسهم لمساوئ تلك المدنية دون أن يأخذوا ما فيها من محاسن . والظاهر أنهم تغلبوا على هذا الخطر الذي كان يتهددهم » .

ثم يرجع ذلك إلى نشاط جمعية الشبان المسلمين[2] .

وعبّر عن دافعه لدراسة نشاط هذه الجمعية أنها بدأت بالقاهرة - وهي المركز الفكري للعالم الإسلامي - وسجّل أن العواطف والأماني الإسلامية تجمع بين البلاد الناطقة بالعربية كمصر ، وجزيرة العرب ، والعراق ، وسوريا ، وفلسطين ، موضحًا أثر قيام الحركات الإسلامية بتلك البلاد جميعًا بقوله : « فإذا

---

(١) نفسه ص ٧٥ .

(٢) من كتاب (وجهة الإسلام « نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي » ص ٩٦) ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م ، المطبعة الإسلامية بالقاهرة ، حارة الروم . .

قامت حركات إسلامية ذات شأن في إحدى هذه البلاد استطعنا أن نتصور جيدًا ما يمكن أن تحدثه من تأثير » ثم يضيف في نهاية عبارته ملاحظة يهديها إلى الساسة في بلاده بقوله : « وما يمكن أن يكون لها من خطر »[1] .

وقد قامت الجمعية بأنشطة متعددة مما أثار التفات العالم الإسلامي وجذب إلى القاهرة أحسن العقول وأقوى العزائم ؛ لأن القاهرة كانت حينذاك مركز الإسلام العقلي ، بل مركزه الجغرافي أيضًا[2] .

ومع أنه ليس هناك في الواقع جامعة إسلامية بالمعنى السياسي ، ولكنَّ هناك ارتباطًا فعليًّا بين الجماعات الإسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي وشعورًا قويًّا بالوحدة ، وقد زاد من نماء هذا الشعور التلقائي ؛ بسبب الأحداث التي أصابت العالم الإسلامي[3] .

ولم يعرف المستشرق « كامبفماير » أن فكرة وحدة العالم الإسلامي مستمدة من آراء الفقهاء أيضًا إذ كانت من أهم المسائل الإسلامية التي دارت بين كبار عقلاء المسلمين في جميع الأقطار وكانوا « يتهامسون بها سرًّا مسألة « دار الإسلام » التي يفترض على العالم الإسلامي كله الجهاد بالنفس ، والمال ، والعلم ، والعمل ، لإعادتها »[4] .

ويعرض الشيخ « رشيد رضا » لمختلف الآراء حول تلك المسألة ، ويذكر أن الرأي الأول – وهو أقرب الآراء إلى نصوص جمهور الفقهاء – أن كل ما دخل من

(١) نفسه ٦٩ ، ومن المعروف أن دراسة الحركات الإسلامية كانت من أجل العمل على القضاء عليها . محمد قطب (المستشرقون والإسلام) ص ٢٩٦ ، مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

(٢) ، (٣) نفسه ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٤) رشيد رضا (تفسير المنار) جـ ١٠ ص ٣٧١ ، مكتبة القاهرة ١٣٤٩ هـ .

البلاد في سلطان الإسلام ونفذت فيه أحكامه وأقيمت شعائره قد صار من (دار الإسلام)، ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوبًا عينيًّا، كانوا كلهم آثمين بتركه. وأن استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنهم وجوب القتال لاستِرداده وإن طال الزمن، فعلى هذا الرأي يجب على مسلمي الأرض إزالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشيء من الممالك الإسلامية، وإرجاع حكم الإسلام إليها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا. وعجزهم المؤقت عن ذلك لا يسقط عنهم وجوب توطين أنفسهم عليه، وإعداد ما يمكن من النظام والعدّة له، وانتظار الفرص للوثوب والعمل»[1].

وقد كان لهذا الرأي صدى في شباب جمعية الشبان المسلمين الذي وصفهم المستشرق بأنهم كانوا مخلصين مجاهدين، ودفعهم شعورهم الإسلامي بالعناية بشكل كبير بكل ما يتصل بالإسلام من أحداث، وعلى رأسها قضية فلسطين، حيث حدثت اضطرابات خطيرة في أغسطس ١٩٢٩م حول حائط المبكى، فأرسلت جمعية الشبان المسلمين برقيات لجمعية الأمم ولوزارة الخارجية البريطانية وللمندوب السامي في القدس لإخطارهم بأن «مسلمي فلسطين كانوا ملتزمين الهدوء حتى تحداهم اليهود، وأن موقع البراق عند المبكى الذي يدعيه اليهود

---

(١) تفسير المنار جـ ١٠، ص ٣٧١.

ولكن المستشرق «جب» عرف حقيقة (دار الإسلام) حيث كتب يقول: «ولكن ينبغي أن نفهم أنها بمعنى أن المسلمين في مجموعهم كانوا يشعرون بما بينهم من قربى، وكانوا يظهرون عمليًّا في حياتهم الاجتماعية أثر هذا الاعتقاد، فالمسلم من المغرب يحس بما في الهند أو جاوة كأنما هو في مراكش سواء بسواء إلا في اللغة، وله الحق أن يغدو ويروح، ويتزوج ويقيم كما يشاء الآن [دار الإسلام] كلها وطنه الذي لا وطن له سواه، ربما ينصب ميله إلى مسقط رأسه، ولكن يغدق ولاءه وكل تلك العواطف التي تقربها بحب الوطن على العالم الإسلامي وثقافته الدينية في جملتها». (جب (وجهة الإسلام) ص ١٥).

لأنفسهم بقعة يقدسها المسلمون ، وهم في كل بقاع الأرض يعدون أنفسهم جندًا يقفون في صف مسلمي فلسطين ليدافعوا عن أمانة اؤتمنوا عليها ، وأنهم لن يسمحوا للصهيونيين أن يتخذوا مكانًا يقدسونه مركزًا لدعايتهم الوطنية ما بقي على ظهر الأرض مسلم واحد ، مادام يجري في عروقه دم الحياة » .

وبعد هذه النكبة العظيمة جمعت الجمعية إعانات لتساعد بها الأسر الفلسطينية التي أصابتها نتائج الاضطرابات .

وقبل بيان أشخاص مؤسسي الجمعية وبرامجها وأهدافها ، يحسن أن نعرّف بالإطار العام الذي صدرت فيه النهضة الوطنية حينذاك ، وساهمت جمعية الشبان المسلمين بنصيب وافر ، مع بيان الاختلاف بين الاتجاهين : الإسلامي والعلماني في موقفها من النهضة [1] .

الإسلام أساس النهضة :

إنّ الإطار العام الذي صدرت فيه النهضة الوطنية في الأساس « عن قاعدة إسلامية ، وكان الاستعمار وحلفاؤه المحليون أوروبيين في الأساس ، وبقي الإسلام متصل الأواصر بنظام الحياة على مدى القرن التاسع عشر ... ينتشر في خلاياها » [2] .

وهذا ما أثبته الأستاذ « طارق البشري » في دراسته الموسوعية ؛ إذ لاحظ أن جماعة صحيفة اللواء ، والحزب الوطني اللذين أنشأهما « مصطفى كامل » في ذلك

---

(١) كامبفاير (وجهة نظر الإسلام) ص ٨٠ ، ٨١ مصدر سابق .

(٢) طارق البشري (الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ » مراجعة وتقديم جديد » ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ - دار الشروق بمصر ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣م .

الوقت ، كانا ينزعان في مقاومتها للإنجليز منزعًا إسلاميًا - ويبدو ذلك جليًا من موقف هذا التيار من الجامعة الإسلامية - وفي أسلوب تصديه لقضايا المجتمع ووجهته من التحديث[١] .

أما تيار ما يمكن تسميته « بالعلمانية الوطنية » فإنه اختار من أنساق الغرب أسس نظريته للاستقلال والنهضة ، وتبنى معايير الاحتكام الغربية ، ولم يكن معارضًا للإسلام ، وهو يعبر عن ظاهرة حادثة غير قديمة « أحدث كثيرًا مما يتصور العلماني الوطني نفسه ، ولا حق لوطني علماني أن يزعم لنفسه وجودًا أكثر شرعية أو أصالة من غيره »[٢] ، وذلك لأن النهضة الوطنية صدرت في الأساس على قاعدة إسلامية .

وفي عام ١٩٢٨م تحديدًا ، بدأت الدعوة الإسلامية تتبلور في مناهج وأبنية تنظيمية ... وتبني مناهجها المستقلة ، بمؤسسات تؤكد على مقاومة الوفود وعلى ترسيخ الفكرة الإسلامية ، فتأسست جمعية الشبان المسلمين ، ثم لحقتها جماعة الإخوان المسلمين في ١٩٢٨[٣] .

وفي تحليل يتسم بالدقة والعمق ، ويستند إلى الوقائع التاريخية الثابتة يضع الأستاذ « البشري » قاعدة منهجية لكل باحث يدرس جذور النهضة الإسلامية بمصر في العصر الحديث ، وأنها كانت السمة الأصلية البارزة ، ثم جدّت العلمانية بعدها كأمر عارض ليس له جذور في البيئة الإسلامية سواء كانت تاريخية أو اجتماعية سياسية[٤] .

---

(١) ، (٢) ، (٣) نفسه .

(٤) وسنرى فيما بعد كيف انحازت ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ للعلمانية ، ودليلها (الميثاق الوطني) .

يقول الأستاذ « طارق البشري » :

(وهنا يمكن ملاحظة أن الدعوة الإسلامية ظهرت في ذلك الوقت كدعوة لاسترداد الأرض المفقودة ، أو الأرض المغزوة بالمعنى العقائدي الحضاري السياسي ، ولذلك ظهرت كدعوة لمطلق الإسلام . لم يكن أية حركة إسلامية من قبل تسمى هكذا باسمه العام الشامل ، وتدعو للإسلام مطلقًا وعامًّا ، وتوّجه دعوتها تلك إلى المسلمين سواء في القرن التاسع عشر أو فيما قبله ، ونحن نسمع عن السنّة ، والشيعة ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، والخوارج ، والصوفية ، وأهل الشريعة وأهل الحقيقة ، وعن الوهابية والسنوسية والمهدية ، وغير ذلك من الحركات الفكرية والسياسية والاجتماعية ، لم تتسم أي منها باسم الإسلام نفسه ؛ لأن أيًّا منها لم يكن يختص بالإسلام ولا يصدر عنه في مواجهة غيره في الأساس . ومن قاوم منها غزوًا أجنبيًّا إنما قاومه في الأساس كقتال عسكري أو ثورة ، ولم يكن يواجهه كغزوة فكرية سياسية عقائدية ، فلما وفد الأوروبي وعمل على إقصاء الإسلام من العقول والأرواح والنظم ، ظهرت الدعوة إلى مطلق الإسلام متسمية باسمه العام ... وانتشرت الدعوة على مدى الثلاثينيات ، وهذا فيما يظهر يدل على تشويق شعبي جماهيري بها . وقد شكلت بعيدة عضويًّا عن النخب الحاكمة من أهالي ، ومن جمهور مصري قح بالمعنى الشعبي للكلمة) [1] .

ثم يخلص من هذا كله إلى نتيجة مؤداها أنه (لم يكن التيار الإسلامي إذن تيارًا شاردًا ولا طارئًا ، ولا وضعًا يتجافى مع أصل آخر ، إنما كان هو الأصل ، ثم بدأ التضييق يأخذ عليه السبل ، وانطمر سنوات قليلة ليعود من جديد) [2] .

---

(١) نفسه ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) نفسه ص ٣٩ .

كما يلاحظ الأستاذ « طارق البشري » أن فترة ظهور الإخوان كانت فترة توجه إسلامي عام ، وآية ذلك ظهور الشبان المسلمين ثم الإخوان ، وبدرجة ما ظهور (مصر الفتاة) التي لم تدعُ إلى دعوة إسلامية خالصة ، ولكن التأثير الإسلامي كان واضحًا بها حتى بلغ قمته ١٩٤٠م ، ثم انحسر قليلًا ، ولكنه لم يفارق الحزب قط ، وقد امتد التوجه الإسلامي فشمل أيضًا الأدباء والمفكرين أيضًا [١] .

وينتقل بنا الأستاذ « البشري » ليجعلنا ندرك أن صراعنا مع الاستعمار يستلزم لأية حركة مقاومة أن تستند إلى تميز في الهوية والانتماء ، وتتصل بمجمل الموروث الفكري والحضاري الإسلامي ، وبخاصة أنه على مدار عشرات السنين السابقة أخذت المؤسسات الثقافية الاستعمارية في بلادنا تروج لمفاهيمها وتطمس كل مميز فكري وحضاري لنا ، وهو ما يسميه (بالاستعباد الثقافي) [٢] .

ثم يسجل تلك الثمرة المرة فيما جنيناه من تجارب استقلالنا في الخمسينيات ، ويعلل فشلها بقوله : « فرغم أنها تجارب بنيت على قاعدة سياسية واقتصادية مستقلة ، إلا أنها آلت بنا عند أول اختيار لها ، إلى نوع من الضياع أمام الهجمة الاستعمارية التي عاودتنا ، وفي ظني أن سبب هذا الضياع ، يعود فيما يعود إلى أن هذه التجربة رغم أن كل جذورها من الغرب ، أقامت مشروع نهضتها على صورة اقتبست من نماذج مجتمعات الغرب ، سواء المجتمعات الرأسمالية أو الاشتراكية » [٣] .

ونضيف بدورنا أسبابًا أخرى وهي :

١ - قيام حركة الانقلاب العسكري في ٢٣ (يوليو ١٩٥٢م) بانتزاع الشعب من حاضنته الإسلامية ، وفرض نظام ماركسي مستورد في جوهره مع بعض

---

(١) نفسه ص ٤٠ .

(٢) ، (٣) نفسه ص ٤١ .

التعديلات لكي يعطي واجهة اشتراكية ، وكان مصيره الفشل لانقطاع الصلة بينه وبين جذورنا العقدية والاجتماعية والأخلاقية .

فقد شهدت حقبة الستينيات [١] توجهات نحو الاشتراكية - وهي في حقيقتها ماركسية كما رأينا - بفعل عدد من العوامل :

(١) التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها الفترة بصدور قوانين يوليو الاشتراكية عام ١٩٦١م .

(٢) الانفتاح على الفكر الاشتراكي بكافة مدارسه ، وفي هذا الاتجاه لعبت الدولة - ممثلة في وزارة الثقافة وهيئة الكتاب - دورًا في نشر أكثر من سلسلة تخدم مثل هذا الفكر ، لعل أبرزها سلسلة (من الفكر السياسي والاشتراكي) .

(٣) الدور الذي لعبته برامج التثقيف السياسي لمنظمة الشباب ، والمعهد العالي للدراسات الاشتراكية ، وكذلك نشرات أمانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكي .

ومن الموضوعات التي شملتها : برامج منظمة الشباب ، وكذلك المعهد العالي للدراسات الاشتراكية .

---

(١) وكانت إحدى سمات تلك الفترة أيضًا الهجوم الضاري على الدين ، كما كانت الاتجاهات الفكرية السائدة في ذلك الوقت تتجه إلى اتهام الدين بكل ما هو تخلُّف وتقهقر ، بينما التحرر من الدين معناه التقدم الحضاري بأوسع معانيه ، بل السعادة المرجوة في هذا الوجود على نحو مطلق .. ويقول د. مهندس محمد الحسيني : (وقد وقعنا في تلك الفترة أسرى لإعلام سائد هذا المفهوم ، بل إن بعض المجلات الكبرى كانت تخصص مساحات كافية للهجوم الضاري على الديانة الإسلامية ، وأصبح التندُّر - بالألقاب - على الأنماط الدينية ورجال الدين من الأمور الشائعة في ذلك الوقت) ص١٢ من كتابه (الله والدين والإنسان) مطابع الأهرام بالقاهرة ١٩٩٥م .

(٤) ظهور الاتجاه لدراسة التاريخ وفق مناهج التحليل المادي (الماركسي) داخل الجامعة، وهنا يمكن الإشارة إلى الدور الذي لعبه راشد البراوي ومحمد أنيس [1].

وقد كان لتلك التحولات دورها البارز في صياغة الميثاق الوطني عام ١٩٦٢م.

ويقول الكاتب الصحفي محمد عودة: (عندما تعرّفت على التنظيمات الماركسية المصرية كان معظم المهيمنين عليها من اليهود والأجانب الذين غابت عنهم روح مصر.. لذلك صاروا مخلصين للعقيدة على حساب وطنيتهم.

من هنا أخذت هذه المعرفة شكل الانقسام بيني وبينهم... لقد كانت التنظيمات الماركسية في مصر من الدرجة الثالثة... تتعلق بالنصوص الجامدة والتجارب الغربية المستحيلة والبعيدة عن واقعنا المصري الذي يحتاج إلى تطبيقات خلّاقة مختلفة ومستقلة) [2].

ويضيق المقام عن حصر الأدلة والشواهد الدالة على الصبغة الماركسية في العصر الناصري ثقافيًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا بفعل تغلغل نفوذ الروس حينذاك، فقد كان السفير السوفيتي هو المندوب السامي، يتحكم في قرارات مجلس الوزراء ويختار الوزراء... لقد تحولت مرافق مصر لخدمة السوفيت..

---

(١) بحث بعنوان (مدرسة التاريخ الاجتماعي المصري في ربع قرن ١٩٧٠ – ١٩٩٥) بقلم: علي بركات منشور بكتاب (المدرسة التاريخية المصرية – ١٩٧٠ – ١٩٩٥ ص ١٠٩) بإشراف د. محمد عفيفي ط دار الشروق ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٢) عايدة شريف (شاهدة ربع قرن) ص ١٣١، ١٣٢ مكتبة الأسرة ٢٠١٣م.
وتصف الكاتبة محمد عودة بأنه: (التجسيد الحي للناصرية قلبًا وقالبًا) ص ١٢٠، وتذكر أنه رفض قراءة كتابها (الإنسان الطائر) بدعوى أنها وقعت في براثن الميتافيزيقا والغيبيات، ص ١٤٠.
وتسجل موقفه المعارض لثورة الشعب الأفغاني ضد الحكم العميل للاتحاد السوفيتي سابقًا حيث كان متعاطفًا معه، ص ١٤٠، ١٤١.

تحولت مصر إلى مركز لنشر الشيوعية في العالم العربي وإفريقيا .. قال حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة : أن عبد الناصر ماركسي يطبق الشيوعية تمامًا .. وقال كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة : أن عبد الناصر أراد أن يكون إمبراطورًا للعرب ، ولذلك تحالف مع السوفيت .. ووضع نفسه في خدمة الاستعمار السوفيتي في المنطقة .. المهندس أحمد عبده الشرباصي قال : إن عبد الناصر عاتب كاسترو على إعلانه الشيوعية بسرعة .. وقال إنني أطبّق الشيوعية في مصر بلا إعلان .. وكان الاتحاد الاشتراكي تطبيقًا شيوعيًا لنظام الحزب الواحد ، وكانت منظمة الشباب معملًا لتفريخ الشيوعيين .. وقال عبد القادر عيد مدير مكتب المشير عامر : إن القرارات الاشتراكية صدرت بعد إنذار سوفيتي ... ويقول محمد الحيوان : صدر الميثاق بصورة ماركسية تمامًا ، وكان يزعم أن الأديان مجرد ثورات .. وتغلغلت الشيوعية في الصحافة المصرية مما اضطر الحكومة السودانية إلى مصادرتها خوفًا من تأثيرها على الشعب السوداني [1] .

وأثمرت تلك الحقبة من تاريخنا ظاهرتين :

إحداهما : ظن بعض الذين عاشوا تحت الكابوس الشيوعي أن « مصر الإسلامية » إلى زوال .

الثانية : تربّت أجيال في أحضان الشيوعية ، وأصبحت عدوّة لوطنها وتراثها الإسلامي ، وقد تحول اليسار الشيوعي الواقع تحت تأثير ستالين ووصل إلى حد تأييد الوجود الإسرائيلي [2] ، وأصيبت وحدة المجتمع بشرخ كبير .

---

(١) أنيس منصور (عبد الناصر ..) ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ص ٣٦٢ .

(٢) فوزي ربيع (الحركات الإسلامية في مصر من محمد علي إلى ثورة ٢٥ يناير) ص ٥ ، دار الاعتصام بمصر ٢٠١١م .

هذا هو الجانب النكد من التجربة .. ولكنا نستخلص منه ما يشع في نفوسنا التفاؤل في المستقبل بمشيئة الله تعالى ، حيث نضع نصب أعيننا قوله ﷻ : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] ، ونضيف : فكما تهاوت الشيوعية ستتهاوى (الأمركة) بدورها ، لتظل مصر بعون الله حصنًا من حصون الإسلام ، ولكن بشرط إيقاظ الوعي ، والارتفاع بالهمم ، والعمل دون كلل للهدف المنشود بكل الوسائل . والله من وراء القصد .

٢ – إلغاء الحياة النيابية وفرض نظام ديكتاتوري في شخص يملك كل السلطات في يده « وتحول الحكم إلى استبدادية عسكرية ، وفرضت الرقابة على الصحافة ، وكل صورة من صور حرية الرأي ... وأصبح لمصر كلها سيد واحد »[1] .

٣ – وعم الضياع بلادًا أخرى ابتُليت بالانقلابات العسكرية : كسوريا ، والعراق ، وتونس ، والجزائر ، وأندونيسيا ، وقام قادتها بتطبيق النظم الغربية في شعبها : الاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، وفلسفة القومية المادية في بلادهم الإسلامية ، فهم في حرب دائمة مع الطبيعة العميقة الجذور ، الممتدة العروق ، وفي صراع مع الجهاز الاجتماعي والعلمي والخلقيّ الذي فيه الخير الكثير ، والقوة التي ترهب ويحسب لها حساب ، ويمكن أن تُنمّى وتستغل لصالح الأمة والبلاد »[2] .

---

(١) يقول الدكتور « حسين مؤنس » ص ٢٠٠ : « وقوانين الاشتراكية لم تصدر عن حب العمال أو الزراع وإنما عن حقد على كل صاحب مال أو نعمة ، ومصر أنفقت قرنًا ونصفًا لكي تنشئ في بلادها قاعدة من المثقفين والعلماء ، فجاء « عبد الناصر » ليعلن الحرب على كل مثقف وصاحب علم ... والعامل الذي هلل عندما سمع إعلان القوانين الاشتراكية ، وظن أنه تخلص من استبداد صاحب رأس المال ، وجد أنه تخلص من سيد ليجد نفسه عبدًا لمائة سيّد ! » (من كتابه : باشوات وسوبر باشوات) ص ٦٤ .

(٢) أحمد عبد المجيد ، مقال بعنوان : [أضواء على حادث المنشية] مجلة « المنار الجديدة » شوال ١٤٢٢ هـ - يناير ٢٠٠٢م .

وبعد هذه التجارب الفاشلة التي استغرقت عشرات السنين، والتي حطمت آمال أجيال، وعرّضت البلاد والعباد للضياع والهوان، وأعاقت حركة الأمة التي كانت تتوثب للنهضة الحقيقية التي تصل بها إلى المكانة المرموقة بين الأمم الأخرى - وأصبح الدرس المستفاد من دراستنا هذه أنه لا نهضة إلا على دعائم إسلامية، وسلوك الطريق الذي سارت عليه الأمة طيلة نحو ثلاثة عشر قرنًا من الزمان.

عودة للحديث عن جمعية الشبان المسلمين:

يصوّر لنا العلاّمة السلفي الشيخ محب الدين الخطيب - رحمه الله - الأحوال السياسية في مصر التي دعته إلى تأسيس (جمعية الشبان المسلمين) فيقول:

« لما خرج الناس من الحرب العالمية الأولى أخذ المؤمنون بثقافة الغرب من رجالنا وشبابنا يعدّون العدّة للاستيلاء على الرأي العام، وتحويل وجهه عن « المكيّين » (أي مكة المكرمة والمدينة المنورة) وما أنزل الله فيهما إلى المعاهد القائمة على ضفاف التايمز والسّين وما يصدر عنهما، وواتاهم الحظ بما أحدثته أنقرة[1] من أحداث، وما جنحت إليه من هوى، فتذرعوا بالثناء على جهادها الوطني للدعوة إلى مثل نتائجه في الدين والدولة، وتعميم تلك النتائج في المشرقين والمغربين ... » وهو يشير بذلك إلى الحدث الخطير الذي أحدثه الانقلاب الذي قام به مصطفى كمال أتاتورك - اليهودي الدونمي - بإلغاء الخلافة والحروف العربية والشريعة الإسلامية »[2].

---

(١) يقصد هدم الخلافة العثمانية بواسطة « أتاتورك » اليهودي، وفرض التغريب على الشعب التركي، وكان « أتاتورك » مستبدًا لقي على يديه علماء الإسلام أشد ألوان الهوان والعذاب والشنق في الميادين العامة، وشن على الإسلام حربًا شعواء لم يسبق لها مثيل في تاريخه الطويل.

(٢) أنور الجندي (حسن البنا - الداعية الإمام والمجدّد الشهيد) ص ٢٦٥، دار القلم - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م. =

وما أشبه الليلة بالبارحة ... مضت الأجيال تلو الأجيال ، وتغير الكُتّاب والقادة والزعماء ، ولكن ظلت (المعركة بين الإسلام وخصومه) كما هي ، أي الصراع بين المحافظة على الهوية ومشروع النهضة الإسلامي من ناحية وبين فرض مشروع التغريب على الأمة بالتسلط والقهر والدكتاتورية على يد « أتاتورك » ، والذي هلل له أتباعه في عالمنا الإسلامي من ناحية أخرى ... ومن يتابع أحداث ثورة (٢٥ يناير ٢٠١١ م) بمصر يُلاحِظ أن الصراع ما زال قائمًا بين المشروعين : الإسلامي والتغريبي حتى وقتنا الحاضر !

وقد سجل الأستاذ « أنور الجندي » – رحمه الله تعالى – هذا الحدث الأليم وتداعياته بقوله : « كان سقوط الخلافة هو أكبر عوامل التحدي ، ذلك الحدث الذي هزّ الضمير الإسلامي والنفس المؤمنة في كل مكان ، وكان موقف جماعة الإلحاد ، وهدّام العقائد : طه حسين ، ومحمود عزمي ، وعلي عبد الرازق ، وسلامة موسى ، وتلك الضربات اليومية المتوالية التي كانت تجرح إيمان المؤمنين وتهز نفوس المسلمين ، وتملأ العقول حرجًا وشكًا – كل ذلك كان عاملًا ضخمًا في تلك الاستجابة الجياشة المليئة بالوعي والإدراك »[1] .

وقد أمد الاحتلال البريطاني المروّجين لأفكار « أتاتورك »[2] بكل عون ،

= ولكن – بحمد الله تعالى – نجح حزب (العدالة والتنمية) الحاكم في تركيا الآن في إجراء تعديلات دستورية من شأنها إعادة السلطة العسكرية إلى دورها الأصلي في الدفاع عن البلاد وتحريم الانقلابات العسكرية ، وذلك من خلال إصلاح النظام القضائي للبلاد الذي أحكمت الحكومة السيطرة عليه .

(١) نفسه ص ٢٦٣ .

(٢) يقول الأستاذ « فهمي هويدي » : « وإن الانقلاب الذي أحدثه كمال أتاتورك على الخلافة الإسلامية في تركيا ، اقترن بحملة واسعة على كل ما هو إسلامي ، من أصوله إلى لغته وتقاليده ، فكانت تلك المرة الأولى في تاريخ الأمة التي تعمد فيها دولة تُنسب إلى الإسلام ليس فقط إلى الانسلاخ منه ، ولكن إلى تشويهه والازدراء =

فكان في أيديهم أكثر الصحف ، وكانوا مشرفين على معظم المرافق والجمعيات ، وكان أنصارهم منبثين في وزارة المعارف ، وكان نظام الاحتلال يؤيدهم في إبعاد الشباب عن الإسلام وحيويته جهد الطاقة ، ومعاهدها » بينما لم يكن لدعاة الإسلام في مصر صحف غير مجلة « المنار » ، ولا جمعيات غير جمعية « مكارم الأخلاق » ومجلتها »[1] .

ويستطرد الشيخ « محب الدين الخطيب » ليروي لنا الأسباب التي دعت لتأسيس (جمعية الشبان المسلمين) فيقول : « وكان أحمد تيمور باشا هو الوجيه المصري الأول الذي شعر بالخطر الأعظم على مصر والوطن العربي والعالم الإسلامي ، وأشفق من أن يتم فيه ولو بالتدريج – ما تم في تركيا – وكان ﷺ لا ينقطع عن زيارة المطبعة السلفية ، فانعقدت فيها اجتماعات حضرها : أحمد تيمور باشا ، وأبو بكر يحيى باشا ، والشيخ عبد الرحمن قراعة ، والسيد محمد خضر حسين ، وعلي جلال الحسيني ، ونحو عشرة آخرين ... وتذاكروا موجة الإلحاد القوية التي طغت على العالم الإسلامي وهو على غير استعداد لدفعها لأن أمره ليس في يده »[2] .

وانتهت اجتماعاتهم بتقرير تأليف جمعية لمقاومة الإلحاد ، ولكن بعد أشهر تبين أن الخطر أسرع من أن يعالج بمثل هذه الجمعية ، وأنه لابد من الاتصال بالرأي العام ، وأن الصحافة هي الوسيلة الأولى لذلك ، وكان الشيخ « محب الدين الخطيب » يصدر في ذلك الحين مجلة (الزهراء) غير أنها شهرية وأدبية لا تصلح مطيّة

=» ، وتحريض الناس بكافة الوسائل على التخلي عنه » . كتابه (إحقاق الحق) ص١١٥ – دار الشروق بمصر – ط ٣ – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

(١) نفسه ص ٢٦٥ .

(٢) نفسه ص ٢٦٦ .

لهذه المعركة؛ فضلًا عن أنه مشروط في امتيازها ألّا تتعرض للسياسة أو الدين، وكان الحصول يومئذٍ على امتياز بصحيفة إسلامية للفرض المتصور أشبه بالمستحيل.

ثم استطاع بمعاونه «أحمد تيمور» باشا على الحصول على امتياز بإصدار (الفتح) عام ١٣٤٤ هـ، ١٩٢٦م، ولكن اتضح أيضًا أن الخطر أفدح وأقوى من أن يُعالَج بهذه الأداة الضعيفة، وحينئذٍ فكّر الشيخ «محب الدين الخطيب» في تأسيس جمعية الشبان المسلمين، وكان تأسيسها في غرفة متواضعة من دار المطبعة السلفية، واستعان على النجاح في تأسيسها باثني عشر شابًا منهم الأساتذة: محمود شاكر، عبد المنعم خلاّف، وعبد السلام هارون، محمود الخضيري، كمال اللبان، عبد الفتاح كرشاه، فانتشروا في الكليات والمدارس، والوزارات، والأندية، وفي كل مكان، وبعد أن صار للجمعية ثلاثمائة عضو، وأصبح لها مكانتها المرموقة، اجتذبت إليها بعض المشاهير حينذاك كأمثال الدكتور عبد الحميد سعيد، والشيخ عبد العزيز جاويش، وبعد ذلك أعلن عن تأسيس الجمعية في غرة جمادى الآخر ١٣٤٦ هـ نوفمبر ١٩٢٧م [١].

وكان تعاون أولئك العلماء والشباب في صدّ ذلك الخطر واضحًا في التعاون على حماية الشباب وتربيته تربية إسلامية تحصنه من الوقوع في براثن الإلحاد أو الغزو الثقافي الغربي الذي انتشر بمعاونة الاحتلال البريطاني.

وكان من أبلغ نماذج التعاون لنصرة الإسلام، ما صرّح به الشيخ «محب الدين الخطيب» الذي حرص على الاتصال بالشيخ «حسن البنا» حينذاك

---

(١) نفسه ص ٢٦٦، ٢٦٧.

والالتقاء به ، حيث جمعت بينهما أواصر المحبة والأخوّة في الله – تعالى – ، والعمل معًا للدعوة إلى الله ، والدفاع عن دينه .

قال الشيخ « محب الدين الخطيب » : « إن الأستاذ حسن البنا أمة وحده ، وقوة كنت أنشدها في نفس مؤمن فلم أجدها إلا يوم عرفته في تلك الغرفة المتواضعة من دار المطبعة السلفية عام ١٣٤٦ هـ ، وكنت (ابن صنعة) يوم اكتشفت بيني وبين نفسي حاجة الإسلام إلى هذا الداعية القوي – الصابر المثابر – ، الذي يعطي الدعوة من ذات نفسه ما هي في حاجة إليه من قوة ومرونة ولين ، وجلد وصبر وثبات إلى النهاية ، وكان أول ما نشرته له – ولعل ذلك أول شيء أنشره – هو مقاله : (الدعوة إلى الله) ... ثم مقاله : (على من تجب الدعوة ؟) .

ثم رجوته أن يحاضر في « الشبان المسلمين » في دارهم الأولى التي كانت بشارع مجلس النواب – فملأ قلوبهم من قلبه ما شاء الله له من توفيق – وفي خلال ذلك كانت نواة (الإخوان المسلمين) قد غرست في الأرض الصالحة [1] ، وبينما كانت الجمعيات الإسلامية الأخرى تتحول بالتدريج إلى أندية رياضية ، كانت هذه النواة تبشر بأنها الأمل الذي كان يرجوه شيوخ الملة : أحمد تيمور ، وأبو بكر يحيى ، وعبد الرحمن قراعة ، وأضرابهم ، يوم اجتمعوا في دار المطبعة السلفية بشارع « خيرت » يقلبوّن وجوه الرأي في السلاح الذي يقاتلون به موجة الإلحاد ، والتي تحولت بأحداث أنقرة – أي بعد هدم الخلافة بواسطة أتاتورك اليهودي – من موجة ماء يهدد بالغرق ، إلى موجة بترول وبنزين تهدد بالنار تلتهم الأخضر واليابس » [2] .

---

(١) ، (٢) نفسه ص ٢٦٧ .

ونحن نتعجب بدورنا كيف تحولت (جمعية الشبان المسلمين) إلى نادي ثقافي ورياضي ، وهل في الإمكان إعادتها إلى مكانتها الرائدة بالكيفية التي أنشأها بها الشيخ محب الدين الخطيب ؟

والحق أن هناك بعض الشيوخ والزعماء والقادة في مصر - الذين ورد ذكرهم آنفًا - لم يأخذوا حظهم من الدراسة والتعريف بهم للأجيال الناشئة، مع أنهم أبلوا بلاءً كبيرًا في خدمة قضايا أمتهم وبلادهم كقضية مواجهة الإلحاد وخطط الغزو الثقافي وهدفها تذويب العقائد الإسلامية ونزع روح الجهاد من قلوب شباب مصر، وكقضية فلسطين، وقضية جلاء الاستعمار الإنجليزي عن مصر منذ احتلال الإسكندرية عام ١٨٨٢م، كذلك أسهموا إسهامًا كبيرًا في وضع مشروعات نهضة كبرى كان لها دورها الفعال في مصر أيام العهد الملكي، وكانت من العيوب الجسيمة لحركة ٢٣ يوليو ٥٢ أنها أهالت التراب على الجهود العظيمة التي قام بها أولئك القادة والعلماء، وصوّر ضباط الجيش القائمين بالحركة - وعلى رأسهم زعيمهم - أنهم وحدهم أصحاب الفضل في إجلاء الإنجليز عن مصر، أو أنهم الوحيدون الذين أسهموا في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، وأنهم أبدعوا (إنجازات) لم يعرفها المصريون من قبل، ولكن الوقائع التاريخية تنفي هذا الزعم، كما سنوضحّ ذلك - بمشيئة الله تعالى - .

وبإجمال - وعلى سبيل المثال - كان مشروع الإصلاح الزراعي من اقتراح الأستاذ «أحمد حسين» مؤسس (مصر الفتاة)، وكذلك تبناه (حزب الوفد) من قبل، وجماعة الإخوان المسلمين .

وفكرة (تأميم القناة) كانت مطروقة في عصر الوفد، ولكن صُرف النظر عنها بعد دراسة المخاطر المنتظرة من التعجيل بالتأميم، وفُضّل الانتظار إلى انتهاء العقد .

وكانت حركة الفدائيين من شباب الإخوان المسلمين، والوفد، ومصر الفتاة، وغيرهم على أشدها في العصر الملكي؛ مما أجبر إنجلترا على سحب قواتها من القاهرة والإسكندرية إلى منطقة قناة السويس، ووقف الشعب المصري بإجماع

معارضًا لاتفاقية (صدقي - بيفن) ؛ لأن الاختلاف حول منح السودان الحكم الذاتي هي الصخرة التي تحطمت عليها الاتفاقية ، وإلا لتحققَ الجلاء قبل حركة ٢٣ يوليو ٥٢ بزمن بعيد .

وبكلمة موجزة قبل الدخول في التفاصيل : إن الدراسة العلمية المعنية بمعرفة أحوال مصر الثقافية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية - تدلّنا على أن مصر كانت في بواكير يقظة حقيقية ، وكان بوسع القائمين على حركة ٢٣ يوليو الإفادة من القواعد التي أرساها الزعماء والقادة والعلماء في تلك الميادين كلها لإقامة البناء الحضاري لمصر ، والتعويل على عقول وسواعد أبنائها الذين تربْوا التربية المتكاملة في أحضان الجمعيات الإسلامية .

ولكن مع الأسف - وتلك هي المأساة الكبرى - أن الحركة ضربت عرض الحائط بتلك القوى ، وظنت أنها تريد إقامة نهضة حسب تصوراتها (الثورية) ، فلا عجب أن تتوالى الهزائم وتصبح المحصلّة النهائية لحركة ٢٣ يوليو أنها قطعت سلسلة التقدم التي كانت قبلها ، ومن ثَمَّ فإنها بحق تعبِّر عن (انقطاع حضاري) لمصر والأمة الإسلامية .

القانون الأساسي للجمعية :

وُضع القانون الأساسي للجمعية في القاهرة ١٩٢٧م ، وهو خمس وعشرون مادة ، تقرر المادة الأولى : اسم الجمعية ، والثانية : ما يُشترط توفره في العضو العامل ، وهو أن يكون مسلمًا ، حسن السيرة ، طيب السمعة ، غير معروف بنزعة تخالف أصل العقيدة الإسلامية ، وفي هذا القانون ثلاث مواد لا يصح تغييرها بحال ، وهي الأولى والثالثة والسادسة .

وتحدد المادة السادسة أغراض الجمعية ، وهي :

١ – بث الآداب والأخلاق الإسلامية .

٢ – السعي لإنارة الأفكار على طريقة تناسب روح العصر .

٣ – العمل على إزالة الاختلاف أو الجفاء بين الطوائف والفرق الإسلامية .

٤ – الأخذ من حضارتي الشرق والغرب بمحاسنهما جميعًا ، وترك ما فيهما من مساوئ .

وكان الرئيس هو الدكتور « عبد الحميد سعيد » بك ، والوكيل الشيخ « عبد العزيز جاويش » مراقب التعليم الأولي بوزارة المعارف المصرية ، والمشهور باهتمامه وكتابته في الشئون الإسلامية ، وأمين الصندوق « أحمد باشا تيمور » وهو من أبرز رجال الحياة العلمية الحديثة في مصر ، وكاتم السر العام الأستاذ « محب الدين الخطيب » ، العالم السلفي رئيس تحرير مجلتي : « الزهراء » و« الفتح »[1] .

رسالة الجمعية :

اهتمت الجمعية – داخل مصر – بالتعليم ، بتأسيس مكتب لتحفيظ القرآن الكريم في فروع الجمعية ، وإيجاد فرق كشافة إسلامية ، وأصدرت قرارًا يوصي بأن تكون أحاديث الرسول ﷺ المتفق على صحتها موضوعًا للوعظ والإرشاد .

وقررت الجمعية بإحدى مؤتمراتها :

١ – السعي لدى الحكومة لتعميم التعليم الديني ، ودراسة التاريخ الإسلامي في المدارس ، وجعلها من المواد الأساسية .

---

(١) كامبفماير (وجهة الإسلام) ص ٧٠، ٧١ .

٢ – تنقية المحاضرات والبحوث في الجامعة من الإلحاد وما يتصل به .

٣ – ترقية الوعظ الديني .

٤ – العمل بالتشريع الإسلامي لمنع البغاء ، والخمر ، والميسر .

٥ – منع التبرج ، ومنع أحداث الفتيان والفتيات من غشيان المحال المخلة بالآداب والمحافظة على الآداب في المصطافات .

ومن اهتمام الجمعية بمقاومة الإلحاد والتبشير ، فقد قررت إنشاء لجنة علمية لمحاربة الإلحاد وتنوير الناس في الدين ، وإرسال مندوبين عن كل جمعية للرد على المبشرين في اجتماعاتهم [1] .

أما نشاط الجمعية في الخارج، فإنه نابع من حرصها على التوسع في وسائل توثيق الرابطة الإسلامية بين الأقطار المختلفة ، أي وسائل تخريج نشء مثقف تثقيفًا إسلاميًّا صحيحًا ، ووسائل مقاومة حركات التبشير والإلحاد .

وفي مؤتمر مجلس الإدارة الذي عُقد في القاهرة في يوليو ١٩٣٠م بحث في الاقتراحات المقدمة ، ومنها :

١ – عقد مؤتمر مجالس إدارة جمعيات الشبان المسلمين في بلاد إسلامية مختلفة .

٢ – تعرّف أحوال المسلمين في الأقطار المختلفة بإعداد ملفات في كل جمعية تتضمن أخبار البلاد ، ويستوثق من صحة المعلومات بكل الطرق .

٣ – يعهد إلى لجنة من الأخصائيين دراسة مشروع مصرف إسلامي وشركات تعاونية إسلامية ، وتقديم تقرير عن ذلك للمركز العام للعمل على تنفيذه .

---

(١) نفسه ص ٨٥ ، ٨٦ .

٤ – عهد إلى لجنة دراسة مشروع صحيفة إسلامية يومية .

وكانت هناك مسائل أخرى اقترح المجلس تحقيقها جهد الطاقة ، منها : تعميم اللغة العربية في الأقطار الإسلامية ، واستخلاص خط حديد الحجاز للمسلمين ، وحث المسلمين على العمل لإعادة الخلافة ، وتكوين عصبة أمم إسلامية للفصل في المنازعات الإسلامية [١] .

ومع تعذر عمل شيء في مسألة إعادة الخلافة الإسلامية ، فإن الأعضاء اتفقوا على إعلان أن إعادة الخلافة الإسلامية يجب أن تكون أمنية كل عضو من أعضاء جمعيات الشبان المسلمين ، يعمل على تحقيقها متى سنحت الفرصة ، وقَبِل الأعضاء اقتراح الأستاذ « محب الدين الخطيب » إدخال العبارة الخاصة بالخلافة في ميثاق الجمعية .

ولم يفت المستشرق « كامبفماير » التعليق على اهتمام الأعضاء بهذه المسألة ، فقال :

(والواقع أن المادة الثانية من هذا الميثاق تتكلم بشكل عام عن الإمامة العظمى في الإسلام ، وهي التي يجب على المسلمين توجيه الجهود لإحيائها ، وإن الموقف الذي اتخذته الجمعية في مسألة الخلافة المشهورة يدل على حالة الرأي العام الآن في الشرق الأدنى الناطق بالضاد في هذه المسألة التي هزت الشرق هزة عنيفة بسبب إلغاء الترك (يقصد أتاتورك اليهودي) للخلافة العثمانية) [٢] .

ولم يفته أيضًا وصف تدين أهل مصر فذكر أن الإسلام في مصر يتبوأ أرفع مكان في مظاهر الحياة العامة ، في الدستور ، والحياة النيابية في التشريع ، والتعليم

---

(١) نفسه ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) نفسه ص ٨٧ .

العالي ، وفي كل مظهر للآراء الاجتماعية ، وتنص المادة (٤٩) من الدستور المصري لسنة ١٩٢٣م على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام ، وظلت أيضًا كما هي في دستور ١٩٣٠م [١] .

• وما زالت ظاهرة المكانة الرفيعة التي يحتلها الإسلام في مصر صادقة حتى يومنا هذا [٢] ، وهي جديرة بالاستثمار في مجالات التربية والتعليم ، والاجتماع ، والاقتصاد ، والسياسة ، وهي الكفيلة بتخلّص المجتمع المصري من آثار الغزو الثقافي ، وتمثل الدعامة الأساسية لمشروع النهضة المرتقب ، إذ فشلت كافة التجارب التي ابتليت بها البلاد الإسلامية عقب إسقاط الخلافة وجلب القوانين والأيدولوجيات من الشرق والغرب ، وتاريخنا المعاصر شاهد لا يخطئ .

وقد عبّر أعضاء مجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين بصدق عن نبض الأمة حينذاك عندما حددوا إعادة الخلافة من جديد هدفًا من أهداف الجمعية [٣] .

---

(١) نفسه ص ٩٢٠ .

(٢) ومن أهم مراكز الأبحاث المهتمة بدراسة العالم الإسلامي ، هو مركز (بيو) للدين والحياة العامة ، الذي أصدر تقريرًا شاملًا يوم ٣٠ / ٤ / ٢٠١٣م من ٢٢٦ صفحة ، بعنوان : « المسلمون في العالم – الدين والسياسة والمجتمع » وكشف التقرير عن أن معظم المسلمين حول العالم أبدوا التزامًا عميقًا بدينهم ، وعبّر غالبيتهم عن رغبتهم في تطبيق الشريعة وأن تصبح القانون الرسمي في بلادهم ... وبلغت نسبة المسلمين المطالبين بتطبيق الشريعة في مصر ٧٤٪ .

أمل خيري (مقال بعنوان : ٧٤٪ من المصريين يرغبون في تطبيق الشريعة) جريدة (الشعب) القاهرية في ٢٧ جمادى الآخر ١٤٣٤ هـ – ٧ مايو ٢٠١٣م .

(٣) وقد حدث لغط كثير حول الخلافة ، مصدره أعوان الاستعمار حيث شوهوا تاريخها بالأكاذيب ، وكانوا عونًا لليهود على إنشاء دولة إسرائيل التي ما قامت إلا على أنقاض الخلافة العثمانية ، وقد تتبع الأستاذ « أنور الجندي » – رحمة الله عليه – الخطوات التي اتخذها العاملون على إسقاط الدولة العثمانية ، وذكر بعض أسمائهم ومدى مشاركتهم في تلك الجريمة ، فقال : « أما سليم سركيس ، فهو صاحب الهجوم العاصف على السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية ... وكان قد تنبأ بسقوط عبدالحميد ، فإنه وفارس نمر ، وجرجي =

وقد تبين من تتبع حركة جمعية الشبان المسلمين داخل مصر أنها كانت كثيرة الأعضاء ، متعددة الفروع ، تؤيدها كل طبقات المجتمع المصري ، ويؤيدها كثير من أعظم الرجال مكانة [1] ، وهو ما يدل على التأثير البالغ الاتساع لخطط الجمعية ومنهجها التربوي ، وموقفها السياسي من مشاكل الأمة الإسلامية . وفي خارج مصر أنشأت الجمعية الكثير من الشُّعب في فلسطين ، وسوريا ، والعراق ، فمنذ إبريل ١٩٢٨م نوقش في مؤتمر الجمعيات الإسلامية المنعقد في يافا القانون الأساسي لجمعيات الشبان المسلمين المزْمع إنشاؤها في فلسطين ، واتفق عليه ، وهذه الجمعيات تشبه في جوهرها جمعيات القاهرة [2] .

وفي العراق أظهرت جمعيات بغداد والبصرة نشاطًا عظيمًا ، فأذاعت جمعية البصرة نشرات وجهتها إلى الشبان المسلمين ، وأكدت فيها ما فرض عليهم من

= زيدان ، هذه العصابة كانت تعرف مدى أبعاد المخطط المرسوم ، وقد شاركوا في تنفيذه ... بل إن عملهم في مجال الصحافة والنشر لم يكن أكثر من إعداد الناس لتقبل محاولة قتل أو إسقاط السلطان عبد الحميد ومن بعده الخلافة الإسلامية ، وذلك بعد أن اتصل به هرتزل ورده السلطان في عنف ، وعرف أنه لا سبيل إلى تحقيق غايتهم في فلسطين إلا بإسقاط عبد الحميد ، ومن ثَمَّ سلطوا عليه تلك الطغمة الظالمة المعتمة في مصر وهم المارون الماسون أعداء الخلافة والدولة العثمانية ، والإسلام ...

ثم جاء من بعدهم ساطع الحصري الذي حارب الدعوة الإسلامية – كما وصفه الشيخ علي الطنطاوي – عمره كله ؛ بقلمه ولسانه وسلطان وظيفته ، حربًا علمية منظمة ، وكان أسلوبه في محاربتها هو العمل على إحلال « العربية » محل « الإسلامية » ، وهي بذاتها دعوى الجاهلية التي نهى رسول الله ﷺ عنها ، وبيّن أن صاحبها ليس منا ، وكانت دعوة القومية العربية – التي تبناها عبد الناصر من بعده – معولًا للهدم لا أساسًا للبناء والنهضة ...

أنور الجندي (إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام) ص ١٦٠ – ١٨٥ ، دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٥م .

(١) نفسه ص ٩٢ .

(٢) نفسه ص ٧٣ .

واجبات خلقية شديدة الإلحاح ... منها : اجتناب الخمر ، وعدم قرب الزنا ، واجتناب الميسر ، والإعراض عن المسارح والمقاهي ، وحب الوطن وإيثار منتجاته ومصنوعاته ... ومن تلك النشرات ما تدعو إلى تشجيع المدارس الوطنية ، والجمعيات الخيرية ، والعناية بتربية الأبناء ، وتلفت نظر الآباء أنهم مسئولون عن أبنائهم أمام الله ﷻ ، وتحذرهم من المدارس الأجنبية إلا بعد إعدادهم بقوة العقيدة الإسلامية [١] .

ويبدو أن من قدر مصر أن تقوم بواجباتها إزاء الأمة العربية والإسلامية لتدافع عنها إذا أصابها مكروه ، فقد حدث ذلك عندما صدّت حملات الحروب الصليبية ، وهجمات التتار ، وفي العصر الحديث كانت معنية أيضًا بالتصدي لكل أجنبي احتل بلاد المسلمين وألحق بهم الظلم ، وبخاصة استعمار اليهود لفلسطين .

يقول المستشرق « كامبفماير » : « وليس شعور الأخوة الإسلامية محصورًا في بلاد واحدة ، ولكن الشعور الإسلامي شعور دولي بالضرورة ، فما دام هؤلاء الشبان المسلمون مخلصين ومجاهدين لإعلاء كلمة الإسلام ، فإنهم يعتنون أكبر عناية بكل ما يتصل بالإسلام من أحداث ، ويتأثرون أبلغ التأثر إذا مس الإسلام أو الجماعات الإسلامية أي اعتداء في مصر أو في خارجها ؛ عند ذلك ينهضون للأمر بقوة » [٢] .

وكانت أهم الأحداث التي حرّكت شعور الجمعية الإسلامي :

١ – الانتقاد الموجّه للإسلام في مصر في المحاضرات العامة ، والرسائل ؛ ولاسيما من جانب المبشرين النصارى .

---

(١) نفسه ص ٧٤ .

(٢) نفسه ص ٧٩ .

٢ – حوادث فلسطين المتعلقة بجدار المبكى بالقدس في ١٩٢٩ و ١٩٣٠م .

٣ – سياسة فرنسا حيال بربر المغرب في ١٩٣٠م .

٤ – وسائل الاستعمار الإيطالي القاسية في طرابلس ، والفظائع التي قامت بها إيطاليا في ١٩٣٠ م.

٥ – إعدام إيطاليا للزعيم « عمر المختار »[1] .

وكان موقف جمعية الشبان المسلمين تعبيرًا صادقًا عن الرأي العام في مصر بأسره ؛ لأن موقع البراق عند المبكى الذي يدعيه اليهود لأنفسهم بقعة يقدسها المسلمون ، بل إن المسلمين في بقاع الأرض يعدون أنفسهم جندًا يقفون في صف مسلمي فلسطين ليدافعوا عن أمانة اؤتمنوا عليها ، وأنهم لن يسمحوا للصهيونيين أن يتخذوا مكانًا يقدسونه مركزًا لدعايتهم الوطنية ما بقي على ظهر الأرض مسلم واحد ، ومادام يجري في عروقه دم الحياة »[2] .

ويتضح من هذا الموقف مدى الاهتمام البالغ للمسلمين في أنحاء المعمورة بقضية فلسطين في ذلك الوقت ، وحرصهم على المحافظة على مدينة القدس والمسجد الأقصى من تدنيس اليهود ، والتحذير من أي تنازل عن هذه القضية ذات الطابع الإسلامي في المقام الأول .

وآية ذلك تلك الموجات العارمة من الاحتجاجات والاعتراضات على الغزو اليهودي لأرض فلسطين ، وقامت على إثره الجيوش العربية للدفاع عنها ، ولكن مع الأسف ؛ بسبب الخيانة وضعف الوعي السياسي لدى القادة وأسباب

---

(١) نفسه ص ٧٩ .

(٢) نفسه ص ٨٠ ، ٨١ .

أخرى [1] فشلت الجيوش العربية بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من النصر [2] .

وارتفع صوت الجماهير بالتحذير من الاعتراف بإسرائيل والمطالبة بمقاطعتها ، نجتزئ منها ما نادى به « محمد علي علوبة » – وكان من رجال الحركة الوطنية منذ كان زميلًا لمصطفى كامل – حيث طالب باتخاذ الوسائل التي تكفل حفظ كياننا ودفع الشرّ عنّا ، لو أنصتنا لندائه لنجونا من المصائب التي حلّت بنا .

ولعل أبرزها الإصرار على عدم الصلح مع إسرائيل ، فقال : « ثبت مما ذكرناه أن الصلح مع إسرائيل جريمة لا تغتفر ، وأن معناه إن تم : تبادل التجارة والتعامل ، فتتاح الفرصة لإسرائيل أن تغزو أسواقنا وتسلب أموالنا ، وتخضعنا لإرادتها ، وتنفّذ فينا ما صممت عليه من بسط سلطانها على الشرق من الفرات إلى النيل ، وما وراء ذلك ، ولا توجد في الأرض قوة تلزمنا بهذا الصلح » [3] . .

وإذا رجعت بذاكرتي – ويشاركني جيلي الذي أنتمي إليه – إلى العصر الملكي – قبل ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ ، لأذهلنا الفارق الشاسع بين أجواء الحرية السياسية التي كنا نتمتع بها حينذاك إذا قارناها بالعصر « الناصري » وامتداده لعصر « السادات » ، اللذين تميزا بالاستبداد ، ثم جاء « حسني مبارك » ليكمل المسيرة .

---

(١) يُنظر كتابنا (نكبة فلسطين من منظور فقه التاريخ) دار الخلفاء الراشدين بالإسكندرية ، مصطفى كامل .

(٢) يقول د. عاصم الدسوقي : « كادت الجيوش العربية تنتصر فيها رغم كل السلبيات المعروفة ، إذ كان الجيش المصري على بعد ٢٩ كيلو مترًا من جنوب تل أبيب ، والجيش العراقي على بعد ١٦ كيلو مترًا من شرق المدينة ... فهنا أعلن مجلس الأمن فرض الهدنة ... وبينما التزمت الجيوش العربية بالهدنة لم يلتزم اليهود بها ... (مقال بعنوان : ١٥ مايو نكبة فلسطين وأكذوبة السادات ، ص ١٤٤ ، مجلة الهلال بمصر مايو ٢٠١٣ م) .

(٣) محمد علي علوبة (فلسطين والضمير الإنساني) ص ١٩٠ كتاب الهلال بمصر .

وقد اقترح – رحمه الله تعالى – إحدى عشرة وسيلة فعّالة ، ولكن الزعماء والساسة ضربوا بها عرض الحائط ! ومما يلفت الانتباه أن توقعاته من آثار الصلح مع إسرائيل تحققت بسبب معاهدة العار (كامب ديفيد) !

كانت مصر حينذاك تضيّق الخناق على إسرائيل، وتحاصرها برًّا وبحرًا، وكان شعب مصر يعتبر – كما ورد على لسان الأستاذ علوبة – عقد اتفاق صلح معها جريمة لا تُغتفر، ثم دار الزمن دورته، وقام بعض ضباط الجيش بحركة (٢٣ يوليو) – وأعلنوا على لسان زعيمهم أنهم سيلقون بإسرائيل في البحر، وأظهرت الاستعراضات العسكرية أن جيشنا لا يُقهر، واستمرت أبواق الدعاية في حملاتها التي لا تنقطع لإقناعنا بأن النصر قادم لا محالة، كل ما هنالك أنه ينبغي علينا تحمّل الضربة الأولى في (٥ يونيو ٦٧)، ثم يأتي بعدها الفرج!

وكانت الهزيمة قاصمة الظهر، واتضح أننا كنا نعيش في أوهام، وأننا ضحايا أكاذيب. أما ما يتصل بموضوعنا الذي نبحثه هنا أي عقد صلح مع إسرائيل، فقد اتضح بعد أن نشرت الوثائق أنه بينما كان عبد الناصر يخطب مهدِّدًا إسرائيل ومن وراءها بالويل والثبور، كان في الخفاء يتصل بأمريكا معلنًا قبوله لمبادرة (روجرز) الممهدة لاتفاقية سلام مع إسرائيل ![1].

ثم جاء العبور العظيم لقناة السويس، وتحطيم خط (بارليف) الأسطوري

---

(١) عقب إصدار قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بعد هزيمة يونيو ٦٧ يقول الكاتب الأمريكي «جاردنر»: «إن رفض مصر لإجراء مباحثات مباشرة مع إسرائيل يرجع أن عبد الناصر كان يخشى من الأثر الذي ستحدثه على الصورة التي اختارها لنفسه كزعيم للأمة العربية، ثم أعلن ١٩٧٠م أنه على استعداد لقبول مبادرة روجرز» (كتاب مصر كما تريدها أمريكا) ص ١٥٦، ط سطور بالقاهرة، ويقول أيضًا: «كان ناصر يعلم أن جيشه ليس مستعدًا لخوض حرب» ص ١٤٢.

كذلك أخفى عبد الناصر اتفاقه السري مع «أيزنهاور» عام ١٩٥٦م، يقول «توفيق الحكيم»: «فأمريكا هي التي وقفت بجوار الثورة عند قيامها وأسكتت الإنجليز المرابطين في القناة، وإلا لكانوا جاءوا بدباباتهم وطائراتهم وأجهضوا الثورة في نصف ساعة، وفي عام ١٩٥٦م عقد الاتفاق السري السالف الذكر، ومضمونه إخراج إنجلترا وفرنسا من المنطقة، وتسليم قناة السويس لمصر في مقابل فتح خليج العقبة، وظل الأمر مخفيًا إلى عام ١٩٦٧م». (عودة الوعي) ص٧٢.

بواسطة جيشنا الباسل ، بقيادة القائد المظفر الفريق « الشاذلي » -رحمه الله تعالى- ، وتحقق حلمنا في الانتصار على إسرائيل لأول مرة بعد هزائم ١٩٤٨ و ١٩٥٦ ، و١٩٦٧م ، ولكن ويا للحسرة لم تكتمل فرحتنا ، وأجهض « السادات » انتصار عام ١٩٧٣م ، ووقَّع مع إسرائيل معاهدة السلام التي سُميت بحق (معاهدة العار) ! يقول الدكتور « أشرف البيومي » :

(اتفاقية (كامب ديفيد) « خيانة » ، وأكبر مصيبة في تاريخ مصر المعاصر ، وبسببها زادت التبعية العسكرية ، وغابت السيادة الوطنية ، فسيناء تم استردادها اسمًا دون أن نتمكن من حياة فيها . التوقيع على المعاهدة يعني التبعية للكيان الصهيوني ولقوى الهيمنة الغربية ، فهي السبب في سياسة الانفتاح الاقتصادي ، بالإضافة إلى أنها تضمن ولاء الجيش وتبعية إمكاناته العسكرية لأمريكا ... كامب ديفيد إهدار للكرامة المصرية فأحد البروتوكولات الرسمية- التي لدي نسخة منها –تجبر إرسال السجلّات المدنية لأهالي سيناء إلى الكيان الصهيوني من ولادة ووفيات ، مما يعد تبعية صريحة وإذلالًا ما بعده إذلال !) [1] .

ويزيد الدكتور « محمد عصمت سيف الدولة » من فواجعنا ؛ فيصرِّح بأن انعدام السيادة على أراضي سيناء وعدم انتشار القوات المسلحة فيها بموجب المادة الرابعة من اتفاقية « كامب ديفيد » ... وهي التي تحكم مصر الآن ، مؤكدًا وجود

---

(١) د. أشرف البيومي (تحقيق صحفي معه بجريدة الشعب (الصادرة عن حزب العمل) بتاريخ ٧ رجب ١٤٣٤ هـ - ١٧ مايو ٢٠١٣م .

وجميعنا يعرف ما تعانيه من ويلات (الانفتاح الاقتصادي) ، وما جرّه علينا من أمراض السرطان ، والفشل الكلوي نتيجة البذور المسرطنة المستوردة من إسرائيل ، وبخاصة أيام وزير الزراعة الأسبق (يوسف والي) الذي وُصف بأن له جذورًا يهودية .

قوات أمريكية على أرض سيناء تعمل تحت مسمّى (قوات متعددة الجنسية والمراقبين)[1] .

وكان تصريحه هذا بمناسبة حادثة خطف ستة جنود مصريين على يد جماعة مسلحة في سيناء .

ونسترجع مرةً أخرى رأي الأستاذ « محمد علي علوبة » حيث يخيل إلينا أنه يعيش معنا الآن أي في (رجب ١٤٣٤ هـ - مايو ٢٠١٣ م) عندما نبّهنا منذ نحو خمسين سنة لما ينبغي عمله نحو أرض سيناء ؛ فقال : « إن إسرائيل تبذل جهودًا جبارة لتُحيي (صحراء النقب) ، ولا يعوقها عنها إلى الآن عائق ، ولم بجوارها شبه جزيرة سيناء ليس فيها من عمل ، مع أنها تحوي من الكنوز ما لا يخفى على أحد ، ثم هي الحصن الأول الذي تدفع به مصر عن نفسها غائلة الصهيونية ، فمن الواجب أن نصرف قوانا وجهودنا لتعمير تلك البقاع المترامية الأطراف ، نحيي مواتها بمشاريع عمرانية زراعية وصناعية ، ونجلب إليها الماء من النيل أو من الآبار ، ومن الأمطار والسيول ، وندفع الكثيرين من سكان المناطق المكتظّة : كالمنوفية ، والقليوبية إلى استعمار تلك الجهات ، بعد أن نهيئ لهم وسائل العيش فيها ، وطريقة استثمار أراضيها ... »[2] .

ويتيح لنا مشروع تعمير سيناء الفرصة للتعرّف على « محمد علي علوبة » - رحمه الله تعالى - وجهوده الإصلاحية واقتراحاته البناءة نحو تحقيق نهضة شاملة لكافة نواحي الحياة في مصر : اجتماعيًا ، وسياسيًا ، واقتصاديًا ، وإداريًا ، وتعليميًا ، وتربويًا .

---

(١) تصريح الدكتور « محمد عصمت سيف الدولة » لجريدة (الشروق) بالقاهرة في ١٠ رجب ١٤٣٤ هـ - ٢٠ مايو ٢٠١٣م .

(٢) محمد علي علوبة (فلسطين والضمير الإنساني) ، ص ١٩٠ ، ١٩١ - وليتنا نفذّنا مشروعه !

وكان له – ولعشرات غيره من زعماء الإصلاح – تصور شامل لكيفية التخلص من الاستعمار الإنجليزي، والأخذ بيد مصر إلى اجتياز طريق التقدم الحضاري الصحيح [1].

محمد علي علوبة (زميل الزعيم الوطني مصطفى كامل)، وإسهاماته في حركة النهضة:

إذا عرضنا للسيرة الذاتية للأستاذ « محمد علي علوبة »؛ فلكي نعرِّف شبابنا بأحد الشخصيات التي كادت تُنسى بين الزعماء الآخرين الذين ذاعت شهرتهم في الآفاق، بدءًا من « الأفغاني » و« محمد عبده » و« رشيد رضا » و« حسن البنا » و« مصطفى كامل » و« أحمد حسين »، وغيرهم ... فضلًا عن حاجتنا – بعد حركات الانقلابات العسكرية في بلاد العرب والمسلمين – إلى فرز حقيقي لنميِّز بين الزعامات الأصيلة وبين الزعامات المصنوعة بواسطة أجهزة المخابرات، والتي لا تملك إلا القدرة على الخطابة، والقوى الصوتية الجهورية، التي تبث بها ما يخدِّر الجماهير ويطمس الحقائق عنها.

وسنكتفي بإلقاء الضوء على جهوده التي تشكل لبنات في بناء النهضة في العصر الحديث، وهو يتشابه مع غيره من الزعماء من حيث الجهود التي بذلها طوال حياته [2] وهو في الحقيقة يعبِّر عن جيله حينذاك [3].

---

(١) وكان من المنتظر – بمنطق الرغبة في إقامة نهضة وتحقيق تقدم – أن تعمل ثورة يوليو ٥٢ على الإفادة من اقتراحات أولئك الزعماء والقادة ... ولكن مع الأسف ضربت بها عرض الحائط وأدخلت مصر في دوامة تجارب جديدة لا صلة لها بتاريخها أو تراثها ... وكان من نتائجها واقعنا الحالي الأليم!

(٢) « طاهر الطناحي » مقدمة كتاب: (فلسطين والضمير الإنساني) ص ٢٢ – ٢٧.

(٣) وتأتي المناسبة عند عرض السيرة الذاتية لـ « محمد علي علوبة »، لكي نوصي بتكثيف الكتابة عنه وعن =

كان « محمد علي علوبة » في الصف الأول من رجال الحركة الوطنية منذ كان زميلًا « مصطفى كامل » ، وأصبح بعد وفاته من ألمع الأعضاء العاملين للقضية الوطنية مع الشيخ « عبد العزيز جاويش » و« عبد اللطيف » الصوفاني الكبير .. وكان أحد السبعة الأوائل الذين تألف منهم الوفد المصري برئاسة « سعد زغلول » ، للمطالبة بحرية مصر واستقلالها ، وإلغاء الحماية البريطانية التي فُرِضَت عليها قهرًا ... وكان وزيرًا للمعارف ١٩٣٦م ثم شغل منصب وزير للدولة ١٩٣٩م [١] .

ومما يُؤثر عنه أنه رفض منصب الوزارة في ١٩٤٦م بعد صدور مرسوم ملكي بتعيينه وزيرًا في وزارة « النقراشي » دون أخذ رأيه ، وعلى غير رغبته ... ولكن عندما دُعي ١٩٤٩م لتولي منصب أول سفير لمصر في دولة باكستان وافق على قبوله .

وضع كتابًا قيمًا في الشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بعنوان : « مبادئ في السياسة المصرية » ، تحدث فيه عن نواحي الحياة المصرية التي تحتاج إلى الإصلاح ، وأدلى فيه بآرائه في ثمانية أبواب تضمنت عدة فصول ، وقد تناول في هذه الأبواب : ثروتنا القومية وأسباب ضعفها ، والنظام النيابي ووسائل إصلاحه ، والنظام الإداري وحاجته إلى الإصلاح ، والتنظيم ، والتربية والتعليم ، وما يجب على الحاكمين وولاة الأمور في جميع أدوار التعليم وأنواعه في مصر نحو الناشئة ،

= بعض زعماء جيله أمثال : « مصطفى كامل » و« محمد فريد » و« أمين الرافعي » والشيخ « عبد العزيز جاويش » ، فمن واجب المؤرخين والباحثين والتربويين والدعاة : التعريف بهم على نطاق واسع ؛ لاتخاذهم أسوة بتضحياتهم الغالية في سبيل الثبات على مبادئهم ، وإسهامهم في تحرير مصر من الاستعمار الإنجليزي ، وما أحوجنا لاقتفاء آثارهم ؛ للتحرر أيضًا من نير الاستعمار الصهيوني الصليبي وريث الاستعمار الإنجليزي بمصر ، مع اختلاف أدواته وصنائعه .

(١) « طاهر الطناحي » مقدمة كتاب (فلسطين والضمير الإنساني) ص ٢٢ - ٢٧ . هـ .

وحالتنا الاجتماعية وعيوبها وحاجتها إلى الإصلاح في المدينة والقرية، والدفاع الوطني، وما يجب عمله لتقويته لسلامة الوطن، وموضوع تنظيم الوقف الأهلي والخيري.

وقد ختم هذا الكتاب برأيه في علاقة مصر بالبلاد العربية والإسلامية. وقد دعا فيه إلى تضامن الأمم العربية والإسلامية، وناشد أبناء هذه الأمم بأن يتعاونوا لمنع ما يصيبهم من كوارث بسبب احتلال أوطانهم.

ومن أقواله: «وليعلم كل إنسان منا أن كل كارثة تصيب إحدى الأمم الشرقية، تصيبنا جميعًا، وإن ما يصيب فلسطين من استعمار الصهيونية لهم، ظلم صارخ، وكارثة كبيرة[1]، ينال شررها مصر وسائر البلاد المحيطة بهذا البلد المنكود الحظ.

ويستطرد الأستاذ «طاهر الطناحي» في الحديث عن سيرة الأستاذ «علوبة» بقوله:

«وقد اشترك ﷺ اشتراكًا عمليًا من أجل هذه المبادئ التي يدعو إليها في عدة جمعيات عربية وإسلامية ... فكان رئيسًا لجمعية الاتحاد العربي، ورئيسًا لجمعية الدراسات الإسلامية، وعضوًا في الجمعية الخيرية الإسلامية ... ورئيسًا لجمعية إصلاح الأسرة، وجمعية إنقاذ الطفولة المشردة ولجنة البيان العربي، وجمعية التقريب بين المذاهب الإسلامية، ورئيسًا لجمعية إنقاذ فلسطين! وقد رأس الوفد الذي سافر عام ١٩٣٤م إلى الحجاز واليمن للتوسط بين الحكومة السعودية والحكومة اليمنية لحل ما وقع بينهما من خلاف، حقنًا لدماء العرب» انتهى كلام الأستاذ «طاهر طناحي»[2].

---

(١) نفسه ص ٣٠، ٣١.

(٢) باختصار من تقديمه لكتاب (فلسطين والضمير الإنساني) بقلم «محمد علي علوبة»، صفحات ٢٢، ٢٣، ٢٧، ٣٠.

والغرض من الإسهاب في التعريف بشخصية الأستاذ « محمد علي علوبة » أنه – مع غيره من الزعماء وقادة الإصلاح في العصر الحديث – ممّن لهم باع طويل في مجالات الخيرية الاجتماعية ، والإسهام في الحياة السياسية ، وشئون التربية والتعليم[1] ، ويمتلكون رصيدًا وفيرًا من الثقافة والعلم ، ولهم مؤلفات وبحوث ومقالات ، تسهم في إقامة نهضة حقيقية ، وتعالج أزمات الأمة باقتراحات ملائمة ، ويربطهم جميعًا الحرص على إحياء الالتزام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وإيقاظ الأمة من سباتها ، والحرص على وحدتها ؛ لتستأنف مسيرتها كخير أمة أخرجت للناس ، وشتّان بين هؤلاء وبين ثقافة وخبرة وتجربة ضباط الجيش الذين لا يملكون من الثقافة إلا العلوم العسكرية ، وفنون القتال ، وخطط الحروب ، وربما اجتهد البعض في تثقيف نفسه طبقًا لميولهم الخاصة ... ولكنهم في مجموعهم لا يتمتعون بالقدرات والخبرات التي تمكّنهم من إقامة نهضة فضلًا عن خلوّ تاريخهم من الإسهام العملي في أي مشروع نهضوي حقًّا ، لقد اندفعوا في إخلاص لإزاحة حكم ملكي فاسد ، وتعهدوا بإقامة حياة نيابية حقيقية ، ولكن سرعان ما جذبهم سحر السلطة ، وتنافس قادتهم على كراسي الحكم ، وألقوا وراء ظهورهم الأهداف التي أعلنوها في بيان (الثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م) ، واستغرقوا في الاستزادة من امتلاك السلطات عندما انتشروا في الوزارات والمصالح ، وشركات القطاع العام ، وحققوا من ورائها أرباحًا طائلة[2] ما كانوا يحلمون بها لو ظلوا في معسكراتهم يباشرون واجباتهم في التدريب على القتال لمواجهة الأعداء ، وهي

---

(١) يقول الأستاذ « توفيق الحكيم » : « ما كان يمكن أن تقوم ثورة ٢٣ يوليو إلا على دعائم قوية من نهضة مصرية حقيقية قامت في الثلاثين سنة السابقة على قيام الثورة » . كتاب (عودة الوعي) ص٩٨ – مكتبة مصر بالفجالة ١٩٨٨م .

(٢) يُنظر كتاب د. « حسين مؤنس » : (باشوات وسوبر باشوات) .

المهمة الأساسية التي نيطت بهم ، ولو فعلوا لما أصيبت مصر بالهزيمة الكارثية في يونيو ١٩٦٧م !

الإخوان المسلمون :

كثرت المؤلفات عن تاريخ الجماعة وأهدافها وأنشطتها ، وقد عالجتْ البحوث والدراسات بها كافة جوانب الابتلاءات التي عانتها منذ نشأتها على يد الإمام حسن البنا ١٩٢٨م حتى وقتنا الحاضر ، مرورًا بما لاقاه أعضاؤها من ألوان الاضطهاد والتعذيب والتشريد ما لا ينكره أحد ، منذ العصر الناصري وللآن .

ولذلك فسأكتفي بهذا الحيّز في البحث - ووفقًا لمنهجي - ببيان بعض الأهداف التي أعلنها الإمام « حسن البنا » بصفته مِن مجددي الإسلام في العصر الحديث ، ولذلك عادتْه الحكومات المصرية ، ووقف في وجهه أعوان الاستعمار على اختلاف أحزابهم ومذاهبهم ؛ لمنعه من أداء رسالته ، ثم اغتالوه في النهاية ، ونحسبه مات شهيدًا ، والله أعلم .

وسأختصر ثلاث قضايا كانت محط عناية الشيخ « حسن البنا » وجماعته من بعده ، وهي :

١ – الخلافة .

٢ – إقامة حكومة إسلامية .

٣ – تحرير المسلمين من الاستعمار الغربي والدفاع عن أرض فلسطين في مواجهة اليهود .

ولم يكن مستغرب إذن أن يعاديه العالم الغربي برُمته ، أي : بجناحيْه :

الصليبي والصهيوني ، ويسلّط عليه زبانيته وعملاءه للقضاء على جماعته من جذورها وتتبع أعضائها بالقتل ، والسجن ، والتشريد ، بل الاستئصال بلا رحمة بذريعة (تجفيف المنابع) !

١ – الخلافة :

يقول الإمام « حسن البنا » – رحمه الله – : « إن الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية ، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام ، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها ، والاهتمام بشأنها ، والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله ، ولهذا قدّم الصحابة – رضوان الله عليهم – النظر في شأنها على النظر في تجهيز النبي ﷺ ودفنه ، حتى يفرغوا من تلك المهمة واطمأنوا إلى إنجازها »[1] .

ثم بيّن أن إعادة الخلافة يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لابد منها ، وأنه لابد من تعاون ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب الإسلامية كلها ، يلي ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات ، وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد ، ويرى أن المؤتمر البرلماني الإسلامي لقضية فلسطين ودعوة وفود الممالك الإسلامية حينذاك إلى لندن للمناداة بحقوق العرب في الأرض المباركة – ظاهرتان طيبتان وخطوتان واسعتان في هذا السبيل . ثم يلي ذلك تكوين عصبة الأمم الإسلامية ، حتى إذا تم ذلك للمسلمين نتج عنه الاجتماع على (الإمام) الذي هو واسطة العقد ، ومجمع الشمل ومهوى الأفئدة ... »[2] .

---

(١) أحمد حسن شوريجي (الإمام الشهيد حسن البنا) ص ١٦٧ ، دار الدعوة بالإسكندرية ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .
(٢) نفسه ص ١٦٨ ، وقد شاركه في فكرة عصبة الأمم الإسلامية الدكتور « السنهوري » أيضًا .

٢ – إقامة حكومة إسلامية :

وينص الإمام « حسن البنا » في رسائله أن الإسلام يجعل الحكومة ركنًا من أركانه ، وقديمًا قال الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » ، وقد جعل النبي ﷺ الحكم عروة من عرى الإسلام ، والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع ، فالإسلام حكم وتنفيذ كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء ، لا ينفك واحد منها عن الآخر .

وينادي بأن تقوم دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعي وتبلّغ دعوته الحكيمة للناس ، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعًا آثمون .

ومن واجبات هذه الحكومة هداية الناس جميعًا – أي العالم – بالدعوات المتكررة ، والإقناع والدليل ، والبعثات المتتالية ، فليس من المعقول أن تجد الشيوعية دولة تهتف بها ، وكذلك الفاشية والنازية ، ولا توجد حكومة إسلامية تقوم بواجب الدعوة إلى الإسلام ! بينما قرر الإسلام سيادة الأمة الإسلامية وأستاذيتها للأمم في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، منها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] [١] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

---

(١) نفسه ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ بتصرف .

وأشار سبحانه إلى مضار الاستعمار وسوء أثره في الشعوب، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]، ثم أوجب على الأمة الإسلامية المحافظة على سيادتها بإعداد العدة واستكمال القوة حتى يسير الحق محفوظًا بجلال السلطة، كما هو مشرق بأنوار الهداية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ومن هنا وجدنا رجال السلف الصالح – رضوان الله عليهم – لا يقنعون باستقلال بلادهم، ولا بتحرير شعوبهم، ولكنهم ينسابون في الأرض ويسبحون في آفاق البلاد، فاتحين معلّمين، يحررون الأمم كما تحرروا، ويهدونها بنور الله الذي اهتدوا به، ويرشدونها إلى سعادة الدنيا والآخرة، جهادًا في سبيل الله وابتغاء مرضاته» وهكذا فهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان أن السياسة الخارجية من صميم الإسلام»[1].

ويقصد بذلك قيام الحكومة الإسلامية بواجب الدعوة إلى الإسلام الذي جمع محاسن المذاهب الاجتماعية والسياسية في العالم، وطرح مساوئها، وتقدّمه لغيرها من الشعوب كنظام عالمي فيه الحل الصحيح الواضح المريح لكل مشكلات البشرية، مع أن الإسلام جعل الدعوة فريضة لازمة وأوجبها على المسلمين، شعوبًا وجماعاتٍ قبل أن تُخلق هذه النظم، وقبل أن يعرف فيها نظام الدعايات ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤][2].

---

(١) نفسه ص ١٦١، ١٦٢ باختصار.

(٢) نفسه ص ١٦٥، ونذكُر أنه من خلال متابعتنا لبعض مَن أسلموا من مفكري الغرب أنهم يقترحون تقديم الإسلام لحل أزمة الحضارة الغربية، نذكر منهم على سبيل المثال: «جارودي»، و«محمد أسد»، و«مريم =

ويرى الإمام « حسن البنا » البدء بمصر أولًا لإقامة الحكومة الإسلامية بحكم أنها في المقدمة من دول الإسلام وشعوبه ، ثم في غيرها كذلك ، وتقوم دعائم الحكومة على النظم التالية :

- نظام داخلي للحاكم يتحقق به قول الله في القرآن الكريم : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة : ٤٩] .

- ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قول الله في القرآن الكريم ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

- ونظام عملي للقضاء يستمد من الآية الكريمة : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

- ونظام للدفاع والجندية يحقق مرمى النفير العام : ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٤١] .

- ونظام اقتصادي استقلالي ، للثروة والمال ، والدولة والأفراد ، أساسه قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [النساء : ٥] .

- ونظام للثقافة والتعليم يقضي على الجهالة والظلام ، ويطبق جلال الوحي في أول آية من كتاب الله : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] .

= جميلة » ، و« مراد هوفمان » ، بل إن « أرمسترونج » عالمة الأديان التي لم تسلم لها كتاب بعنوان : (محمد ﷺ ، نبيّ لعصرنا) .

- ونظام للأسرة والبيت ينشئ الصبي المسلم - والفتاة المسلمة ، والرجل المسلم ، ويحقق قول الله - تعالى - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم : ٦] .

- ونظام للفرد وسلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله - تعالى - : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس : ٩] .

ويظل ذلك كله روحًا عامًّا يهيمن على كل فرد في الأمة من حاكم أو محكوم ، قواعده قوله - تعالى - : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص : ٧٧] [١] .

٢- تحرير المسلمين من الاستعمار الغربي وأتباعه ، والدفاع عن أرض فلسطين :

ويرى الإمام « حسن البنا » ضرورة تحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي ، وذلك حق طبيعي لكل إنسان ، لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر .

ويسجل الواقع المؤلم لحكام المسلمين حينذاك ، الذين تربوا في أحضان الأجانب ودانوا بفكرتهم ، وكانوا أتباعًا لهم ، ومِن ثَمّ فهم لا يصلحون لإقامة حكومة إسلامية تستقل بتصريف الشئون والأعمال وفق قواعد الإسلام ، فضلًا عن قيامهم بالدعوة إليه بشعوب العالم « فإن قومًا نقضوا الإسلام من أنفسهم وبيوتهم وشئونهم الخاصة والعامة لأعجز من أن يفيضوا على غيرهم ، ويتقدموا بدعوة سواهم إليه ، وفاقد الشيء لا يعطيه » [٢] .

وقد أوصى بتربية النشء الجديد لأداء هذه الرسالة الكبرى وتعليمه

---

(١) نفسه ص ١٦٦ ، ١٦٧ .
(٢) نفسه ص ١٦٥ .

استقلال النفس والقلب ، واستقلال الجهاد والعمل ، وملء روحه الوثابة بجلال الإسلام وروعة القرآن ، وتجنيده تحت لواء محمد ﷺ ورايته [١] .

وكان تحذيره شديدًا من سبب البلاء ، أي : حضارة الغرب ، فأوجب على الجماعة الوقوف في وجه الموجة الطاغية من مدنية المادة ، وحضارة المتع والشهوات ، التي جرفت الشعوب الإسلامية فأبعدتها عن زعامة النبي ﷺ وهداية القرآن ، وحرمت العالم من أنواره ، كذلك فإنها بسبب استعمارها لبلاد المسلمين أخّرتها لمئات السنين [٢] .

أما عن قضية فلسطين فقد احتلت من اهتمامات الشيخ حسن البنا مكانة بارزة باعتبارها قضية إسلامية لصد الهجمة الصهيونية على بلاد المسلمين وهي في القلب منه .

وكانت ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦م التي استمرت ثلاثة أعوام فرصة سانحة - كما يذكر الأستاذ « طارق البشري » - لزعيم الإخوان المسلمين لممارسة العمل السياسي خارج حدود مصر ، ولإيجاد جسر بين الدعوة الدينية - هدف الجماعة المعلن - وبين العمل السياسي . فأيدت الجماعة الثورة الفلسطينية ونشطت في جمع التبرعات لها ، واكتسب « حسن البنا » تأييد وعطف « أمين الحسيني » مفتي فلسطين ، كما تقرّب إليه علي « ماهر » و« عبد الرحمن عزام » ليستفيدوا من تنظيم الجماعة الدقيق ونشاطه البالغ ... وبدأت الجماعة نشاطها العلني الصريح كتنظيم سياسي يعمل في الحياة المصرية ويحيي فكرة الجامعة الإسلامية [٣] .

---

(١) نفسه ص ١٦٥ .

(٢) نفسه ص ١٦٦ .

(٣) طارق البشري (الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ ، ١٩٥٢) ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ دار الشروق بمصر ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣) .

وفيما يتعلق بفلسطين : فقد شارك الإخوان المسلمون في المظاهرات العنيفة تعبيرًا عن موقف عامة المصريين من هذه القضية التي كانت أكثر القضايا العربية احتدامًا بعد الحرب العالمية الثانية .

وتطورت الأمور بعد ذلك إلى مرحلة الكفاح المسلح فكان الإخوان المسلمون ، ومصر الفتاة ، على رأس التنظيمات السياسية المصرية ؛ تأييدًا للكفاح المسلح ، ونظر كلاهما إلى فلسطين كمجال لحرب مقدسة ، وطنية ودينية ، ضد الصهيونية ، ومع تصاعد الموقف أعلنت (مصر الفتاة) عن تأليف عدة أفواج للنضال ، وسافر « أحمد حسين » مع هذه الأفواج إلى سوريا باعتبارها خط الدفاع الأساسي ، كما ألف الإخوان المسلمون كتائب للجهاد ، وأقاموا معسكرات للجبهة الجنوبية بفلسطين [١] .

ولم تخل مشاغل الشيخ « حسن البنا » الكثيرة دون اهتمامه بمتابعة المعركة العسكرية في فلسطين عن كثب ، وكان على علم بانتهاز اليهود للهدنة أثناء الحرب عام ١٩٤٨م لتقوية مراكزهم ، ونيتهم المبيتة للاستيلاء على القدس ، فبعث برسالة إلى رئيس الحكومة المصرية « يخطره فيها باستنكاره لاستغلال الإسرائيليين للهدنة واستمرارهم في خرقها ، وبخاصة في منطقة القدس ، وانتقال الأرجون ، وشتيرن إليها ، وما يشاع عن تخلي برنادوت - مراقب هيئة الأمم للهدنة - عن مقترحاته بخصوصها ، في الوقت الذي يتيح فيه هو ومراقبوه لليهود أن ينتفعوا بكل دقيقة لتقوية أنفسهم وتحسين مراكزهم ، وإفلات مائة ألف يهودي كانوا

= ومن الثابت تاريخيًا أن إنشاء إسرائيل كان جزءًا من خطط استعماري يشمل العالم العربي كله ، الذي أريد عزل أجزائه بعضها عن بعض ص ٢٤٨ .

(١) نفسه ص ٢٦٠ .

مهددين من الحصار الذي ضُرب عليهم مع مواصلة إمدادهم بالأسلحة والذخائر والرجال ، وكل ذلك ليس معناه إلا أن اليهود قد رتبوا مؤامرة الهجوم المفاجئ على القدس في أي لحظة لتشريد أهلها من العرب ، وهدم المسجد الأقصى ، وكنيسة القيامة »[1] .

ومن غرضنا للإسهاب في الحديث عن فلسطين إعادة القضية إلى بؤرة اهتمام الرأي العام بمصر ، والتنبيه على البُعد الإسلامي للقضية ، إذ أن المسجد الأقصى بالقدس هو ثالث المساجد التي لا يُشدّ الرحال إلا إليها طبقًا لحديث الرسول ﷺ ، وكأن الرسول ﷺ يحثّنا على الاحتفاظ بفلسطين كأرض إسلامية ، أضف إلى ذلك : الآثار الخطيرة لوجود إسرائيل في قلب العالم العربي والإسلامي على الأمن القومي ، وهي منذ إنشائها تهدف إلى تحقيق حلمها بالشعار المرفوع بالكنيست الإسرائيلي : (من النيل إلى الفرات) ! ومن ثَمَّ فإن رغبتها في التوسع على حساب جيرانها – وأولها مصر – لا تقف عند حد ، إذ يصوّر اللواء الدكتور « أ.ج. إبراهيم شكيب » آثار حرب فلسطين منذ عام ١٩٤٨م بقوله :

« وفي الوقت الذي وسّعت فيه حرب فلسطين من الهوة بين كثير من الدول والجماعات في العالم العربي ، فإنها أكدت وجود الدولة اليهودية ، ومكّنت هذه الدولة من توسيع حدودها بما يتجاوز الحدود المنصوص عليها في قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة ، الأمر الذي زاد إلى حد كبير من إحساس الإسرائيليين بالتفوق في مواجهة العرب ، وساعد على تعاظم هذا الإحساس لديهم أنهم حققوا ذلك بالقوة المسلحة ، ومن ثَمَّ أدى ذلك إلى نمو خطير في تأثير العقلية العسكرية

---

(١) لواء « أ.ج دكتور إبراهيم شكيب » : (حرب فلسطين ١٩٤٨ هـ « رؤية مصرية » ص ٣٠٦) الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦م .

في الشئون الداخلية والخارجية للدولة الجديدة ، وشجع الإسرائيليين على المطالبة باستمرار باستخدام القوة من أجل بلوغ أهدافهم »[1] .

وليس أبلغ من هذا التحليل النفسي لرجل عسكري متخصص ، وصف به العقلية الإسرائيلية عقب حرب ١٩٤٨م ، ولم تكن إسرائيل حصلتْ بعدُ على القنبلة الذرية التي أخذ بعض ساستها بالتهديد بها لضرب السد العالي ومِن ثَمَّ إغراق مصر !

ونوجِّه هذا التحذير لبعض الغافلين من كتّابنا الذين ينادون بالانصراف عن قضية فلسطين [2] والانكباب على حل مشكلاتنا ، وهم يعبّرون بذلك عن الضعف الشديد لمستوى الوعي الوطني والديني ؛ إذ هبطوا درجات كثيرة أيضًا عن المستوى الرفيع من الوعي السياسي الذي بلغه جيل ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م !

يقول لواء « أ.ح. دكتور إبراهيم شكيب » :

« ففي مصر كان لقرار التقسيم صداه في الوسط الطلابي ، وأعرب الطلبة عن استنكارهم للقرار بوسائلهم الطلابية ، كالتظاهر والمؤتمرات والبيانات وبرقيات الاحتجاج ، وكان هذا الاستنكار شاملًا للطلبة ، لا سيما الأزهريين والمنتمين للهيئات المختلفة ، وعلى مستوى القطر : فتعددت المظاهرات الطلابية هاتفة بفلسطين العربية وسقوط الصهيونية ، في : القاهرة ، وطنطا ، وشبين ، والزقازيق ، وقنا ، وبنها ، وسمنود ، وطلخا ، وأسيوط ، والإسكندرية ، وغيرها ... طالبة من الحكومة فتح باب التطوع لإنقاذ فلسطين ، وقطع العلاقات الدبلوماسية

---

(١) نفسه ص ٥٣٠ .

(٢) ونطالبهم أيضًا بتدبّر التحذير الشديد الذي وجهه إلينا جميعًا عالم الجغرافية السياسية الأشهر ، الدكتور « جمال حمدان » – رحمه الله تعالى – ، والذي سُقناه في المقدّمة .

والاقتصادية مع الدول الاستعمارية التي أيدت مشروع التقسيم ، والانسحاب من هيئة الأمم المتحدة ، وتوحيد سياسة البلاد العربية وإطلاق الحريات العامة ، وإذا لم تعلن الحكومة الجهاد ، فإن كل مصري – وخاصة الطلبة – يعرف كيف يعد نفسه بنفسه ، ويسحق كل شخص أو عقبة تقف في طريقه .

ويخطب « عزام » باشا في جموع طلبة الجامعة والمعاهد الأخرى ، قائلًا : « أيها الشباب إنكم تنادون بأنكم تريدون سلاحًا ، وإني أقول لكم : إنكم ستجدون السلاح ، وستشكل فرق المتطوعين لمن يريد التطوع ، وستفتح مجالًا للتدريب والتسليح ، نحن أمة بدأنا الكفاح لا ننتظر إلى متى ينتهي ... سنبدأه ولن ينتهي إلا بالنصر الحاسم وقذف عدونا في البحر » .

وإزاء استمرار المظاهرات أصدرت وزارة الداخلية بيانًا بمنعها ، وأصدرت التعليمات للبوليس بالتنفيذ ، ورغم هذا القرار استمرت مظاهرات الطلبة ، فبعد مؤتمر الأزهريين الذي ضم أيضًا طلبة الجامعة ، خرج الجميع بمظاهرة طالبين السلاح ، وهاتفين : « أين السلاح يا نقراشي »[1] .

جماعة أنصار السنّة المحمّدية :

دفعت الغيرة بعض علماء مصر الحريصين على هويتها الإسلامية إلى إنشاء جمعيات دينية لصد حملات التغريب التي تبناها كل من « لطفي السيد » و« طه

---

(١) نفسه ص ٦٣ . قال « زويمر » – كبير المبشرين في العالم العربي في تقرير مؤتمر التبشير العالمي ١٩٢٥م : « إن السياسة الاستعمارية لما قضت منذ نصف قرن على برامج التعليم في المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن ثم تاريخ الإسلام ، وبذلك أخرجت ناشئة مضطربة ، مادية الأغراض ، لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقًا ، فلا للدين كرامة ، ولا للوطن حرمة » . أنور الجندي (مقدمات العلوم والمناهج) (٥/ ٤١) – دار الأنصار بمصر ١٩٨٣م .

حسين » و« قاسم أمين » و« علي عبد الرازق » ، وغيرهم ، وكان من أهدافها تربية الشباب دينيًّا وأخلاقيًّا ، وعلاج الآفات الاجتماعية الناجمة عن الاحتلال البريطاني ، ومحاربة البدع المنحرفة عن عقيدة التوحيد الإسلامية ، وعلاج آثار التخريب في مناهج التعليم التي وضعها (دنلوب) وأعوانه لتخريج أجيال تجهل حقائق الإسلام ، وكان (دنلوب) قسيسًا إنجليزيًّا خلع ثياب الكهنوت وأصبح وزيرًا للمعارف في ظل حكومة الاستعمار البريطاني ، وظل يحارب الإسلام من موقعه بطريقة (زويمر) الذي أوْصى بتنفيذها في مؤتمر المبشرين العالمي .

ومن هذه الجمعيات : (جماعة أنصار السنّة المحمدية) ، واسمها دال على منهجها حيث حرصت على الالتزام بسنة الرسول ﷺ في كل أهدافها وأعمالها .

ولم تكن وحدها على الساحة ، بل سبقتها جمعيات أخرى كما تبين لنا عندما تحدثنا عن جمعية الشبان المسلمين :

يقول الدكتور « أحمد محمد الطاهر » : « كانت للجمعيات الدينية القائمة وقتذاك – أي عقب ثورة ١٩١٩م – آثار علمية وثقافية ، ونشاط في تثقيف الشباب بالعلوم الدينية والأخلاقية ، والوقوف في وجه الاتجاه التغريبي ... ومن هذه الجمعيات : جمعية الشبان المسلمين التي أنشئت في القاهرة أولًا ، وأسندت رئاستها إلى الدكتور « عبد الحميد سعيد » ، ثم بعد وفاته تولى رئاستها « صالح حرب » ، وقد حقق مزيدًا من التعاون بين الجمعية والإخوان المسلمين ، وكان الشيخ « حسن البنا » من أوائل من اشترك في عضويتها من الطلاب »[1] .

---

(١) أحمد محمد الطاهر (جماعة أنصار السنة المحمدية : نشأتها ، أهدافها ، منهجها ، جهودها) ، ص ٣٥ ، ط جماعة أنصار السنة المحمدية بعابدين – القاهرة ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م .

فأنشأ الشيخ « محمود خطاب السبكي » عام ١٣٣١ هـ - ١٩١٢م (الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنّة المحمدية) وكانت تنادي بمبادئ ، منها : الالتزام الكامل بكتاب الله - تعالى - ، وإحياء سنة المصطفى ﷺ ، ومحاربة البدع التي ليست من الدين .

ومن الوسائل التي اتبعتها الجمعية : بناء الفرد كاملًا ؛ عقيدة ، وعبادة ، ومعاملة ، وخُلُقًا ، المطالبة بتطبيق شرع الله ﷻ ، والدعوة إلى محاربة الجشع ، والتعصب ، والظلم [1] .

وينبغي ألّا نغفل أن الاتجاه الإسلامي الذي انغرس في أعماق الشعب المصري كان من غرس الشيخ « رشيد رضا » ﷺ .

فكان لمقالاته في (المنار) وكذلك كتبه ، أكبر الأثر في إيجاد جرعة من الحماس والقوة ؛ مما أدى إلى تكاتف المسلمين من كافة المذاهب للدفاع عن الإسلام .

ويرى الدكتور « علي شلبي » أن مؤلفات الشيخ « رشيد رضا » أضفت على الدين صبغة قومية (أي ما يطلق عليه اسم « الإسلام السياسي » ، وكان لها أثرها على الحياة السياسية في مصر ، كما أثرت على التكوين العقلي والنفسي والخلقي للشباب ، وجاءت أولى نتائجها في ظهور العديد من الجمعيات الدينية التي لعبت دورًا يتزايد مع الأيام في أوساط الطبقة المتوسطة ، ومنها : « جمعية الشبان المسلمين » ، وجمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ، وغيرها ... [2] .

---

(١) نفسه ص ٣٦ .

(٢) د. علي شلبي (مصر الفتاة ودورها في السياسة المصرية ١٩٣٣ / ١٩٤١) ص ١١٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م .

وقد اشتهرت جماعة أنصار السنة المحمدية بسبب انتشار فروعها وكثرتها في أنحاء مصر وقراها، بينما كانت هناك جمعيات دينية أخرى بلغ عددها حوالي تسعين جمعية دينية إسلامية، منها: (جمعية الهداية الإسلامية) و(جمعية مكارم الأخلاق)، و(جمعية الشفقة الإسلامية)، و(الجمعية الخيرية الإسلامية)، و(جمعية شباب محمد ﷺ) ... وكان جلُّ اهتمامها في المقام الأول هو مقاومة الأعمال التنصيرية داخل البلاد، حتى اقترن اسم بعضها بهذه الرسالة، مثل (جمعية مقاومة التنصير الشعبية) برئاسة «مصطفى المراغي»، و(لجنة مقاومة المنصّرين الحكومية) برئاسة الشيخ «الأحمدي الظواهري»[1].

كذلك كانت هناك مجموعات من الشباب تعمل تحت قيادة الجامعة العربية، وتشكّلت منهم ثلاث كتائب.

ولكن تميزت (جمعية الشبان المسلمين) دون سائر هذه الجمعيات بأنها جنّدت فرق شبه عسكرية من الشبان المسلمين الأعضاء بالجمعية، لمقاومة التنصير بمهاجمة أوكار وتجمعات المنصّرين الأجانب في طول البلاد وعرضها، وأخذت طريقها إلى التنفيذ الفعلي، وفي شكل حركة جهاد مسلح (ربيع الأول ١٣٥٢ هـ - يونيو ١٩٣٣ م)[2].



(١)، (٢) د. زوات عرفان المغربي (هيئة كبار العلماء) ١٩١١ - ١٩٦١م، ص ٣٩٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م.

النتائج المستخلصة

يتبيّن مما سبق أن مشروع النهضة الإسلامي الشامل القائم على أكتاف العلماء والجمعيات الإسلامية التي كانت تشكّل قيادتها النخبة الأصلية - لا المتغرّبة - عقائديًا وثقافيًا وسياسيًا ، هذا المشروع كان يمضي قدمًا إلى الأمام في مصر قبل يوليو ١٩٥٢م ، ومن الأهداف التي حققها : أنه كسر شوكة المشروع التغريبي الذي تزعمه أمثال : « طه حسين » و« علي عبد الرازق » و« سلامة موسى » و« أحمد لطفي السيد » و« إسماعيل مظهر » و« محمود عزمي » و« قاسم أمين » محافظةً على أصالة الأمة ، كما وقف بصلابة وعزم أمام الاحتلال البريطاني ، وقدّم الفدائيين دفاعًا عن أرض فلسطين ١٩٤٨م ، وكان قاب قوسين أو أدنى من ثورة شعبية عارمة ضد النظام الملكي ، والاحتلال البريطاني معًا ، اتضحت أهدافها عام ١٩٥١م بقوة ؛ فأثارت انزعاج القوى الاستعمارية .

ولو خلصت نوايا الضباط القائمين [1] بحركة انقلاب يوليو ١٩٥٢م ،

---

(١) واتسم تفكيرهم بالديماجوجية والشعارات الرنانة ، ولذلك كانت قراراتهم في الحروب – في رأي د. محمد فوزي – تمثّل حالات نفسية بأكثر من كونها قرارات إدارية أو سياسية محسوبة .. وربما يقصد « عبد الناصر » شخصيًا . هاني خلّاف (رسائل ومحررات ..) ص٢٩ – كتاب الهلال – أغسطس ٢٠١٢م .
فضلًا عن استخدامهم للإعلام المضلل حيث بلغ كذبه أقصى حد عند وقوع هزيمة ٦٧ ، إذ بينما كان المذيع المصري آنذاك يجلجل ويسخر من قادة إسرائيل ويتوعد موشي ديان ، وينذر ليفي أشكول ، ويهدد إسحق رابين ، ويلعن موردخاي هود قائد السلاح الجوي الإسرائيلي .. كانت إذاعة إسرائيل تزف لسكانها بشرى تحطيم جميع الطائرات والمطارات المصرية في ساعات الصباح الأولى ...
وتبين فيما بعد أن ضباطنا وجنودنا يُقتلون بالآلاف ، وأن جثثهم ملقاة فوق الرمال ، وتسلط عليهم عدسات تصوير جاءت في طائرات هليكوبتر إسرائيلية لتمثل الصحافة العالمية ، في تسجيل هذه الهزيمة القاسية التي لحقت بالجيش المصري ، وبالساسة المصرية ، وبالقيادة المصرية العليا .

لقاموا باستكمال مشروع النهضة الإسلامي ورسّخوا قواعده ، ووسّعوا دائرته مستفيدين من غرس العلماء والجمعيات الإسلامية - قبل قيام الانقلاب ، فهم الذين قاموا بجهود لا ينكرها إلا جاهل بتاريخ الحركات الثقافية ، والدينية ، والسياسية في مصر ، في العصر الحديث ، أو في قلبه زيغ نحو كل ما هو إسلامي الصبغة .

ولكن لأسباب كثيرة ، منها : ضحالة ثقافة القائمين على الانقلاب العسكري ، ونقص الوعي التاريخي لديهم بخصائص أمتهم الإسلامية وحضارتها الكفيلة بتقدّمها ، مع الرغبة في التغيير السريع دون معرفة بطبيعة المجتمع المصري وتجاربه ، وعقائده المخالفة للمجتمع الغربي ، فضلًا عن الرغبة في الاستئثار بالسلطة عند الكثير منهم ، وعلى رأسهم : « عبد الناصر » ، وبلا تصوّر لأي مشروع متكامل للسّير بمصر إلى طريق المستقبل .

كل ذلك أدّى إلى تحطيم النهضة التي كانت تبشّر بالخير لو مضت قُدُمًا إلى الإمام ، ولكنها وُئدت بفرض سلطة عسكرية أسّست « بمجموعة إجراءات عنيفة ... تراوحت من اعتقالات واسعة النطاق وإعدامات إلى إلغاء الأحزاب السياسية ، وإقامة التنظيم الواحد (هيئة التحرير) ، إلى سيطرة إدارة الانقلاب بشكل كامل لصالح النظام ، إلى السيطرة على أهم موردين اقتصاديين لمصر في ذلك الوقت ، هما : الأرض وتوزيعها ، وقناة السويس ، إلى تأسيس كاريزما لـ « عبد الناصر » في باندونج كرمز للاستقلال وللفقراء ، وكرمز للولاء ، وتم تأسيس جهاز مخابرات ، بعبارة أخرى : زرَع النظام الطغيان السياسي متمثلًا في القدرة على السيطرة العسكرية الداخلية والحشد الجماهيري ، واستطاع النظام

إبراهيم سعده (سنوات الهوان) ص١٩٥ .

السياسي أن يؤهل قيادة الجيش وأجهزة الأمن كمصدرين مهمين لقوى السلطة »[1] .

هذا ، بينما كانت جذور النهضة في مصر قبل ۲۳ يوليو ۱۹٥۲م ممتدة منذ القرن التاسع عشر ، ففي الدراسة الشاملة العميقة للأستاذ « طارق البشري » أثبت أن النهضة الوطنية كانت تصدر في الأساس عن قاعدة إسلامية ، وكان الاستعمار وحلفاؤه المحليون أوروبيين في الأساس ، وبقي الإسلام متصل الأواصر بنظام الحياة على مدى القرن التاسع عشر ، يقوم - أي الإسلام - غير

---

(۱) د. جهاد عودة (معالم الصراع المدني في مطلع القرن الواحد والعشرين) ص ۱۱٤ ، ۱۱٥ ، مكتبة الأسرة بمصر ۲۰۰۹م .

وكان حشد الجماهير يتم بأجهزة الدعاية ، فيقودها الزعيم إلى حتفها بعد أن أفقدها الوعي ، كما يذكر ذلك توفيق « الحكيم بكتابه » في كتابه (عودة الوعي) ، وللتوسع في معرفة أساليب تزييف الوعي نرجو الاطلاع على كتاب « صلاح الدين حافظ » بعنوان : (تزييف الوعي ... أسلحة التضليل الشامل) حيث يقول : « لقد اكتشف الرأي العام في بريطانيا وأمريكا أنه تعرض لتضليل رسمي شوه وعيه ، فمارس حقه في استعادة وعيه ... ونذكر جميعًا تقليدًا يابانيًّا شائعًا ، وهو استقالة المسئول أو انتحاره فور ضبطه متلبسًا بالكذب أو الفساد أو خداع الرأي العام وتضليل الشعب .

أما عندنا فحدِّث ولا حرج ، حيث تقع المآسي ، والكوارث ، والفضائح ، والهزائم والنكسات ، بلا مساءلة ، ويموت الضحايا بلا ثمن ، وتتبدد الأموال وتسرق بلا عودة ، ويحلق الفساد إلى عنان السماء بلا حساب ، وتأتي الحكومات وتذهب بلا تفسير ، ويلمع المسئول ثم يختفي بلا مبرِّر .

ومنذ نكبة فلسطين ۱۹٤۸م ، ثم نكسة حرب ۱۹٦۷م (والصحيح أنها نكبة أيضًا وليست مجرد نكسة) إلى احتراق قطار الصعيد بمئات من فقراء الفقراء ، وانهيار عمارة هنا وهناك يدفن تحتها مئات آخرين ، ويبقى الحال كما هو عليه ، أسئلة ألهمة بلا أجوبة صادقة ... !

عقل تستثيره المآسي فيبكي ، ووعي يجري تضليله فيشكو ...

لكن آلة الإعلام - الدعائية - تخرج مروّجة لغير الحقيقة في غالب الأحيان ، تردد ما يقوله المسئول من معلومات غير حقيقية ، أو غير حقيقية كاملة ، ثم يظهر المتهم على شاشة العرض مقبوضًا عليه ... إنه القضاء والقدر .. وفي ظل ضيق مساحة الحرية ، وغياب الثقافة الديمقراطية ، ويبقى صوت واحد هو القادر وحده على تشكيل الوعي ، المتحكم وحده في تزييف الوعي .. ص ۱٥ ، ۱٦ من الكتاب . طبعة سطور الأولى بالقاهرة ۲۰۰٤م .

غريب عنها وإنما ينتشر في خلاياها)[١].

ثم يعلل سبب إخفاق تجارب استقلالنا الأخيرة في الخمسينيات فيقول: «فرغم أنها تجارب بنيت على قاعدة سياسية واقتصادية مستقلة، إلا أنها آلت بنا عند أول اختبار لها إلى نوع من الضياع أمام الهجمة الاستعمارية التي عاودتنا. وفي ظني أن سبب الضياع، يعود فيما يعود إلى أن هذه التجربة رغم كل حذرها من الغرب، أقامت مشروع نهضتها على صورة اقتبست من نماذج مجتمعات الغرب، سواء المجتمعات الرأسمالية أو الاشتراكية»[٢].

بواكير النهضة في إطار الجامعة الإسلامية:

كان المجتمع المصري مهيأً بزعمائه، وعلمائه، ورجال السياسة، والمربين، والقاعدة العريضة من الجماهير المتدينة بفطرتها، كان مهيئًا لحركة نحو نهضة كبرى في الحياة السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والصناعية، وغيرها.

وبيت القصيد في بحثنا أن الجمعيات الإسلامية أعدت جيلًا واعيًا لدوره؛ حيث تربى على قواعد من تراثه الإسلامي متمسكًا بعقائده، وملتزمًا بأخلاقه وسلوكياته «لقد كان الشعب المصري في حاجة إلى زعامة رشيدة تستغل القوى الكامنة فيه، وتوجه طاقاته توجيهًا سديدًا نحو تجديد حضاري شامل»[٣] فضلًا عن الإسهام في عودة وحدة الأمة إلى سابق عهدها قبل انفراط عقد وحدتها

---

(١) طارق البشري (الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ / ١٩٥٢) ص ٣٤، دار الشروق بمصر، ط ٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

(٢) نفسه ص ٤١، ويقع الكتاب في نحو ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير.

(٣) د. عبد العزيز الشناوي (عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية) ص ٢٠٤، بتصرف يسير، سلسلة أعلام العرب – دار الكاتب العربي بمصر، يوليو ١٩٦٧م.

بواسطة « أتاتورك » اليهودي ، عندما ألغى الخلافة العثمانية ، وكانت مصر حينذاك في حاجة إلى زعيم ذي نزعة إسلامية ، كالزعيم « عمر مكرم » الذي لا يكاد يرى الأمان إلا في ظل سلطان المسلمين - أي الخليفة العثماني [1] - وهو رمز وحدتهم ، وكان المسلمون ينظرون إليه أنه خليفة رسول الله ﷺ ، ونحن ندرك أن الاستعمار الغربي أسهم بفاعلية قوية في تشتيت الشعوب العربية والإسلامية ، وغرز فيها النخب التي تتبنّى فلسفاته وأفكاره القومية ، ولكنه لم ينجح في اجتثاث رغبة تلك الشعوب في الوحدة التي عاشت في ظلها قرونًا طويلة ، واستمرت كذلك إلى عهد قريب ؛ إذ كانت نظرة شعب مصر إلى السلطان العثماني والدولة العثمانية هي الغالبة المسيطرة [2] .

ونتوقف عند إحدى الثورات التي قام بها شعب مصر لتحليل دوافعها ومراميها عندما كانت مصر حينذاك ولاية عثمانية ، ففي عام (١٠٢٩هـ - ١٧٩٥م) قامت ثورة شعبية استمرت ثلاثة أيام تنادي بوضع حد للمظالم التي يتعرض لها الشعب ، وتطالب الحكومة بضغط المصروفات ، والحد من الإسراف في شراء المماليك ، وأن تنفذ مبادئ الشريعة الإسلامية تنفيذًا سليمًا ... وقد استجاب الباشا العثماني ، وقاضي القضاة ، والأمراء والبكوات حينذاك على تلبية مطالب علماء الأزهر الذين قادوا تلك الثورة ... وكتب القاضي حجة شرعية سجل فيها العهود والمواثيق .

وتُعلّق الدكتورة « زوات عرفان » على ذلك بقولها :

---

(١) نفسه ص ١١٩ .

(٢) نفسه ص ٨٧ .

« وينبغي عدم الإسراف في تقييم تلك الثورات الشعبية على نحو ما فعله بعض المؤرخين عندما أطلقوا على (الحجة) أو (الوثيقة) [الماجنا كارتا] أي الوثيقة العظمى ... لأن هذه الحركة ومثيلاتها التي حفل بها تاريخ الشعب المصري وخاصة في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي لم تكن تستهدف الاستقلال عن الدولة العثمانية ...

فالفكرة التي كانت سائدة في العالم الإسلامية بوجه عام كانت تعتبر السلطان العثماني خليفة المسلمين ... وظل المسلمون ينظرون للسلطان على أنه خليفة رسول الله ﷺ في حكم المسلمين . على هذا النحو فالنضال الشعبي الذي شهدته مصر خلال العصر العثماني لم يتعد العمل على رفع ظلم الحكام . وهكذا انبثق النضال دفاعًا عن مقومات حياة الشعب المصري في إطار الفكرة الإسلامية » ..[1].

لذلك كله لا يستطيع باحث يلتزم بالمنهج العلمي إنكار امتداد هذه النظرة إلى بداية القرن الماضي فيما يسمى بفكرة [الجامعة الإسلامية] حيث يسجّل الدكتور « علي شلبي » امتداد طبيعة تيارات الفكرة الإسلامية بمصر حتى الثلاثينيات من القرن العشرين وما قبلها ؛ بفعل مقالات الإمام « رشيد رضا » في مجلة (المنار) التي كانت بمثابة « جرعة جديدة من الحماسة والقوة ، وتكاتفَ المسلمون من كافة المذاهب للدفاع عن الإسلام ، وكان لمؤلفاته أثرها على الحياة السياسية في مصر ، كما أثرت على التكوين العقلي ، والنفسي ، والخلقي للشباب ، وجاءت أولى نتائجها في ظهور العديد من الجمعيات الدينية التي لعبت دورًا يتزايد مع الأيام في أوساط الطبقة المتوسطة ، ومنها : « جمعية الشبان المسلمين » و« جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية » وغيرها ...

---

(١) د. زوات عرفان المغربي (هيئة كبار العلماء (١٩١١ - ١٩٦١) ص ٢٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م.

ثم لم تلبث أن نشأت جمعيات أخرى لها طابع مزدوج ديني وسياسي في الوقت نفسه ، مثل : (جماعة الإخوان المسلمين) ، هذا بالإضافة إلى (جمعية مصر الفتاة) التي تأثرت بهذا الاتجاه منذ البداية فقامت بحملات صاخبة لإغلاق حانات الشرب ، وتحريم الاختلاط في الأماكن العامة ، ومنع البغاء . وظلت تواصل نشاطها الديني حتى أعلنت تحولها إلى الحزب الوطني الإسلامي ، فأخذ نشاطها الديني يطفو على السطح »[1] .

وهناك أكثر من مصدر يسجل النبض الإسلامي للشعب المصري ممثلًا في الجمعيات الدينية التي التف حولها واشترك فيها مقتنعًا بمبادئها وأهدافها ، فيذكر « هنري لاوست » في كتاب (تطور مصر) أن من هذه الجمعيات اثنتين جديرتين بالذكر حسب تاريخ تأسيسها : جماعة الإخوان المسلمين ، وجمعية مصر الفتاة، تأسست الأولى عام ١٩٢٧ أو ١٩٢٨م على يد الأستاذ « حسن البنا » لتكتسب شعبية كبيرة بعد الحرب العالمية الثانية لا في مصر ، بل في العالم العربي والإسلامي ، أما الثانية : فقد أسسها المحامي « أحمد حسين » عام ١٩٣٣م واتخذت لنفسها عام ١٩٤٠م اسم (الحزب الوطني الإسلامي) ، وأفسحت في برنامجها مكانًا كبيرًا لضرورة تجديد وتنقيح الشريعة الإسلامية ، وضرورة تطبيقها ، فنادت بإعادة الزكاة ، وإلغاء الاقتراض بالربح والربا ، وسن القوانين عن طريق مجلس العلماء والفقهاء ، وتنقيح الدستور بما يطابق مبادئ الشريعة ، وتصدت جمعيتا مصر الفتاة ، والإخوان المسلمين للغرب والمعجبين به ، وبذلتا كل جهد للدفاع بحمية وجرأة عن الإسلام وحضارة الإسلام ، ونددتا بالدول الاستعمارية ، كما كانت الثورة

---

(١) د. علي شلبي (مصر الفتاة ودورها في السياسة المصرية ١٩٣٣ – ١٩٤١ ، ص ١١٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م .

ضد التبشير بالغة الحدّة خصوصًا في شهري مارس وأبريل ١٩٢٨م ، وهي الفترة التي عقَدَ فيها المؤتمر العالمي للأعمال التبشيرية غير الكاثوليكية جلساته في القدس ... كما وجُّهت انتقادات لمستشرقي أوروبا »[1] .

ثم جاءت قضية فلسطين ففجرت الطاقة الإيمانية الإسلامية في الشعب المصري بمختلف جماعاته وأحزابه .

فقد استفز حادث البراق عام ١٩٢٩م ومحنة فلسطين عامة – لدى الشعب المصري – جماع المشاعر الوطنية والإسلامية ، حتى إن حزب الوفد (العلماني) تبنَّى في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بالقدس ١٩٣١م (وجهة النظر الدينية الإسلامية ... وكان من أهم القرارات التي اتُّخِذت : الدعوة إلى توحيد البلاد العربية ، واستنكار تجزئة فلسطين) .

كذلك نشطت جمعية الشبان المسلمين ، وعقدت في القاهرة ١٩٣٠م مؤتمرًا لبحث دعم التضامن الإسلامي ، ومناهضة الإرساليات ومدارسها ، وإنشاء بنك إسلامي ... وأوصت بإنشاء عصبة أمم إسلامية ، وسافر إلى القدس كل من « محمد علي علوبة » و« أحمد زكي » شيخ العروبة و« عبد الحميد سعيد » للدّفاع عن ملكية العرب لحائط البراق أمام اللجنة التي شكلتها عصبة الأمم لتحقيق النزاع[2] .

---

(١) د. السياعي محمد السياعي (عبد الوهاب عزّام ، رائدًا ومفكرًا) ١٨٩٤ – ١٩٥٩ ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ، مكتبة الأسرة بمصر ٢٠٠٩م

(٢) طارق البشري (الحركات السياسية في مصر ، ١٩٤٥ – ١٩٥٢) ص ٢٤١ ، ٢٤٣ ، دار الشروق مصر ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .

بواكير الثورة الشعبية بمصر قبل انقلاب عام ١٩٥٢ م :

ويتناول التعرّف على :

١ – الزعيم الشاب مصطفى كامل وبعض قادة الحزب الوطني بعده .

٢ – حزب مصر الفتاة بقيادة « أحمد حسين » .

٣ – حزب الوفد بقيادة « مصطفى النحاس » .

١ – الزعيم الشاب مصطفى كامل وبعض قادة الحزب الوطني بعده :

(أ) الزعيم الشاب مصطفى كامل (١٨٩٢ – ١٩٠٨ م) مؤسس (الحزب الوطني) :

إن من حق الأجيال الحالية علينا تعريفها بتاريخ أمتها الصحيح وبالزعماء الحقيقيين الذين قضوا أعمارهم جهادًا في سبيل تحرير بلادهم وقدّموا التضحيات بإخلاص وتصميم ، فمنهم من استشهد ، ومنهم من سُجن وعُذب ، ومنهم من نُفي وشُرّد ، وكان زعيمهم مصطفى كامل .

لقد اجتمعت فيه صفات الزعامة الحقّة ، فكان ثابت الإيمان راسخ العقيدة الوطنية – والدينية – شديد الإخلاص لبلاده ... وهب نفسه للدفاع عنها ، فناهض الاحتلال البريطاني ، وأخذ يحاربه باستنهاض روح مواطنيه ، وكثيرًا ما جال في عواصم أوروبا منددًا بالاحتلال البريطاني ، مذكّرًا الإنجليز بوعودهم الكثيرة بالجلاء ، بينما هم يماطلون ويراوغون [1] .

وكان على وعي تام بالرابطة الدينية حينذاك بين شعب مصر وخليفة المسلمين في الآستانة بتركيا ، فجمع بين الرابطة الوطنية والرابطة الإسلامية المتمثلة في الجامعة الإسلامية ، ولم يجد هناك تنافرًا بينهما .

---

(١) د. محمد عبد الرحيم مصطفى (تاريخ مصر الحديث) ص ٢٩٢ ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٤٩م .

كذلك خاض معركة مقاومة المحتل والسراي معًا ، إذ قام (حزب الأمة) من رجال الطبقة الأرستقراطية المصرية الجديدة التي أطلق عليها أصحاب المصالح الحقيقية كما كان يصفهم كرومر وغيره من الإنجليز بأنهم راضون عن الاحتلال ساكتون عن حقوق مصر ، وتلا ذلك ظهور حزب الشيخ علي يوسف صاحب (المؤيد) المسمى « حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » عندئذ كتب مصطفى كامل خطابًا إلى محمد فريد يقول فيه :

(إن ظهور حزب الأمة من أولئك الذين خبرنا نفسيتهم وميلهم إلى مسايرة المحتلين وفقًا لما يسمونه سياسة « اللين والتدرج » ، وإن ما علمته كذلك من عزم صاحب « المؤيد » على تأليف حزب باسم الإصلاح لخدمة سياسة الرأي ، هذان الأمران يحتمان علينا كل التحتيم أن نظهر حزبنا الوطني بالرغم منا في مظهره الحقيقي ، حتى يعلم العالم كافة أن للوطن المصري حزبًا يطلب بعزيمة صادقة « الجلاء والدستور » ، أي إنه لا يعقل حكم الأجنبي ولا حكم الفرد ، عاملًا لاستقلال بلاده وحرّية أمته باستردادها حقها في الإشراف على أمورها العامة) [1] .

وكان الشيخ عبد العزيز جاويش – رئيس جريدة الحزب – يرقب عن كثب نشاط مصطفى كامل في لندن فصرّح بقوله : (وكنت قد عشقت مبادئ الحزب الوطني قبل أن يتكون ؛ لأني عشقت المبادئ التي تقمّصت ذلك الجسم الضئيل الذي قتله الجهاد ، جسم مصطفى كامل ، كنت أرقب روح الحزب الوطني في أكسفورد كما يرقب الفلكي نجمًا جديدًا ، وكان الحزب لم يؤلف بعد ، ولقد درسته ثم درسته ، فوجدت تلك الروح ليست باللاعقلانية كما يزعمون ، ولا بروح

(١) أنور الجندي (عبد العزيز جاويش ، من روّاد التربية والصحافة والاجتماع) ص ٢٧ ، المؤسسة المصرية العامة ١٩٦٥م .

العواطف التقليدية كما يخرصون ، ولكنه حزب العقل البعيد النظر ، رأيت فيما يكتبه مصطفى وأعوانه ومريدوه وتلاميذه الدراية التامة والخبرة والحزم والخدمة في معرفة الدهاء الإنجليزي ومراحل السياسة الإنجليزية)[1] .

ولم تكن جهود مصطفى كامل في المجال السياسي فحسب ، بل عني بإنشاء المدارس ، وكذلك فعل عبد العزيز جاويش ، حيث كان هدفها التربية الإسلامية في المقام الأول ، ولمواجهة خطة (دنلوب) الذي أخرج القرآن الكريم من المناهج ، وجعل الحصة السابعة للدين ، وهي تأتي في آخر اليوم بعد أن يكون الطالب قد وصل إلى درجة بالغة من الإرهاق[2] ، ومن خطبته التي ألقاها في مدرسة باب الشعرية نعرف خطته التربوية ، وينبغي جعلها نبراسًا للمعلمين والتربويين ، قال : (إن التعليم في هذه المدرسة مقرون بالتربية الإسلامية ؛ لأني أعتقد أن التعليم بلا تربية عديم الفائدة ، وأقصد بالتربية : التربية الإسلامية المحضة لأن أساس التربية الدين ، وكل أمة تربي أبناءها على غير قواعد الدين تكون عرضة للدَّمار والانحطاط .

وقد رأيت بنفسي في أغلب مدارس أوروبا اهتمامًا فائقًا بتعليم الدين المسيحي للناشئين ، ولذلك عولت على جعل الغرض الأول من المدرسة ترقية الملكة الإسلامية عند التلاميذ ، وتمكين حب الوطن والاتحاد والائتلاف في نفوسهم ، وتقديم اللغة العربية على كل لغة)[3] .

---

(١) نفسه ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) أنور الجندي (اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار) ص ٢٧٠ ، دار الاعتصام ويقول : (ومن العجيب أن سياسة دنلوب استمرت من بعده طويلاً) ، ويذكر أن كرومر يفهم كما يفهم رئيس وزرائه جلادستون بأن القرآن هو مصدر الخطر في الثقافة والتربية والتعليم ... وفي ص ١٤٢ يقول : (كان ملعب دنلوب أنه متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة) !

(٣) نفسه ص ٢٧١ .

وهكذا وضع مصطفى كامل حجر الأساس في النظام التعليمي بمدارس المسلمين التي تعرضت لغزو المدارس الأجنبية ، وهي مؤسسات تبشيرية ، وقد رأى المبشرون (أن التبشير يجب ألا يقف عند انتهاء مرحلة التعليم الابتدائي أو الثانوي ، بل يجب أن يستمر إلى مرحلة التعليم العالي ؛ لأنه هو الذي يهيئ قادة الشعوب) [١] .

ويقول الأستاذ محمد أسد (ليوبولد فايس سابقًا) إن التعليم على أسس غربية يؤسس أجيالًا تحمل العداء للإسلام [٢] .

إن قضية الاهتمام بمناهج تعليم الدين الإسلامي ينبغي أن تحتل الصدارة في أي مشروع للنهضة ؛ لأنها الكفيلة بتخريج أجيال تدافع عن الأمة وتواجه العداء الغربي الذي لم يفتر ، والذي تسلل إلى مدارسنا وجامعاتنا من خلال التعليم .. يقول الدكتور مصطفى محمود : (إن الإسلام هو الدفاع الاستراتيجي-لهذه المنطقة كما فعل في الماضي حينما صد الهجمة الصليبية وحينما انكسرت على حائطه جحافل التتار ... والغرب لن ينسى هذه الهزائم .. وهو لهذا يريد أن يقتلع هذه الشوكة التي في طريقه .. وهو يركز هجومه هذه المرة على الإسلام نفسه فيحاول تشويهه ، ثم يتسلل إلى المؤسسة التعليمية الدينية تحت مسميات زائفة ، مثل تجفيف الينابيع زاعمًا أنه يريد أن يحمينا من الإرهاب - والإرهاب من صنعه - ثم يتسلل إلى برامج التعليم في الأزهر في محاولة لعلمنة الأزهر ، ثم يتسلل إلى حصن القرآن الحصين في محاولة أخيرة لاختصار مقرراته تحت زعم التخفيف على الطالب) [٣] ،

---

(١) د. مصطفى خالدي ، د. عمر فروخ (التبشير والاستعمار في البلاد العربية) ص ٧٩ ، المكتبة العصرية - بيروت صيدا ، ط ٣ ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣م .

(٢) محمد أسد (الإسلام على مفترق الطرق) ص ٦٩ ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٨ ، ١٩٧٤م .

(٣) د. مصطفى محمود (علم نفس قرآني) ص ٣٤ (الأعمال الكاملة للدكتور مصطفى محمود) .

والأدهى والأمرّ أن ما يسمى بعملية تطوير التعليم بمصر يشرف عليها (٢٩ أستاذًا ومستشارًا أمريكيًا بينهم اثنان من اليهود بتمويل من المعونة الأمريكية) .. وقامت بمراجعة سبعين كتابًا في مختلف المواد الدراسية ، ثم تبين أن التطوير (يعني اختزال التاريخ الإسلامي في مراحل التعليم المصري الابتدائي والإعدادي والثانوي ، ويعني حذف غزوات الرسول ﷺ ضد العدوان والتآمر اليهودي في عصر النبوة) [1] .

وظل مصطفى كامل يستنهض همم الشعب المصري ويلقّنه مبادئ التضحية ، واتبع لذلك نشر التعليم بين جماهير الأمة بفتح المدارس الأهلية وتثقيف الشعب وتلقينه المبادئ الوطنية عن طريق الصحافة وإلقاء الخطب والمحاضرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فأنشأ جريدة اللواء ، ثم أنشأ الحزب الوطني ١٩٠٧م [2] ، ومما لاحظه الأستاذ طارق البشري على جماعة صحيفة اللواء والحزب الوطني أنهما كانا (ينزعان في مقاومتها للإنجليز منزعًا إسلاميًا .. ويبدو ذلك جليًا في موقف هذا التيار من الجامعة الإسلامية ، وفي أسلوب تصديه لقضايا المجتمع ووجهته في التحديث) [3] .

ولم يشارك الحزب الوطني الأحزاب الأخرى التي تضامنت مع حزب الوفد في الموافقة على معاهدة ١٩٣٦ [4] .

وكان الحزب الوطني بقيادة مصطفى كامل محقًّا في موقفه ؛ لأن المعاهدة اعترفت بشرعية وجود الاحتلال البريطاني ، وظل مصطفى كامل مصرًّا حتى

---

(١) د. محمد سيد محمد (الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر) ص ١٢٦ .

(٢) نفسه ص ٢٩٤ .

(٣) طارق البشري (الحركات السياسية في مصر – ١٩٤٥ – ١٩٥٢) ص ٣٥ – دار الشروق بمصر ط ٢ – ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

(٤) محمد عبد الرحيم مصطفى (تاريخ مصر الحديث) ص ٣٤٠ .

وفاته على مبدأ « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، وترك لنا كلمات عذبة وأناشيد جميلة منها : « بلادي بلادي لك حبي وفؤادي » ، « ولو لم أكن مصريًا لوددت أن أكون مصريًا » ، « أريد أن أوقظ في مصر الهرمة مصر الفتاة » ، « هم يقولون أن وطني لا وجود له ، وإني أشعر بوجوده بما أنس له في نفسي من الحب الشديد الذي سيتغلب على كل حب سواه » ، « وقيل لي أني أحاول محالًا وقلت : لا معنى للحياة مع اليأس »[1] .

وكانت لهذا الزعيم مواقف حاسمة ضد قوات الاحتلال ازدادت بعد حادثة دنشواي ، إذ اتخذ منها وسيلة للتشهير بالإنجليز وقسوة العميد البريطاني ، ونجح في ذلك أكبر نجاح ، إذ اضطر لورد كرومر إلى اعتزال منصبه عام ١٩٠٧م[2] .

وبهذه المناسبة لا نوافق على الرأي الذي يصف موقف مصطفى كامل بالتشدد لرفضه الاشتراك في توقيع معاهدة ١٩٣٦م حينذاك ، إذ يعبر بذلك عن رفضه لقبول الأمر الواقع بالاحتلال الإنجليزي الذي كان يستند على القوة

---

(١) نفس المصدر ص ٧٩ .

(٢) د. محمد عبد الرحيم مصطفى (تاريخ مصر الحديث) ص ٢٩٥ .

وتتلخص حادثة دنشواي في أنه في أوائل صيف ١٩٠٦م مرّ ضابطان بريطانيان بقرية دنشواي بالقرب من مدينة شبين الكوم، وأخذا يصطادان الحمام الذي كان يكثر بتلك القرية ، فشبت النار في أحد أجران القمح من عيار ناري ، فاغتاظ أهل القرية ، وتعدّى بعضهم على الضابطين بالضرب ، ولكنهما تمكنا من الفرار جريًا لينجوا من الخطر ، وكان الحر شديدًا فأصيب أحدهما بضربة شمس ومات ، فغضب الإنجليز لذلك ، وأمروا بالقبض على كثير من سكان القرية ، ثم عقدت محكمة مخصوصة لمحاكمة المتهمين ، وقضت المحكمة بإعدام أربعة أشخاص شنقًا وسجن آخرين وجلد البعض الآخر ، وقد نفّذ حكم الإعدام والجلد بالقرية أمام بيوت المحكوم عليهم وأقاربهم . نفس المصدر ص ٢٩٤ .

ومما يؤسف له أشد الأسف أن أحمد لطفي السيد عجز عن الدفاع عن المتهمين الأبرياء في هذه القضية (فتحي رضوان : مشهورون منسيون) ص ٣٥ .

المستبدة الغاشمة ، فاحتل أرض مصر وامتص خيراتها وذل شعبها . أبى هذا الزعيم الحلول الوسط مصرًّا على الجلاء التام وتحرير الشعب من قيود الإذلال والهوان ، بالرغم من معرفته للبون الشاسع بين قدرات شعب مصر وقوى الجيش البريطاني ذراع الإمبراطورية التي وُصفت بأنها لا تغيب عنها الشمس ، لما تحتله من مساحات شاسعة على الكرة الأرضية .

يبدو أنه اختار طريق الصدام مهما كانت درجات البذل والتضحية ، ورفع شعار « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، وكان يستنهض همم الشعب للتعجيل بإجلاء الإنجليز بدلًا من طريق المفاوضات الذي تأخر حتى عام ١٩٥٤م .

ولا نرى أن مثل هذا الموقف يعبر عن التشدُّد كما يزعم البعض ، بل إنه ضروري لأنه يعبر عن الصراع الدائم بين الدول الكبرى المعتدية بالحروب والاستعمار وبين الشعوب الضعيفة المقهورة التي لو خضعت للأمر الواقع ولم تقم تدافع عن حقوقها المسلوبة لظلت تتجرع كؤوس الذل والهوان على مر الزمان وتوالي الأجيال .

والحق أنها في حاجة إلى زعيم يذكّرها بحقوقها ، رافعًا راية الرفض للخضوع والمذلة ، وبذلك تضمن الشعوب على مرور الأجيال انتصارها ، ومن ثمَّ تظل الراية مرفوعة حتى تتمكن في النهاية – بعد استكمال قواها – من تحقيق النصر ، حتى لو بعد حين ، دون أن تفرّط بشبر واحد من أراضيها ، ويسجّل تاريخ أعضاء الحزب الوطني من تلاميذ مصطفى كامل بأنهم لم يكفوا عن الجهاد والمقاومة مهما اتُّهموا بالعنف والشدة[1] .

---

(١) إن المشهد التاريخي يتكرر أمامنا بين اتجاهين ، أحدهما يظن أن المفاوضات وسيلة لاسترداد الحقوق المغتصبة من الأعداء ، والثاني يسلك طريق الجهاد والمقاومة لتحقيق النصر ... إن موقف الزعيم مصطفى =

وقد عقد الأستاذ فتحي رضوان – رحمه الله تعالى – مقارنة بين موقفي الحزب الوطني برئاسة مصطفى كامل، وسعد زغلول ومؤيديه، فقال: (يحسب الكثيرون أن الحملات التي قام بها «اللواء» لعهد مصطفى كامل ثم لعهد عبد العزيز جاويش كانت صراخًا عنيفًا في الهواء، وكانت حماسة كلامية مسرفة، وأنها لم تُجْدِ شيئًا، وأن أسلوب التعقل والتبصر الذي التزمه خصوم «اللواء» والذي مال بهم إلى صداقة الاحتلال وممثليه وخطب ودهم وتبادل الرأي معهم والأخذ بنصيحتهم هو الطريق السوي السليم.

وما ذهب إليه هؤلاء هو الخطأ بعينه؛ فإن هذه الحملات – وإن اتسمت بالعنف والشدة أحيانًا – كانت كالقوارع التي تخرج الناس من جمودهم، وتبث

= كامل تكرَّر في واقعنا المعاصر في شخص البطل المظفَّر الفريق الشاذلي في حرب ١٩٧٣م حيث يقول في مذكراته: (ففي نوفمبر ٧٧ قام السادات بزيارته المشئومة إلى القدس، حيث أعطى الكثير لإسرائيل دون أن يحصل على شيء لقاء ما أعطى) ص٦.

ويقول ناشر المذكرات: (وكان الفريق سعد الدين الشاذلي أول من أعلن الحقيقة وأجاب على الدهشة التي أصابت الأمة حين حقق الجيش المصري المعجزة بعبوره القناة وتحطيمه خط بارليف المنيع، ولكنه أمر بالتوقف في أوج النصر.. أمر بالامتناع عن إكمال النصر وتحرير سيناء.. أمر بانتظار الهجوم الإسرائيلي المضاد لفتح الثغرة الشهيرة، وكان سعد الدين الشاذلي أول من أعلن أن الثغرة ليست ثغرة عسكرية، إنها ثغرة سياسية فتحها السادات لتمرَّ منها أمريكا، وليمرَّ منها السادات وكارتر لإنجاز الهزيمة القومية الكبرى، باستسلام مصر أمام العدو الإسرائيلي الذي حوَّله السادات إلى حليف) ص٢.

المصدر الفريق سعد الدين الشاذلي (مذكرات حرب أكتوبر) دار بحوث الشرق الأوسط، سان فرانسيسكو ٢٠٠٣م.

ومما يقطع نياط القلب حزنًا ما صرَّح به العميد محمد بدر – وهو واحد من أبطال حرب أكتوبر – بأن إقصاء الشاذلي خلال حقبة السادات وسجنه خلال عهد مبارك يعود إلى أن كليهما صاحب مشروع الاستسلام والتبعية ... وتوقف العميد بدر أمام سجن الفريق الشاذلي الذي تم في نفس اليوم الذي أفرج فيه نظام مبارك عن الجاسوس الإسرائيلي مصراتي الذي بال على المحكمة.. وبالتالي سجن الشاذلي تم إرضاء لإسرائيل على حد قوله.

المصدر: جريدة الشروق ٢٧ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ – ١/٤/٢٠١١م.

الشجاعة والحرارة في قلوبهم وأعصابهم ، وكانت وحدها السبب في كل ما شمل البلاد من الرغبة في الإصلاح ... فلولا هذه الصيحات المدوّية التي انشق عنها قلب مصطفى كامل وعبد العزيز جاويش لما قامت حركة إصلاح ديني ، ولا ترجم كتاب عن اللغات الأوربية ، ولا تبنت فكرة إنشاء جمعية خيرية ، أو بناء مستشفى ، أو إقامة جامعة ، أو إرسال بعثة للخارج)[1] .

ويقرّب موقف مصطفى كامل والشيخ عبد العزيز جاويش إلى أذهاننا موقف الشيخ ياسين - الذي نحسبه شهيدًا رحمه الله تعالى - من الاستعمار الإسرائيلي الاستيطاني لأرض فلسطين ، فهو الذي تبنّى ضرورة تحرير الأرض كاملةً ، وربّى شبابًا يسعى جاهدًا لاستخلاص الأرض وإعادتها إلى أصحابها الأصليين ؛ لأن الصراع في حقيقته صراع بقاء لا صراع حدود كما يتضح من لقاءات المفاوضات ، وتاريخ أمتنا مليء بالواقعات المماثلة حيث كان الانتصار ملازمًا للجهاد وبذل الأموال والدماء لتحقيق النصر ، أما طريق الاعتماد على المفاوضات والحلول (السلمية) فقد ثبت أنها ترسّخ الأمر الواقع ، وتضفي على المغتصب شرعية ، وتشجعه على المماطلة ، وتجعله أكثر تشددًا وقسوة ، كما نراه واقعًا حيًّا ملموسًا !

وفي عصرنا الحديث نرى مثالًا واقعيًا رائعًا لانتصار أحد بلاد العالم الثالث « فيتنام » على الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث أصر الشعب الفيتنامي على الاستمرار في الحرب دون الالتفات لموازين القوى العسكرية ، فأذهل العالم بأسره ، وحوّل الهزء والسخرية منه إلى حمامات الدم كما ورد على لسان السفير الأمريكي ، إذ كتب سفير أمريكا في فيتنام حينذاك يقول : (إن ما يحدث الآن قد توقعناه

---

(١) فتحي رضوان (مشهورون منسيون) ص ٤٥ ، (كتاب اليوم) ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م .

وحذَّرنا منه .. إن البعض منا الذي حذر من حمامات الدم .. لم يلقَ إلا الهزء والسخرية ، ولكن الذي نراه اليوم حادثًا .. هو حمام دم ، لا يهم أن نغرق أو نقتل بالرصاص .. ولكن المهم أننا موتى في هذه المنطقة)[1] .

ولم تزل حرب فيتنام حجر زاوية في إشعال الانقسام في المجتمع الأمريكي منذ ذلك الحين[2] .

وهناك مثالان آخران يدلان على قوة الإرادة والعزيمة التي تمضي في طريقها بلا خوف ولا وجل ، أحدهما قيام الهند بثلاثة تفجيرات نووية في تحدي صارخ لأمريكا ، والثاني كيف تجاهلت باكستان الترغيب والتهديد وحذت حذو الهند[3] .

وقبل أن نطوي تلك الصفحات التي تسجل الموقف الشجاع لمصطفى كامل مؤسس الحزب الوطني ، نسجل أيضًا أعمال بعض شباب الحزب قبل حركة ٢٣ يوليو ٥٢ ؛ للتدليل على أن شعب مصر ظل يجاهد جيلًا بعد جيل في سبيل تحقيق حريته والحياة الكريمة على أرضه ، ولنبيّن أيضًا أن هؤلاء الشباب كانوا أقوى شكيمة وأغزر علمًا وأكثر نضجًا في المجال السياسي بالمقارنة بضباط حركة ٢٣ يوليو ، وكان بالوسع الاستفادة من خبراتهم بدلًا من التجاهل والإنكار وطمس التاريخ المشرّف .

يقول الأستاذ صبري أبو المجد : (كان الحزب الوطني يملك العديد من القيادات الطلابية الصلبة التي كانت قادرة على أن تخطب وتكتب وتقود

---

(١) موسى صبري (اعترافات كيسنجر) ص ١٢ كتاب اليوم ، ط ٤ ، ١٩٨١م .

(٢) مها عبد الفتاح (أمريكا نعم .. أمريكا لا .. عشرة اجتماعية وسياسية) ص ٣٠٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩م .

(٣) نفسه ص ٣٥٦ .

المظاهرات [١] ، وللحزب أيضًا قيادات أخرى تعمل سرًا لا يراها أحد ..) ، وفي مقدمة ما يتميز به دعاة الحزب الوطني وقيادتهم أنهم على درجة كبيرة من الثقافة العالية ، يستطيع كل واحد منهم أن يناقش كل القضايا العالمية قديمها وحديثها بوعي عميق وفهم وتفهم رائعين [٢] ، ويعرّفنا ببعض أولئك الشباب ، منهم د. حسن نور الدين (الذي وقف كل حياته على اكتشاف العناصر الوطنية من الشباب المصري وتثقيفهم سياسيًا ووطنيًا ، وتدريب من يجتاز منهم الامتحانات الرهيبة التي يعدها لهم على السلاح [٣] .. وقد حصل على بكالوريوس في الطب والجراحة ودبلوم الدراسات العليا ، والدكتوراه في الطب والجراحة من جامعة ليبج ، ثم حصل على دبلوم في اللغات الشرقية من نفس الجامعة .. كما كان يجيد اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية والتركية والعربية إجادة تامة ، وكان بحق أستاذًا من خيرة أساتذة التاريخ .. لقد كان على معرفة عميقة بكل تاريخ الشعوب وكل حركات التحرير في العالم) [٤] .

ومنهم الأستاذ عبد العزيز علي الذي كان دائم الكفاح والنضال أكثر من نصف قرن ، وكان يُعد بحق رائد العمل الفدائي السري في مصر طوال النصف الأول من القرن العشرين ، وكان أحد قيادات الحزب الوطني المبرزين ، ومنهم أيضًا د. عبد الخالق عنايت (الفدائي الكبير) ، وكان من أكبر أطباء النسا المعروفين لسنوات طويلة ، وهو أحد أفراد أسرة احترفت العمل الفدائي [٥] ،

---

(١) صبري أبو المجد (سنوات الغضب ... مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ٥٢) ص ٥٥ ، دار الحرية بمصر ١٩٨٩م .

(٢) نفسه ص ٥٥ .

(٣) نفسه ص ٥٩ .

(٤) نفسه ص ٦١ ، ٦٢ .

(٥) نفسه ص ٦٤ .

وكان عضوًا في « جمعية التضامن الأخوي » السرية ، وكانت صيغة قسم اليمين عند الانضمام إليها كما يلي : (أقسم بالله العظيم أن أهب نفسي ومالي وما أملك فداء لوطني ، وأن أنفّذ أوامر الجمعية دون تردد بأمانة وإخلاص ، وألا أفشي سرها ، ولا أشرب الخمر ، ولا أغشى الفجور ، وإلّا كان جزائي الإعدام ، والله على ما أقول شهيد) ومن واجبي التعليق على كل ما سبق فأقول : إن استرجاع أعمال أولئك الروّاد يصلح زادًا للشباب المؤمن بربّه والمحب لوطنه ![1] .

(ب) التعريف ببعض قادة الحزب الوطني :

١– محمد فريد : رائد الفكر السياسي الاجتماعي :

آلت زعامة الحزب الوطني إلى محمد فريد بعد أن توفي مصطفى كامل في العاشر من فبراير ١٩٠٨م ، فبدأ أولًا بتهيئة عناصر حركة شعبية واسعة النطاق للمطالبة بالدستور ، وأعلن أنه لا يطلب الدستور من بريطانيا ، وقد تفرّع على هذه السياسة الداخلية أنه اعتبر أن مناط نجاح الحركة الوطنية أن تكون حركة جميع طبقات الشعب ، وأن تتسع للموظفين والطلبة اتساعها للعمال والفلاحين ، وكان لحادثة دنشواي أثر كبير على الحركة التي شبت عن الطوق والتفت إليها وجدان الأمة ، وأفلت بها محمد فريد من سيطرة الخديوي عباس الذي ظن أنها وسيله لمواجهة الإنجليز ، وعندئذ انقلب عليه الخديوي منحازًا للمحتلين ، وشاركهم في مطاردة محمد فريد واضطهاده واضطهاد جرائد الحزب الوطني ومصادرتها[2] ، ثم زُجّ به إلى السجن لمناسبة كتابته لمقدمة قصائد وطنية كتبها

---

(١) نفسه ص ٦٥ .

(٢) فتحي رضوان (مشهورون منسيون) ص ١٨ ، ١٩ باختصار (كتاب اليوم) ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م .

الشاعر علي الغاياتي الطالب الأزهري ، وكتب في هذه المقدمة : (الشعر من أفضل المؤثرات في إيقاظ الأمم من سباتها ، وبث روح الحياة فيها ، كما أنه من المشجعات على القتال وبث حب الإقدام والمخاطرة في الحروب)[1] .

وكان محمد فريد خارج البلاد عندما أعلنت النيابة قرار اتهامه ، فعاد إلى مصر توًّا بلا تلكؤ ... ولما خرج من السجن أعلن أن السجن لم يزده إلا صلابة ... ولم يفت الأستاذ فتحي رضوان التعليق على تلك الواقعة بقوله : (كان حبسه مساهمة اجتماعية ووطنية منه لا تقدر بمال ، فقد كان دخول قاض سابق وابن باشا من كبار الأغنياء ... من أجل أفكار ضمّنها مقدمة لديوان شعر ، تحولًا في حياة المصريين ، جعل العمل السياسي ضريبة فادحة تُؤدّى ، وليس ترفًا ذهنيًّا يستمتع به الذين يمارسونه بعيدًا عن مشاق الميدان)[2] .

وبتعقّب كفاح محمد فريد السياسي تتضح معالم ريادته الاجتماعية ، حيث أسهم في قرارات المؤتمر السنوي للحزب الوطني ، منها إنشاء مدارس الشعب لمكافحة الأمية بتوعيها العلمي والسياسي .

وفيما يلي بعض فقرات من خطاب فريد في الاجتماع السنوي للحزب :

- يجب أن يكون قصدنا جميعًا الوصولَ إلى جعلِ التعليم الابتدائي إلزاميًّا ومجانيًّا لكل مصري ومصرية .

- التعليم الابتدائي وحده غير كاف لحاجات الأمة ؛ فإن الأمم لا ترقى إلا بالتعليم الثانوي والعالي .

---

(١) نفسه ص ١٩ .

(٢) نفسه ص ٢١ .

- لا خلاص لشقاء الفلاح المصري إلا بنشر التعليم الابتدائي، وبتشكيل نقابات زراعية للدفاع عن حقوق الفلاح .

- نقابات العمال قوة هائلة تخضع لها الحكومة وتطاطئ رأسها أمامها .

- الإكثار من المدارس الليلية في المدن والقرى لتعليم المزارعين والعمال [1] .

وهاجر محمد فريد ١٩١٢م إلى تركيا، ثم تركها عقب سيطرة الحكومة العسكرية التي كانت تحكمها حينذاك بزعامة أنور باشا ... سافر إلى سويسرا، ثم انتهى به المطاف إلى ألمانيا ... ولم يترك فريد منبرًا عالميًا حتى ارتقاه، ولا هيئة داعية لنصرة الشعوب والأمم إلا وربط نفسه فيها ... واشتد عليه المرض وأدرك أنها النهاية، ولكنه كان يعتقد أن البذور التي ألقاها مصطفى قبله لابد أن تثمر ... فلما جاءت أنباء ثورة ١٩١٩ (لاحت على شفتي هذا الغريب الغائب عن وطنه وأمته وأهله وزوجته ابتسامة الأمل .. ووجّه لأمته من بعيد أعظم تحية لثورتها) [2] .

ويقول الأستاذ فتحي رضوان : (كافح فريد بكل ما يملك ؛ بقلمه، ولسانه، بجَلَده الذي فاق كل مثل، واحتماله الذي لم يكنْ معينه لينضب ؛ احتمال الفقر، واحتمال الهزيمة، واحتمال المرض، واحتمال الخيانة، واحتمال انفضاض الأنصار طوعًا أو كرهًا) [3] .

وفي ١٥ نوفمبر ١٩١٩ أسلم روحه إلى بارئها، وكأنه بهذه الميتة المؤسية وحيدًا طريدًا شريدًا يؤكد للناس أن خلاصة حياته هي شعاره :

---

(١) نفسه باختصار ص ٢٢، ٢٣ .

(٢) نفسه ص ٢٤ .

(٣) نفسه ص ٢٣ .

« نحن نعرف كيف نصبر على المكاره، ولكنا لا نعرف النزول عن مطالبنا »[1].

رحم الله هذا الزعيم القمة، التي تصلح سيرته – بمبادئه الثابتة وجهاده المتواصل – نبراسًا للأجيال تلو الأجيال.

أما عن المقارنة بينه وبين مصطفى كامل فقد صاغها الأستاذ فتحي رضوان في عبارات موجزة، إذ بينما كان مصطفى كامل ناريًا تتقد شخصيته بلهيب زعامة واسعة الآفاق، كان محمد فريد زعيم الدراسة والبحث والتدبير والتأصيل... كانت حياة مصطفى كامل كالسور القصار في القرآن، آيات قصيرة سريعة... وكانت حياة محمد فريد كالسور الطوال، تفصّل وتشرح وترسي القواعد وتؤصل الأصول[2].

٢ – الشيخ عبد العزيز جاويش (البطل الوطني):

وُلد في بنغازي بليبيا ١٨٧٢م لتاجر من تجار هذا القطر العربي الشقيق الذي هاجر إلى مصر وأقام بمدينة الإسكندرية، ولما بلغ عبد العزيز سن الرابعة عشرة بدأ يتلقى علومه في معهد جامع الشيخ إبراهيم بالإسكندرية، وكان التعليم فيه على نسق التعليم في الأزهر ونظامه، ثم لحق بالأزهر وبعده إلى دار العلوم، ثم درس في مدرسة الزراعة، ثم أصبح مفتشًا للكتاتيب، واختير بعدها لتدريس اللغة العربية بجامعة كمبردج بإنجلترا، حيث أتاحت له فرصة الإقامة هناك الاتصال بالثقافة الغربية ويرى بنفسه رأي العين صور الحياة السياسية بكل خصائصها المميزة من ملك يملك ولا يحكم، وأحزاب تلعب دورًا خطيرًا

(١) نفسه ص ٢٤.
(٢) نفسه ص ٨١، ٨٢.

وحاسمًا في الحياة السياسية ، وصحافة يحسب لها كل الناس ألف حساب ، وندوات للمناقشة الحرة ، ودور غنية تطبع الكتب الحديثة وتحقق وتنشر الكتب القديمة ، وهذا كله في إطار غريب من المحافظة على الماضي والتشبث بجوهره ، مع تطور مستمر لما يستجد من أفكار ووسائل للحياة لا عهد للناس بها [١] .

وقد أفاد الشيخ جاويش من فترتي إقامته ببريطانيا تلميذًا ومدرسًا ، فأتقن اللغة الإنجليزية كواحد من أبنائها ، ثم عرف كيف ينظر الأوروبيون إلى الإسلام ، وماذا يأخذون عليه ، ثم ماذا تكون عيوب المجتمع المصري أو الإسلامي التي تعوق تقدمه .

يقول الأستاذ فتحي رضوان : (وقد بقيت ثمار هذه التجربة زادًا للشيخ عبد العزيز جاويش حتى آخر حياته ، فقد رسمت له منهج عمله ، ووضعت أمامه سبيل كفاحه ، فأصبح داعيًا إلى حرية وطنه ، وإلى تطور التفكير الديني عند مواطنيه ، وإصلاح أساليب التعليم في بلاده ، وإرساء قواعد جديدة للحياة السياسية بها ، تقوم أول ما تقوم على العناية بالعمال والطبقات الفقيرة ، وبإنشاء النقابات لطوائفها ، وإشاعة الثقافة السياسية بين أبنائها) [٢] .

وقد خاض الشيخ عبد العزيز جاويش معارك عدة ، نختار منها الآن معركتين : إحداهما في مجال التعليم ، والثانية معركة الدستور .

أما الأولى فقد وقف في وجه سعد زغلول الذي صرّح بأن يكون التعليم باللغة الأجنبية ، فأصيب الوطنيون بخيبة أمل لهذا التصريح (وابتدأ اللواء يغير موقفه من سعد وأخذ مصطفى كامل يهاجمه) [٣] .

---

(١) نفسه باختصار صفحات ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ .

(٢) نفسه ص ٣٠ ، ٣١ .

(٣) نفسه ص ٣٤ .

وقد تولى الحملة الشيخ عبد العزيز جاويش بسلسلة من المقالات عنوانها « ظلموك يا سعد » وقد ذاع صيت هذه الحملة ، وتداولت الألسن عباراتها ، وكان الشيخ عبد العزيز يعني أن الإنجليز - وعلى رأسهم مستر دنلوب - اتخذوا من اسم سعد ومن شخصه ستارًا يسدلونه على أعمالهم في وزارة المعارف .

ثم دارت المعركة الثانية - معركة الدستور - بين (اللواء) ورئيس تحريره الشيخ عبد العزيز جاويش ، وبين (الجريدة) ورئيس تحريرها أحمد لطفي السيد ، وقد نشبت بسبب تصريح المعتمد البريطاني (جورست) قال فيه : أن بريطانيا لن تمنح مصر دستورًا ، وأنه لا يغير موقفها أن يكون السلطان عبد الحميد - سلطان تركيا - قد منح بلاده دستورًا .

ولم يعجب الشيخ مسلك بعض أعضاء مجلس شورى القوانين ، الذين كانوا يميلون إلى الحكومة كل الميل ، ونهضت جريدة (الجريدة) للدفاع عنهم ، وكان المجلس قد قرر حرمان مندوب جريدة (اللواء) من حضور جلساته ، وأخذ أحمد لطفي السيد يدافع عن مسلك المجلس ويتهم الشيخ بالتهور والعنف ... فالتفت الشيخ وذكّره بمواقفه من مصطفى كامل حال حياته ، ومن تطاوله عليه ، ثم ذكّره بعجزه عن المتهمين الأبرياء في قضية (دنشواي) .. ثم اتسع نطاق معركة الدستور وعمّقها الشيخ عبد العزيز منتهزًا فرصة تصريح شاه إيران حينذاك ومضمونه أن المتعلمين من أفراد شعبه لا يرغبون في مجلس نيابي أو دستور ، وأن علماء الدين قد أفتوا بأن المجلس مخالف للشرع !

وتفجر غضب الشيخ عبد العزيز وكتب مقالًا ورد فيه :

(لم يبلغ الشاه بغيته بما أنزل بأمته من الكوارث الساحقة الماحقة ، فلجأ إلى تلك التكأة التي طالما توكأ عليها ضعاف الإيمان من أمراء المسلمين ، فجمع حوله

من الدين عمائم كالنهائم .. وجبيًا كأنها أوراق الكرنب ، وسبحًا لا تقل حباتها عن بيض الحمام ، وألسنًا لا تريح كاتب السيئات)[1] .

ولم يتوقف الشيخ عبد العزيز جاويش عند ذلك ، فقد خاض أيضًا معركة حرية الصحافة ، وأخذت شكلًا جديدًا ، إذ اعتنقت الجماهير مبادئ الحزب الوطني ، فخرجت جموعها تندد بقانون المطبوعات ، فاضطرت الحكومة لحشد قوات الشرطة بقيادة حكمدار العاصمة البريطاني مستعينة بخراطيم مياه المطافئ ثم بفرقة من فرسان الجيش[2] .

وانتهزت الحكومة فرصة نشر مقاله بمناسبة ذكرى دنشواي ، فصدر حكم بحبسه ثلاثة أشهر ، وأثار الحكم سخط الجماهير وتألفت المظاهرات احتجاجًا عليه .

وكان الاحتلال يأمل في أن السجن سيوهن من عزم الشيخ جاويش ، ويسلمه إلى أسلوب أكثر اعتدالًا ، ولكن السجن وحفاوة الشعب لم يزده إلا إصرارًا ، فانتهزت الحكومة فرصة أخرى وحُكم عليه بالسجن ستة أشهر مع النفاذ .

وكانت هناك معركة كبرى تنتظر الشيخ ، تلك هي معركة القناة ، فقد تفاوضت الحكومة المصرية خلال ١٩٠٩م سرًا مع شركة قناة السويس لمد امتياز الشركة أربعين عامًا بعد نهاية الامتياز المحدد له عام ١٩٦٨م ، مقابل أربعة ملايين جنيه تدفع لمصر أقساطًا .

ووقف الحزب الوطني معارضًا لهذا المشروع مطالبًا بعرضه على الجمعية العمومية - أي المجلس النيابي للبلاد ، واضطرت الحكومة تحت ضغط مقالات

---

(١) نفسه ص ٣٦ .

(٢) نفسه ص ٣٧ .

محمد فريد والشيخ جاويش وباقي الصحف المصرية أن تعرض المشروع على الجمعية العمومية ، فأخذ الشيخ يبصر أعضاءها ويدعوهم إلى الصمود والثبات ، وألا يلقوا بالًا إلى تهديدات الحكومة ووعودها [١] ، وكتب أول مقال في هذا الشأن قال : (يقرأ المصري كل يوم ما تنشره شركة القناة من التقارير الدالة على ما يجني ملّاكها من الغلات العظيمة ، والربح الزائد في كل عام ، فيفكر في نفسه : متى يعود ملك القناة إلى مصر ؟ متى ينقضي أمر امتياز هذه الشركة القابضة على مفتاح هذا الكنز حتى تتمكن مصر من استرداد فيئها المسلوب مع تراثها المنهوب ؟ متى يضاف إلى مالية مصر من غلة هذه القناة عدة ملايين من الجنيهات كل عام ، فتستطيع بذلك أن تقضي من ديونها ، وتصلح من شئونها ، وتعد لنفسها إذا شاءت مالًا يزيدها أمام أعدائها قوة وبأسًا ؟) [٢] .

ودارت المعركة في الجمعية العمومية ، ووقف سعد زغلول - وزير المعارف آنذاك - ليدافع عن امتياز القناة معتمدًا على قدرته الخطابية ، ولكن الجمعية رفضت المشروع بما يشبه الإجماع ، إذ لم يشذ عن الإجماع سوى عضو واحد هو مرقص سميكة [٣] .

وكان غرض الحزب الوطني من إنشاء (مدارس الشعب) توفير الثقافة السياسية والاجتماعية للعمال في المدن ، وقام الشيخ جاويش بتدريس مادة الدين ، كما دعا الحزب إلى إنشاء نقابات للعمال ، وكان باكورتها نقابة عمال المصانع اليدوية التي أُسند للشيخ رياستها .

---

(١) نفسه ص ٤٠ .

(٢) نفسه ص ٤٠ .

(٣) نفسه ص ٤١ .

أما التعليم فقد كان ميدان الشيخ المفضل ، فوضع برامج متقدمة بمعيار الزمان الذي وضع فيه ومعيار زماننا نحن ، فقد اقترح مثلًا إنشاء رياض الأطفال ، وأسماها « بساتين الأطفال » ، وكان شديد العناية بالتعليم الفني الزراعي والصناعي والتجاري [1] .

وكثرت سفريات الشيخ جاويش إلى بلاد تركيا وإنجلترا وألمانيا التي اتسع نطاق الشيخ فيها آملًا أن يجد عند الألمان ما يعين على إخراج الاحتلال البريطاني من مصر ... وقد أصدر في ألمانيا مجلة (العالم الإسلامي) بالألمانية والعربية معًا [2] .

وعندما قامت حركة الانقلاب العسكري بقيادة أتاتورك ، واتضح للشيخ نيته في إنهاء الخلافة الإسلامية وفي إقامة حكم علماني لا ديني في تركيا ، وأدرك أتباعه أن الشيخ لا يقرّهم على أفكارهم ولا يؤيد سياستهم ، فأصبحت حياته في خطر ، ثم عاونه أصدقاؤه للعودة إلى مصر حيث تعرض للاعتقال والسجن بلا دليل يقام ضده ، ولا حجة تبرر حبسه .

وعندما أُفرج عنه عاد ليرأس تحرير جريدة الحزب الوطني ، ولكنه لم يعد قادرًا على مواصلة كفاحه السياسي إذ خرج من السجن مريضًا بعد سنوات من الجوع والتشرد والقلق .. ثم وافاه القدر المحتوم في ٢٥ يناير ١٩٢٩م وهو بعد في الثالثة والخمسين من عمره .

وفي الختام يقول الأستاذ فتحي رضوان : (وقد كشفت وفاته عن ضخامة العمل الذي قام به في كل ناحية من نواحي الحياة في بلاده ، في السياسة والتعليم

---

(١) نفسه ص ٤٦ .
(٢) نفسه ص ٥١ ، ٥٢ .

والإصلاح الديني والكفاح الاجتماعي ، وفي الداخل والخارج ، بالقلم واللسان والتحريض والإثارة ، والتدبير والتنظيم ، والتوفيق والتوجيه .

مات وهو يستعد لاستئناف إصدار مجلة (الهداية) إلى جانب عمله الحكومي ، بعد أن ساهم في إنشاء (جمعية الشبان المسلمين) فكانت أحد آثاره الباقية .. لقد احتمل الشيخ عبد العزيز من أجل بلاده وعقيدته ودينه ما لم يتحمله إلا الأبرار والصديقون)[1] .

رحمه الله رحمة واسعة .

٣ – أمين الرافعي : ثالث ثلاثة بعد مصطفى كامل ومحمد فريد :

كانت شخصية أمين الرافعي من الشخصيات النادرة التي لعبت دورًا هامًا في تاريخ مصر الصحفي والوطني والسياسي .. ولم يكن الحزب الوطني الذي ينتمي إليه – في رأيه – حزبًا سياسيًّا بالمعنى المتعارف عليه ؛ بل كان تجمعًا وطنيًّا يضم جميع أبناء الشعب ، وكل خارج على هذا التجمع يعتبر خارجًا على إرادة الأمة .. وهو الذي جرّأ الصحفيين على الخديوي عباس والسلطان حسين والملك فؤاد بوصفهم ممثلي السلطة التي كان يطلق عليها السلطة الشرعية ، وبنفس القدر جرّأهم على كرومر وجورست وكتشنر وونجت ولويد بوصفهم ممثلي السلطة الفعلية في مصر حينذاك .. وعندما اختلف مع قادة الحزب الوطني واحتكموا إلى محمد فريد في المنفى ، قال : (إنني وإن كنت بعيدًا عن مصر ، ولا أعرف التفاصيل ، إلا أنني أرجح رأي أمين الرافعي وإن كنت لا أراه لأن ثقتي به تجعلني شخصيًّا ولو كنت مخالفًا له في الرأي أتبع رأيه ؛ فهو لا يقول بغير علم ، ولا يقف هذا الموقف إلا وعنده من الأسرار ما يبرر بها موقفه)[2] .

---

(١) نفسه ص ٥٤ .

(٢) صبري أبو علم (أمين الرافعي – شهيد الوطنية المصرية) ص ٣٩ ، كتاب الهلال بمصر يونيو ١٩٨١م .

وتكفينا تلك الشهادة للتعرّف على قدر الرجل وطريقته المثلى في اتخاذ المواقف.

ويقول الأستاذ صبري أبو المجد: (ولقد كان مؤلمًا - بل مخجلًا - أن تظل شخصية أمين الرافعي دون دراسة موضوعية جادة أكثر من أربعين عامًا بينما لعب الرجل دورًا هامًا وخطيرًا في التاريخ المعاصر)[1].

والحق أن أمين الرافعي احتل مكانة مرموقة وذات تأثير بالغ الأهمية في تاريخ السياسة المصرية، وقصة جهاده ذات مغزى كبير في نواحي الحياة بمصر الذاخرة حينذاك بقضايا متشابكة لها آثارها الممتدة حتى عصرنا هذا، وذلك لتشابه الوقائع والأحداث مع اختلاف الدول والأشخاص التي تحتل المسرح السياسي.

وسنقتطف بعض هذه القضايا لما فيها من دروس وعبر تنفعنا فيما نمر به من صعوبات ومشكلات سياسية واجتماعية.

أولاً: اختلاف طريقة التعامل مع المحتل الغاصب بين حزب الوفد بقيادة سعد زغلول والحزب الوطني بقيادة مصطفى كامل، فقد ذهب ثلاثة من زعماء البلاد وهم سعد زغلول وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي في ١٣ نوفمبر ١٩١٩م للمعتمد البريطاني في مصر «ونجت» للحديث معه في مطالب البلاد.

أما أمين الرافعي فقد لجأ للتعبير عن رأيه حيال الاحتلال البريطاني إلى طريقة أخرى غير طريقة مقابلة المعتمد البريطاني، إذ أعد مذكرة سياسية تعد الأولى من نوعها بشأن القضية المصرية، وأرسلها إلى معتمدي الدول الأجنبية في مصر لإبلاغها إلى رؤساء دولهم المشتركة في مؤتمر الصلح، وكان لهذه المذكرة تأثيرها في تنوير الأذهان وتبصير الرأي العام بحقائق قضية البلاد[2].

---

(١) نفسه ص ٤٠.

(٢) نفسه ص ٨٤.

كذلك كان الرافعي – متأثرًا بالزعيم مصطفى كامل – يؤمن بأن شر ما أصاب مصر في قلبها هو الاحتلال البريطاني ، وكان لا يرى من دواء لهذا الداء إلا الجلاء ، فأي لقاء أو اتفاق أو تعاون أو مصالحة مع المحتل بدون الجلاء إضرار بالقضية المصرية ، وأي طريق لا يوصل مباشرة إلى الجلاء طريق لا أمان فيه ولا يمكن لأحد أن يطمئن إليه أو يسير فيه ؛ لأن بريطانيا اغتصبت مصر واحتلتها بالقوة والخيانة والخديعة [1] .

ومات الرافعي ، ولكنه ترك لنا بهذا الموقف زادًا نافعًا يصلح للتعامل به مع استعمار آخر أقسى وأشد ضراوة ؛ أي الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي الذي لا يجدي معه التفاوض والقبول بأنصاف الحلول ؛ لأن الصراع معه صراع وجود لا صراع حدود .

ويصحّ التذكير هنا بموقف آخر مشابه لأحد زملاء مصطفى كامل وهو الأستاذ محمد علي علوبة الذي انفرد بعدّة اقتراحات كوسائل لتحفظ كياننا وتدفع عنا شر الصهيونية ... منها مقاطعة إسرائيل بنزاهة وقوة وإيمان ، والتحذير من الصلح معها حتى لا تتيح لها الفرصة لغزو أسواقنا وسلب أموالنا وإخضاعنا لإرادتها ... ومنها بذل الجهود لتعمير شبه جزيرة سيناء بمشاريع عمرانية وزراعية وصناعية بجلب الماء إليها من النيل أو من الآبار ومن الأمطار والسيول ، مع دفع الكثيرين من سكان المناطق المكتظة كالمنوفية والقليوبية إلى العيش فيها .. [2] .

---

(١) نفسه ص ١٣٩ .

(٢) محمد علي علوبة (فلسطين والضمير الإنساني) ص ١٨٧ وما بعدها إلى ص ١٩٤ كتاب (الهلال) بمصر ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م .

وقد أهدى الكاتب إلى (أرواح شهدائنا الذين رووا بدمائهم ثرى فلسطين ، وإلى الذين أوذوا في حرياتهم أو أجسامهم أو أموالهم) ... وقال : (أقدم كلماتي تقديرًا للبطولة والتضحيات ، وتذكيرًا بمأساة لم تنته فصولها .. =

ولعل نداءه يلقى آذانًا صاغية من حكومات مصر للعناية بشبه جزيرة سينا للأهمية الفائقة لتنفيذ مقترحاته ، مع كفّ الصحافة وبعض الكتّاب عن إطلاق اسم (صحراء سينا) وهو اسم يقلل من شأنها ، بينما سيناء في كتب الجغرافيا هي شبه جزيرة ، وليست كلها صحراء ، وهي تشكّل ثُمن مساحة مصر ، وحلقة الوصل بين المشرق والمغرب في الوطن العربي ، وأساس انفراد مصر بأنها الدولة الأفرو آسيوية الوحيدة في العالم ، وأهم مركز استراتيجي في البحر الأحمر ، وعلى أرض سيناء سيقرر مصير مصر وإسرائيل والوطن العربي كله ... وفي يد من ستكون سيناء ستكون الدولة الكبرى في المنطقة .. وفيها الإمكانيات الهائلة على جميع الأصعدة .. ولا حدّ لما يمكن أن تفجّر أرضها الطيبة عنه [1] .

ثانيًا ، كان من رأي الرافعي أن التحرر يقتضي مواجهة الاستعمار والأسرة الحاكمة معًا ؛ لأن الأسرة المالكة التي كانت تحكم مصر حينذاك لا تستهدف إلا مصالحها الشخصية ، ولما كان الاحتلال البريطاني قد جاء إلى مصر باسم الدفاع عن هذه الأسرة وباسم حمايتها فإنها ستظل ملتصقة بالاستعمار ، معتمدة على قوّاته ... أضف إلى ذلك ظهور قيادات جديدة غريبة عن مجال النضال القومي ، كرجال حزب الأمة الذين كانوا ينعمون طوال مدة الحرب العالمية بصداقة المحتل البريطاني ، وبعض العناصر التي ظهرت في الجمعية التشريعية ورأت الفرصة

= وعلى العرب أن يتخذوا سبيلهم في هذا الكفاح ، وأن يعلموا أن مصيرهم بأيديهم .. فإما بقاء وإما فناء ... وفي الماضي عظات وعبر .. فهل لنا أن نعتبر ؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد : ١١] .

(١) محمد جلال كشك (كلمتي للمغفلين) ص ٤٣١ .

ويضيف : (وهي الحل الوحيد الذي يمنع تحول مصر إلى بنغلاديش ! واقرؤوا غزل إسرائيل فيها !! ويرى أنها تقبل مرغمة الانسحاب من سيناء أكثر من مرة ، ولكنها لا تتخلى عنها أبدًا ؛ لأن هدفها في ضمها يكفل تحولها إلى إسرائيل الكبرى) ص ٣٥٥ من كتابه (ثورة ٢٣ يوليو الأمريكية) ومساحتها تبلغ ضعف مساحة إسرائيل

مواتية لامتطاء موجة الغضب الشعبي ، وقد سهّل لهم هذه المهمة الجديدة اختفاء القيادات الوطنية التي حمل لواءها مصطفى كامل ومحمد فريد ، إذ كانوا إما في السجون أو في المعتقلات أو في المنفى [1].

ويبدو أن هذه الظاهرة ملازمة لتاريخ الثورات ، فما أن تنشب ثورة شعبية - كثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م - حتى تكتسحها ثورة مضادة تركب موجتها الطبقة ذات السلطة والثروة لتستردهما مرة أخرى !

ثالثًا : عبّر الرافعي عن رجل المبدأ في كل سلوكياته ، ومن أهمها أنه احتج عمليًا - دون باقي الصحفيين - بإغلاق جريدة (الشعب) حتى لا ينشر بها إعلان إنجلترا بفرض الحماية على مصر مما حدا بالسلطان حسين كامل إلى استدعائه وأفهمه أن توقف جريدته عن الظهور يعتبر طعنًا في وطنيته .. وعندما انصرف من المقابلة قابله كبير الأمناء وحاول وضع خمسة آلاف جنيه في جيبه بحجة أن حجب الجريدة يرجع إلى نضوب موارده المالية ، فأبى عليه واستمسك بالرفض ، ولم يكن في جيبه آنذاك إلا عشرة قروش ! ... وخرج في ذلك اليوم من سراي عابدين ليدخل ضيفًا على المعتقل لأشهر عديدة مليئة بالاضطهاد والتعذيب والتنكيل [2] .

لذلك حق للأستاذ صبري أبو المجد استخلاص نتيجة مؤداها أن التاريخ عرف صحافة المبدأ أو العقيدة والرأي ، وعرف أيضًا صحافة الأفاعي والقراصنة ومعامل الأكاذيب وأبواق المفتريات وأدوات التشهير (وكما وجد حملة الأقلام الذين يقفون في معسكر الحرية والحق متحملين كل ضغط وإرهاب ، وجد كذلك

---

(١) نفسه ص ١٤١ .

(٢) صبري أبو المجد (أمين الرافعي - شهيد الوطنية المصرية) ص ١١٣ .

من حملة الأقلام من باعوا أنفسهم - بثمن بخس - للشيطان والعبودية والاستغلال)[١].

ونحن نستبدل كلمة (الصحافة) التي كانت البوق الإعلامي الوحيد حينذاك ، بالمحطات الفضائية المعاصرة التي يندر فيها من يتحرى فيها الصدق والالتزام بالمبادئ .

ووقف في وجه أحمد لطفي السيد الذي كتب مقالًا أشار فيه إلى أن (حزب الأمة) ليس حزب شعب ولا حزب جماعات ، فسخر منه الرافعي قائلًا : (كأن جماعات الشعب أحقر من أن تنضم تحت لواء حزب الأمة . لقد فات لطفي السيد أن هذه الجماعات هي عدة الأمم وذخيرتها ، وهي التي قوضت العروش .. وهي التي قضت على السلطات الغاصبة في كل العصور)[٢] ، وانتقد سياسة حزب الأمة وموقف لطفي السيد الذي وصفه بأنه يريد أن يكون إنجليزيًا أكثر من الإنجليز أنفسهم[٣] .

وبعد ، ففي كلمات مختصرة كان الرافعي يؤمن بحق الشعوب في الحرية والاستقلال والتخلص من الحكومات الاستبدادية ، كما كان يؤمن بحرية الشعب في الثورة ضد أي ظلم يقع عليه[٤] .

---

(١) نفسه ص ٤٢ ، ويقول إبراهيم سعده عند وصفه للعصر الناصري : (وصدرت قرارات استثنائية استهدفت تكميم حرية الصحافة والصحفيين المصريين .. ثم صدرت قرارات بتنظيم الصحافة ونقل ملكيتها إلى الدولة إلى الشعب .. كذلك انتشر الضباط في مكاتب دور الصحف والإعلام والإذاعة .. وهم لم يعلموا بالصحافة قبل ٢٣/ ٧ ولم يكتبوا أي شيء من قبل) . (سنوات الهوان) ص١٨٣-١٨٤ .

(٢) نفسه ص ١٤٩ .

(٣) نفسه ص ١٥٠ .

(٤) نفسه ص١٤٨ .

٤ - عبد الرحمن فهمي : القائد الأول لثورة ١٩١٩م خلف الستار :

غاب سعد زغلول الزعيم الرسمي لثورة ١٩١٩م عن مصر عامين كاملين ، وهذان العامان هما فترة الثورة الخصبة ، التي كانت فيها البلاد وحدة متماسكة ، بشعار واحد « الاستقلال أو الموت الزؤام » ، فشب لهيب الثورة واشتد أوارها ، في حين كان زعيمها خارج البلاد يسمع أنباءها كما يسمعها غيره من الناس ، لا يكاد يوجهها ولا يلعب دورًا في كبريات أحداثها .

بعد هذه المقدمة بقلم الأستاذ فتحي رضوان المثيرة للانتباه ، يسأل : فمن يكون إذن قائد هذه الثورة ؟ [1] .

ويمضي شارحًا دور هذا القائد الذي استطاع أن يخلق من جماهير الثورة سيلًا متدفقًا يكتسح في طريقه كل العوائق الموروثة : الخوف من السلطة ، وكراهية العمل الجماعي ، وتهيب الكفاح السري ، والعجز عن كتمان أسراره ، وسوء تجنيد الشباب ونقص تدريبهم على الانتقال من مكان إلى مكان لإذاعة الشعارات وأوامر العمل اليومي ! فمن الذي قام بهذا العمل الضخم الباهر الذي تعددت مظاهره ، والذي سرت فيه روح مصر جلية معلنة عن نفسها بعد طول الاختفاء ، منذ تشييع جثمان بطل الوطنية المصرية الشاب مصطفى كامل في ١١ فبراير ١٩١٨م ، ثم بعدها معركة حرية الصحافة في الحادي والثلاثين من مارس ١٩٠٩م وما بعدها من الأيام ؟

إن هذا القائد – عبد الرحمن فهمي – أوحى إلى الشعراء بتنظيم القصائد ، وصاغ الشعارات ووضعها على ألسنة قادة المظاهرات ، وطبع المنشورات في الليل

---

(١) فتحي رضوان (مشهورون منسيون) ص ٥٥ ، ٥٦ .

الساكن ووزعها في رابعة النهار على مرأى ومسمع من جنود الشرطة وعساكر بريطانيا لابسي الخوذات الحديدية وحاملي السيوف والرماح .

حقًا إنه بطل ثورة ١٩١٩م الذي نسي اسمه في غمار الأحداث الكبرى ، وكان شأنه شأن جميع الأبطال الحقيقيين في الهبّات الوطنية ، ففي خلف هذه الحركات العنيفة يقبع رجل ذو إرادة حديدية ، زاهد في الظهور ، بارع في التدبير ، فيه من مزايا الزعماء البديهة الحاضرة ، وتنقصه بعد ذلك موهبة الكلام ، ومواجهة الجماهير ، والمرونة التي تيسر المناورة والمداورة .

ويسترسل الأستاذ فتحي رضوان ليجلي لنا سيرة هذا القائد الذي لم ينصفه التاريخ ، ثم يستطرد قائلًا : (كذلك بقي بطل ثورتنا مجهولًا حتى في الوقت الذي كانت يداه تجمعان خيوط العمل الثوري ، فلم تهتف باسمه المظاهرات ، ولم ترفع لشخصه الصور ، ولم تتجه إلى بيته أو مكتبه الجماهير ، فهو لم يفكر في شيء من هذا ، ولو فكر فيه لما كان بطل ثورة ١٩١٩م ، ولظهر على المسرح بكل أضوائه ، ولعجز عن التدبير الهادئ الصامت) [١] .

ويبدو أن الاستعمار البريطاني أراد التخلص من عبد الرحمن فهمي حيث لفّق له قضية (المؤامرة الكبرى) ، ونُسب إليه وزملائه في جمعية تسمى (الانتقام) وكان غرضها خلع السلطان والتحريض على ارتكاب جرائم الاغتيال ..

---

(١) نفسه ص ٥٦ ، ٥٧ ، قارن ذلك بالغلو في شخص سعد زغلول الذي كان في ريف مصر ومدنها أشبه بالمعبود : يولد الطفل وهو يهتف بحياة سعد ، ينزل العجل من بطن أمه قائلًا : سعد ، سعد ، حتى أوراق الفول والتوت والقطن وبقية المحاصيل الزراعية تظهر وعليها عبارات عاش سعد ، عاش سعد ، إلى غير ذلك من الترهات والأكاذيب .

المصدر : صبري أبو المجد (أمين الرافعي) ص ١٧٨ .

وقد أدرك المصريون أن القضية لم تخلق إلا بقصد منع نشاط هذه الجماعة من الشباب ، والحيلولة بينها وبين تنظيم العمل الوطني ، ثم إلقاء الرعب في قلوب المصريين .

ثم حكمت المحكمة العسكرية برئاسة الجنرال (صولون) على عبد الرحمن فهمي بالموت .. وقد زاد هذا الحكم من قدره أمام الشعب ، فقد ثبت للمصريين أن جهاده وضع عنقه في حبل المشنقة .. وبقي في السجن سنتين حتى أفرج عنه في أكتوبر ١٩٢٤م [١] .

وأخيرًا ، تمزقت الحركة الوطنية بسبب الخلاف بين سعد وعبد الرحمن فهمي ، ومال عبد الرحمن إلى الاعتقاد بأن المسئول عن تشويه هو سعد ولذلك تأثرت العلاقة بينهما ، ورفض سعد ترشيح عبد الرحمن للانتخابات التي جرت ١٩٢٦م في أعقاب مقتل السردار لتصفية آخر ثورة ١٩١٩م [٢] .

وعند التقائهما ، احتدّ عليه سعد زغلول وأصر على عدم ترشيحه للانتخابات ، فقال له عبد الرحمن : وأين عملي ؟ وأين تضحيتي التي ضحيت بها في السجون ؟ فأجاب سعد : احتكم للأمة .

فقال عبد الرحمن : (إنني لا احتكم إلى أناس لا يعرفون حقيقة أعمالي وخدماتي التي قدمتها للقضية الوطنية ، وتلك الأعمال لا يعرفونها بجملتها سواك ، ولهذا فإني سأحتكم إلى التاريخ ، وقام غاضبًا [٣] .

---

(١) فتحي رضوان (مشهورون منسيون) ص ٧١ ، ٧٢ باختصار .

(٢) نفسه ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٣) نفسه ص ٧٥ .

وهنا يقول الأستاذ فتحي رضوان : (والحق أن المرء ليتساءل عن ماذا كان يحدث لو أن ثورة ١٩١٩م التي ثبتت تلقائيًا بلا زعامة أو زعيم في مارس ، فحملت لواءها جموع الفلاحين بعنف وضراوة واستبسال روّع =

وبدورنا نحتكم إلى مفسّري التاريخ ، ونطالبهم بإزالة الالتباس للأجيال الجديدة للتمييز بين الزعماء الحقيقيين الذين قضوا حياتهم في الجهاد الدائم وتعرضوا للتشريد والسجون والموت ، وبين غيرهم ممن جنوا الثمار وهم يجلسون على مقاعد الرئاسة وتحيط بهم هالات الزعامة من المنافقين حولهم ، فتصفّق لهم الجماهير وتحملهم على الأعناق !

= خصومها وأربكهم ، في حين أذهلت الزعماء المصريين أنفسهم إلى حد أن أول نبأ وصل إليهم في مالطة أحزن سعد زغلول ، إذ خيل إليه أن هذه الاضطرابات مدبرة وأنها ثمرة لدسائس الإنجليز للتأثير بها على الرأي العام العالمي بإظهار مصر في ثوب أمة تسلك مسلك العنف في المطالبة بحقوقها ، وأن ثورتها ليست ثورة أحرار بل ثورة مخربين وسفاكي دماء وقتلة ، ويتساءل المرء ماذا كان يحدث لو لم يُقيِّض لهذه الثورة رجل كعبد الرحمن فهمي استمر طوال سنتين يدفع بها إلى الأمام بحكمة ودراية ، وثبات وشجاعة ، مع عناية شاملة للتفاصيل والجزئيات إلى جانب المبادئ العامة والكليات ؟) ص ٧٠ .

ويقول أيضًا نقلًا عن العقاد بكتابه عن (سعد زغلول) :

(جلس سعد وأصحابه الثلاثة في طريقهم إلى المنفى يتساءلون هل تملك البلاد أسباب الثورة ؟ وهل تقوى القادة العسكرية على كظم النفوس طويلًا بعد هذه الضربة ؟ وكان من رأي سعد أن الثورة عمل شاق على بلد أعزل مرهق بالأعباء مشحون بالجند والسلاح والأرصاد .

وهكذا نشأت الثورة – كما يصفها الأستاذ فتحي رضوان – « يتيمة » ، فنشأت في حجر من لم يفكروا فيها ولم يحتسوها ، بل في حجر من كرهوها ، ولكنهم اضطروا أن يتبنوها ، ففعلوا كارهين وبعدوا عنها ماديًا بعد أن كانوا بعيدين عنها روحيًا) .

ويفسّر ذلك بأنه لم يكن من مصلحتهم كطبقة مترفة انقلاب الوضع في مصر بحيث تعلو كلمة الفلاحين والعمال والطلبة والمحامين على كلمتهم ، وبحيث يفرض عليهم أن يصدُّوا هذه الجموع التي ألفت الخضوع وتلقي الأوامر .

ويقول : (ومع ذلك فإن هذا « اليُتم » ذاته منح هذه الثورة قوة ، فقد تركها لنفسها ، فتحررت من هذه الزعامة أولًا ، ثم أثرت في هذه الزعامة ثانيًا ، فقد ورّطت الثورة زعماءها فيما كان لا يخطر لهم على بال من المواقف والتصريحات والأفعال ، ولما كانت هذه الثورة قوية في ذاتها وفي غير حاجة إلى وليّ أو وصيّ فقد خلقت لنفسها بنفسها زعيمًا ... وكان هذا الزعيم هو عبد الرحمن فهمي) ص ٦٣ .

وبعد ، فقد أدّينا بإيجاز بعض حقوق هؤلاء الرجال علينا ، حيث عُرفوا بنضج الآراء والإخلاص في الأقوال والأعمال ، وهم الذين ينبغي أن يُتخذوا أسوة في جهادهم وصمودهم للأجيال الشابة ولاستلهام خبراتهم في استنهاض الهمم والاستمساك بالحقوق والدفاع عنها كاملة ، لا القبول بأنصاف الحلول والتعايش مع المحتلين وقبول الفتات على موائد المفاوضات ، وقد أثبتوا بأن اختيارهم الشاق كان هو الطريق الأفضل للحصول على الاستقلال وإرغام الإنجليز على الجلاء الذي تأجّل – بسبب المفاوضات والمساومات – لعشرات السنين[1] .

ونوصي الباحثين والكتاب والمؤرخين الإفاضة في دراسة سيرهم وتكثيف المؤلفات عن أعمالهم ومؤلفاتهم ونظرياتهم ، وهي في مجموعها تنير طريق الشباب إلى النهضة المرتقبة ، بدلاً من الدوران حول زعامات مصنوعة بواسطة الإعلام المضلل !

٢ – حزب مصر الفتاة ومؤسسه الزعيم أحمد حسين :

قليل من جيلنا المعاصر من يعرف شيئًا عن حزب (مصر الفتاة) ومؤسسه « أحمد حسين » ، مع أنه يحتل مكانة بارزة في مجالات : السياسة ، والاجتماع ، والإصلاح ، والتربية ، بمصر أثناء الحكم الملكي ، وكانت له مواقف بطولية لإجلاء الاستعمار البريطاني عن مصر ، ومواقفَ أخرى لا تقل بطولة في معارضة الملك « فاروق » والكشف عن فساده وظلمه ، بلغت حد الهتاف بسقوطه بواسطة شباب الحزب ، وبذلك فإنه أسهم إسهامًا فعّالًا في إعداد شعب مصر للثورة عليه عام ١٩٥١م ، وقبل حركة انقلاب الضباط في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م .

---

(١) وضح رأي أمين الرافعي ، وفحواه : أن أصحاب العقائد يظلون محتفظين بها ، متمسكين بمبادئهم ، قابضين عليها – كالقابض على الجمر – وكم ذهب أمثال هؤلاء ضحية تمسكهم بمبادئهم ، فكانوا بمثابة وقود لإشعال وإضاءة النهضات الكبرى) صبري أبو المجد (أمين الرافعي) ص ٩٩ .

وستقيد في حديثنا بتناول برنامجه الإصلاحي للنهوض بمصر، وأهدافه السياسية والاجتماعية، ونبدأ بكلمة عن مؤسس الحزب الزعيم «أحمد حسين»، وهو - بالمناسبة - يستحق وصف الزعامة بحق، فقد منحه الله - تعالى - (إمكانيات فردية فذة، وقدرات عجيبة على الخطابة والكتابة، والتحريض السياسي والإعلامي، وكان يشبه في سلوكه الشخصي عبد الله النديم، ذلك الزعيم الوطني الفذ الذي فجّر الثورة العرابية) [1].

شخصية أحمد حسين:

وقد لوحظ تديّن «أحمد حسين» منذ نعومة أظفاره، إذ تمثل نشاطه الديني المبكّر في تأليفه «جمعية نصر الدين الإسلامي» وهو ما زال طالبًا في المدرسة الابتدائية، وقد ظلت صفة التدين والاهتمام بالدين «تلازمه حتى إنه كان دائم التردد على «جمعية الشبان المسلمين» في مطلع الثلاثينيات وقبل ذلك بقليل، يلقي المحاضرات، ويشترك في المناظرات حول الدين الإسلامي والإسلام عامة، ومجد الإسلام وحضارته» [2].

وقد علّق الدكتور «علي شلبي» على ذلك بقوله: «ومن الواضح أن هذا الاتجاه الإسلامي لدى أحمد حسين، يعد انعكاسًا لطبيعة المجتمع المصري، فهو مجتمع ديني تجد الدعوة الدينية فيه آذانًا صاغية، فإن للأديان تأثيرًا قويًا على الجماهير في أية أمة من الأمم، فكانت الرابطة الإسلامية رابطة قوية تربط المسلمين معًا، وقد برزت الحاجة إلى تقوية أواصرها في صورة «الجامعة الإسلامية» كرد

---

(١) مقال بعنوان: (رجال صدقوا: أحمد حسين ... الزعامة بالفطرة) جريدة الشعب التي تصدر عن حزب العمل بمصر من جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ - ١٥ مارس ٢٠١٣م، صفحة ٤.

(٢) د. علي شلبي (مصر الفتاة - ص ٢٧٦ ودورها في السياسة المصرية).

فعل لوقوع معظم الدول الإسلامية تحت يد الاستعمار ، وتزايد المد الاستعماري الغربي للدول العربية والإسلامية »[1] .

وسنرى كيف احتلت هذه الفكرة مكانًا بارزًا من اهتمامات حزب مصر الفتاة .

ولد « أحمد حسين » في ١٩١٠م ، فهو من هذا الجيل الذي تفتح إدراكه على ثورة ١٩١٩م ، وعلى جموع المصريين تواجه رصاص الإنجليز – أقوى دول الأرض حينذاك – وهي تهتف : « تحيا مصر » و« الاستقلال أو الموت » .

وما كادت العشرينيات تنتهي حتى بدأ « أحمد حسين » ورهط من الشباب نشاطهم السياسي بما سُمّي بحركة : (مشروع القرش) على أساس التجييش القوي للمصريين بأن يسهموا بالتبرع في بناء الصناعة الوطنية ، وكان هذا التصنيع كما يقول الأستاذ « طارق البشري » - رغم مثاليته - : « إرهاصًا تقدّم به الشباب ، بأن الاستقلال السياسي لابد أن يقوم على قاعدة من الاستقلال الاقتصادي والصناعة الوطنية »[2] ولبيان دور مصر الفتاة في تاريخنا المعاصر يقول الأستاذ « طارق البشري » : « وإن المطالعين للتاريخ المصري قد يلحظون صلة استمرار تاريخية بين الحزب الوطني على عهد مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وبين مصر الفتاة ، ثم ضم مصر الفتاة وحزب مصر الاشتراكي والحزب الوطني الجديد في الأربعينيات الذي قاده فتحي رضوان ، ولعلهم أيضًا يلحظون الصلة التاريخية وروابط التأثر بين هذا التيار التاريخي وبين السياسات التي بلورتها ونادت بها (ثورة) ٢٣ يوليو ١٩٥٢م من بعد ، وكان من رجال (الثورة) مَن سبق أن اندرج في حركة شباب الثلاثينيات من قبل ، وتشكلت عن وفْقِها نظرته السياسية »[3] .

---

(١) نفسه ص ٢٧٧ .

(٢) طارق البشري (شخصيات تاريخية) ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ، كتاب الهلال بمصر العدد ٥٥٢ ديسمبر ١٩٩٦م .

(٣) نفسه ص ٢٩٨ .

ونحن نستخلص من ذلك أن حركة الضباط لم تصدر من فراغ ، ولكنها أفادت من حركات سياسية نشِطة قبلها ، ولكن مع الأسف من الكُتّاب والصحفيين والمؤرخين (المنافقين) مَن أنكر ذلك ، وزعم أن حركة ٢٣ يوليو هي وحدها المبتكِرة للشعارات التي رفعتها ، ومِن ثَمَّ فقد أسهم أولئك المنافقون في إسدال الستار على مشاريع النهضة التي قام بها الزعماء والشباب ، والجمعيات والأحزاب من قبل ، ومِن ثَمَّ أسهموا في نشأة أجيال تجهل تاريخها الحقيقي فأصبحت مشتتة الفكر ، ومهيئة لعمليات غسيل المخ التي عملت على تجهيلها بتاريخها الإسلامي ، واستطاعت بذر مفاهيم العلمانية والفلسفة الماركسية ، وتأسيس مشاريع نهضة خارجة عن التصور الإسلامي وقيمه ، بل معاديةً له !

وسنختصر الحديث عن حزب مصر الفتاة[1] بحيث يقتصر على عرض برنامجه وأعماله التي أسهم بها في قضايا الأمة ، وجهوده في مقاومة الاستعمار البريطاني ، والوقوف في وجه النظام الملكي ، والأحزاب السائرة في ركابه حينذاك ، ثم موقفه المشرِّف من نكبة فلسطين .

ولنبدأ ببيان كيف برز الاتجاه الإسلامي على ما عداه في حياة مصر الفتاة للأخذ بالمبادئ الإسلامية ، ثم سعي الحزب إلى تغيير اسمه إلى « الحزب الوطني الإسلامي » عام ١٩٣٨م ، وحينئذٍ سعى « أحمد حسين » إلى تفعيل هذا التغيير حيث سار في طريق الوحدة العربية كوسيلة لتحقيق الجامعة الإسلامية يقول « أحمد حسين » : « واليوم بدأتُ ألمس بيدي طريق الحياة لمصر وللبلاد العربية

---

(١) يُنظر تاريخ ظهور الاسم قبل « أحمد حسين » ص ٥٧ من كتاب د. « علي شلبي » (مصر الفتاة..) ، وخاصة في قول الزعيم الشاب « مصطفى كامل » : « أريد أن أوقظ مصر الهرمة ، مصر الفتاة ... ثم استخدم على لسان أحمد حسين ١٩٢٩م ، ص ٥٨ .

والإسلامية ، وأن ذلك كله يتحقق في بعث الإسلام والتعاليم الإسلامية ، واتخاذها أساس الحياة » [١] .

ويتضمَّن البرنامج الجديد للحزب المعلن ١٩٤٠م النص داخليًّا على ضرورة أن تستمد قوانين البلاد كل أصولها من الشريعة الإسلامية أو بما لا يتعارض معها ، كما نص على أن يكون نظام الحكم دستوريًّا طبقًا لقواعد الإسلام ، بحيث يتمتع الناس بالحرية الحقيقية ، والمساواة ، والشورى .

ونص البرنامج الجديد خارجيًّا على تحرير مصر والسودان ، وتحقيق الوحدة العربية ، ورسم الخطوط لتحقيق الجامعة الإسلامية ، وإحياء مجد الإسلام ونشر رسالته في أرجاء العالمين [٢] .

واهتمت (مصر الفتاة) كذلك بالقضايا الاجتماعية ، وكانت تهدف إلى إزالة كل أسباب التدهور الاجتماعي والاقتصادي ، واهتمت بنشر التعليم والثقافة ومكافحة البطالة ، ومحاربة الامتيازات الأجنبية ، وتناولت مشاكل الفلاحين والعمال ، وبعض الأمراض الاجتماعية : كالأمية ، والجهل ونص البرنامج الاجتماعي على تنظيم التأمين الاجتماعي لكل أفراد الأمة ، كما شغل اهتمام مصر الفتاة قضية المرأة ؛ إذ رأت أن مشاركة المرأة في كفاحها أمر ضروري [٣] .

ومن أجل تحقيق العدالة الاجتماعية تبنّى « أحمد حسين » فكرة (الثورة) ، وكان يهاجم النظام البرلماني المصري الذي كان يسيطر عليه مجموعة من الأعيان

---

(١) د. علي شلبي (مصر الفتاة ودورها في السياسة المصرية ١٣٩٩ - ١٩٤١) ص ١١١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م .

(٢) نفسه ص ١١٣ .

(٣) نفسه ٢٨٩ - ٢٩١ .

والأغنياء والمحامين ، وكان يَسْخَر من وصف هذا النظام بالديمقراطية الذي هو أبعد ما يكون عن الديمقراطية الحقيقية ، والأوْلى وصْفه بالدكتاتورية [1] .

وفي الفترة التي تصاعدت فيها حركات التمرد الوطني في بلدان آسية وأفريقية ضد الاستعمار ، ونمت فيها ثورات ترفع لواء الاشتراكية ، أصدر « أحمد حسين » برنامجًا جديدًا عام ١٩٤٨م لمصر الفتاة ، ثم عاجله ١٩٤٩م ببرنامج آخر (تضمن ما استقر عليه من مبادئ وأهداف تحت اسم « حزب مصر الاشتراكي » ... وطالب بتحديد الملكية بخمسين فدانًا ، وتوزيع الزائد على صغار الفلاحين ، وتأميم مصادر الإنتاج الكبرى والصناعات الرئيسية) [2] .

٣ - الزعيم مصطفى النحاس :

وبطريقة أخرى مشابهة أنكرت حركة يوليو ١٩٥٢م جهود الزعيم مصطفى النحاس - رئيس حزب الوفد المصري - التي كانت له سياسات وطنية مشهورة ، لعل أبرزها قبل ٢٣ يوليو ٥٢ إلغاء معاهدة ٣٦ في عام ١٩٥١م فأفقد الاحتلال

---

(١) نفسه ص ٢٩٣ ، وكما وقف معارضًا لتلك الديكتاتورية ، تصدّى لعبد الناصر أيضًا عندما أعدم عبد القادر عودة لأسباب واهية فوقف مدافعًا عنه عندما قابل عبد الناصر الذي أفحمه فقال في نهاية المرافعة : (والله يا أحمد نحن لم ننظر للأمر من الناحية القانونية ، بل نظرنا إليه من الناحية السياسية) ، فعلّق أحمد حسين على ذلك بقوله : (غادرت مِصر إلى السعودية وأنا لا أكاد أصدق أنني هربت من الجحيم الذي أصبح الأبرياء فيه يُعدمون لأسباب سياسية) !

المصدر : مقال بقلم صافي ناز كاظم بعنوان : (هدى جمال عبد الناصر بأبيها معجبة : لا بأس بس بالمعقووووول !) ، ويُلاحظ أن حرف الـ (و) مكرر قصدًا سخريةً من الكاتبة الفاضلة ؛ لأنها تعلّق على قول هدى عبد الناصر بفقرتها التالية : (ويعتقد جمال عبد الناصر أنه يجب الاعتماد على الأسلوب الديمقراطي في حل التناقضات داخل الشعب ، فلا يمكن أن تؤدي مهمتها إلا بالاعتماد على جماهير الشعب) !!! مجلة (المصور) العدد ٤٥٦٥ بتاريخ ٤/ ٤/ ٢٠١٢م ، الصفحة الأخيرة .

(٢) طارق البشري (شخصيات تاريخية) ص ٢٩٤ .

البريطاني شرعيته ، وسماحه للفدائيين بقتال الإنجليز على ضفاف قناة السويس ، وتشجيع العمال المصريين على الانسحاب من العمل بالمعسكرات هناك [١] ، وغير ذلك من الأعمال التي تسجِّل للوفد المصري برئاسة « النحاس » في الجهاد ضد الاستعمار ، ومواقفه إزاء قضية فلسطين .

يقول الأستاذ « طارق البشري » : « كان موقع حزب الوفد على رأس الحركة الوطنية المصرية ، وجهاده ضد الاستعمار يزيده مع الوقت قربًا من حركات التحرر في البلاد المختلفة ، وفي العالم العربي خاصة . وكان بشعبيته سريع الاستجابة لمشاعر الجماهير العاطفة على قضية فلسطين والمستفزّة في حادث البراق . كما اشترك في المؤتمر العربي الذي اجتمع بعد المؤتمر الأول ، وتبنى الوفد في المؤتمر الأول وجهة النظر الدينية الإسلامية ، كما تبنى في المؤتمر الثاني وجهة النظر القومية العربية . وألقى « عبد الرحمن عزام » ممثل الوفد رسالة النحاس إلى المؤتمر باسم

---

(١) وقد كان لحركة الفدائيين أثرها الفعال في إقناع الإنجليز بصعوبة البقاء في مصر أمام ثورة الشعب العارمة ، فكان لابد من قرار الجلاء الذي اقتطفت ثمرته حركة ٢٣ يوليو ونسبته زورًا إلى نفسها !

أما الحراك الشعبي الهائل فقد تمثل في المظاهرة الكبرى عقب إلغاء المعاهدة في القاهرة ، وامتلأت بالجماهير الشوارع والميادين ولم يُعرف لها أول من آخر . وقدرت وزارة الداخلية عدد المتظاهرين في القاهرة (خلاف المتفرجين على الأرصفة) بمليون شخص ، واستحال تعداد الطوائف المشتركة فيها ... وتساقطت على المتظاهرين المنشورات الثورية ، وارتفعت اللافتات التي قدرت بعشرة آلاف لافتة كتب عليها : « يسقط الدفاع المشترك » ، « الوساطة الأمريكية خدعة » ، « عمال القنال فداء للوطن » ، « الإفراج عن المسجونين السياسيين » ، « نؤيد إيران » (بمناسبة تأميم مصدّق للبترول) ، « يسقط الاستعمار » ، « الموت للخونة » إلخ ... وكان على رأس المظاهرة « مصطفى النحاس » وبجواره « علي ماهر » ، وسار فيها رجال الحكومة ، ورجال الدين ، والقضاء ، والجامعة ، والعسكريون ، والمحامون ، والصحفيون ، والأطباء ، والمهندسون ، والمعلِّمون ، وسائر المهنيين . كما حضرها ممثلون عن الدول والشعوب العربية والسودان وغيرهم ، وكان حجمها الأساسي من العمال والحرفيين ، ومعهم الطلبة .

طارق البشري (الحركة السياسية في مصر ..) ص ٤٩٠ .

مصر والوفد ، كما انتخب ممثل الوفد في عضوية اللجنة التنفيذية والسكرتارية العامة للمؤتمر ، وكان من أهم القرارات التي اتخذت الدعوة إلى توحيد البلاد العربية ، واستنكار تجزئة فلسطين ، وتأسيس مصرف عربي لمنع بيع الأراضي إلى اليهود ، وإنشاء جامعة عربية بالقدس »[1] .

خلاصة القول : إن القائمين على حركة ٢٣ يوليو لم يقدّروا السياسات الوطنية التي اتبعها وأرسى أسسها وعمّق أصولها – قبلهم بزمن طويل – « زعيم لمصر سابق التفت عليه جماهير الشعب المصري ، وأسلمته قيادها مطمئنة لأمانته وصلابته ، وحسن تمثيله ؛ لما دعا إليه من أصول تتعلق بالاستقلال والديمقراطية ، وبقي على رأس حركة هذا الشعب خمسًا وعشرين سنة »[2] .

ومن مواقف زعامته الشجاعة التي سجّلها له التاريخ بأحرف من نور ، أن الإنجليز طلبوا إليه اعتقال الإمام « حسن البنا » فقابله « واستمع لحديثه الديني الروحي الذي صادف هوى لديه ، وعرف منه أنه وأنصاره لا يبغون إلّا استقلال البلاد ، فنصحه النحاس ألا ينشط أتباعه ضد أية جهة حتى إذا حان أوان الجهاد ، كنت معك ومؤيدك في سبيل الكفاح لإعلان كلمة الله »[3] .

ومن مواقف النحاس التي تُحسب له أن « الاتحاد الصهيوني » طلب منه عام ١٩٤٤م الاعتراف بالاتحاد كممثل للشعب اليهوديّ في مصر ، فطلب النحاس من وكيل وزارة الداخلية استدعاء زعماء الاتحاد وإبلاغهم رفض الحكومة لطلبهم ،

---

(١) طارق البشري (الحركات السياسية في مصر ...) ص ٢٤١ .

(٢) طارق البشري (شخصيات تاريخية) ص ٢١٠ .

(٣) نفسه ص ٢٠٧ / ٢٠٨ ، ويقول الأستاذ البشري متحسّراً : « تقرأ الصفحات الأخيرة وترى هذا الذي ملأ دنيا المصريين وشغل الناس ، معزولًا لا يرى إلا أفرادًا قليلين ... وقد تجاوز الثمانين) ص ٢١٠ .

بل إنها قررت وقف نشاطهم [1].

ويبدو أن حركة ٢٣ يوليو أدركت – متأخرة – أنها أخطأت في حق « مصطفى النحاس » حيث تنبهت إلى ضرورة اكتساب تأييده لما يُمثله من شعبية ، وذلك عقب انفصال سوريا عن مصر عام ١٩٦٢م ، إذ أوفدت إليه « طه حسين » برسالة لتأييدها (فأجاب النحاس برد طويل عما فعلته « الثورة » معه ، وأنهى حديثه بطرد طه حسين من منزله !) [2].

ومعرفة دور الزعيم « مصطفى النحاس » عقب إلغائه معاهدة ١٩٣٦م عام ١٩٥١م كتذير لثورة شاملة يحتاج إلى دراسة متأنية ؛ لأنه كان حينذاك يقود ثورة شعبية حقيقية ، وهذا ما دفعه – عند أول لقاء له مع محمد نجيب عقب انقلاب يوليو ٥٢ – إلى القول بثقة واعتزاز : (أنت قائد مائة ألف ، وأنا زعيم عشرين مليونًا).

وهذا يدل في رأي الأستاذ « محمد جلال كشك » (أن هذه الواقعة تؤكد مدى الثقة بالشعب والتقدير الحقيقي لمركز قوة الانقلاب ، ومدى اقتناع زعيم الوفد بمصدر قوته ، وحجم هذه القوة ، ورفضه أو استحالة تصور تنازله عنها ... وأيضًا مواجهتهم علنًا ، وأنهم رغم دباباتهم لا يمثلون الشعب ... ولا يعطيهم الانقلاب حق ادعاء قيادته) [3].

---

(١) جريدة (الشعب) القاهرية في ٧ ذو القعدة ١٤٣٤هـ – ١٣/٩/٢٠١٣م .

(٢) نفسه ص ٢٠٩ ، إن تأخر سعي حركة يوليو للمصالحة مع مصطفى النحاس حتى ١٩٦٢م – أي بعد عشر سنوات كاملة – تحتاج إلى وقفة ، وربما كانت واقعة انفصال سوريا عن مصر حينذاك التي كانت قاصمة الظهر « لعبد الناصر » حيث اهتزت زعامته وأحس بفقدان شعبيته ، فلجأ إلى النحاس لعله يعوضه ما فقده ، هذا هو التفسير النفسي . والله أعلم .

(٣) ثورة يوليو الأمريكية (علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية) ص ٩٨ ، محمد جلال كشك ، الزهراء للإعلام العربي بمصر ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

ويذكر الأستاذ « جلال كشك » عند حديثه عن الثورة الوطنية التي اكتملت أركانها قبل الانقلاب عام ١٩٥١م أنها أزعجت السفير الأمريكي كافري حينذاك ، إذ أخذ يحذر حكومته من ثورة لا تبقي ولا تذر ، يقودها تحالف من الوفد والإخوان والشيوعيين ... واقترح إجهاض الثورة المتجمعة في الأفق ، وأنه لابد من قوة جديدة لها من الشعبية ومن الفجور ما يمكنها من ضرب الوفد والإخوان والشيوعيين ، وفرض التسوية التي تقبلها جميع الأطراف المعنية بإبقاء وحماية المصالح الاستعمارية في الشرق الأوسط .. وأخيرًا إطلاق يد الولايات المتحدة لتجربة أساليبها ، ووضع هذه القوة الجديدة في السلطة ، وهذا ما حدث بانقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢م)[1] .

والنظرة المتأنية الفاحصة للمجتمع المصري اقتصاديًا ، وسياسيًا ، وتعليميًا ، وثقافيًا ، تؤيد النتيجة التي خلص إليها الأستاذ « جلال كشك » بدراسته الوثائقية بأن انقلاب يوليو ١٩٥٢م كان بمثابة حركة مضادة للثورة الوطنية المصرية حينذاك ، فيقول : « وقد أسهبنا في حديث الثورة الوطنية لنكشف لماذا كان انقلاب يوليو تعبيرًا عن إرادة القهر الاستعماري لسحق الثورة ، سحق الرأسمالية الوطنية في مصر والوطن العربي كله .. تسليم مصر والوطن العربي مرة أخرى للإنتاج الأجنبي سوقًا مفتوحة بلا مقاومة أو قوة قادرة وصاحبة مصلحة في المقاومة .. وقد حقق عبد الناصر ذلك بالتأميم والمصادرات التي كانت صريحة في استهدافها القضاء المبرم على الرأسمالية المصرية ، ووأد محاولة إقامة اقتصاد عربي موحد ... كما دمّر عبد الناصر القيادة الفكرية والسياسية بالاستبداد والإرهاب ، وإفساد التعليم على نحو لم ينجح استعمار بربري في إلحاقه لعدو لدود تمكّن منه ...

---

(١) نفسه ص ١١٦ .

فلما هُزِم عسكريًّا جاء خليفته – السادات – فأكمل المهمة بفتح الباب للإنتاج ورأس المال الأجنبي »[1] .

مصر بين عهدين : قبل وبعد انقلاب يوليو ١٩٥٢م :

استعرض المؤرخ الثبت الدكتور « حسين مؤنس » بكتابه (باشوات وسوبر باشوات) الذي سجّل به تاريخ مصر الصحيح (لا الزائف) من النواحي : السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، قبل وبعد انقلاب يوليو ١٩٥٢م ، وسنقتبس منه بعض الفقرات التي تجيب عن التساؤل الهام : هل كانت حركة الانقلاب جادة في المضي قدمًا نحو نهضة ؛ ومن ثَمَّ تجاوبت في قراراتها مع تطلعات شعب مصر الذي قدّم التضحيات تلو التضحيات في سبيل حريته منذ ثورة ١٩١٩م ، وكان على وشك الانتقال إلى عهد جديد بثورته الوشيكة عام ١٩٥١م ، أم أنها كانت سببًا في إجهاض مشاريع وتعويق حركة التقدم لمصر ؟

سنجد الإجابة الشافية بالصفحات التالية حيث يتبين من دارس تاريخ مصر في تلك الفترة ، أنَّ قبل ٢٣ يوليو ٥٢ كانت مصر حبلى بأحداث جسام ، مثال ذلك الآثار البعيدة المدى عقب إلغاء معاهدة ١٩٣٦م والتي كان لها الدور الأكبر في جلاء الإنجليز عن مصر ، فإن إلغاء تلك المعاهدة وهي الخطوة التي قام بها « مصطفى النحاس » ، كانت خطوة لابد منها لقيام الثورة (فقد انتقل الإنجليز بمقتضاها من معسكراتهم في قصر النيل وباب الحديد (ميدان رمسيس) والقلعة في القاهرة ، ومعسكرات مصطفى باشا في الإسكندرية إلى منطقة القناة ... وفي منطقة القناة

---

(١) نفسه ص ٨٦ ، ٨٧ ، وما لم يذكره الأستاذ « جلال كشك » أن « السادات » بمعاهدة العار (كامب ديفيد) فتح الباب على مصراعيه لتدخل منه إسرائيل إلى مصر وتخرج كيف تشاء !

بدأت مقدمات الثورة .[1] وكان النحاس جريئًا في نسف القاعدة الشرعية التي يستند إليها الإنجليز في استعمارهم لمصر .

ومن هنا كان الطريق ممهدًا أمام ضباط الانقلاب مِن قبْل ، ولم يكونوا وحدهم أصحاب الفضل - كما صورته أجهزة الدعاية الناصرية - في إجلاء الإنجليز عن مصر ، بل قدّم الشعب التضحيات كما قلنا منذ ثورة ١٩١٩م .. ثم حان الوقت الذي أيقن فيه عقلاء الإنجليز أن استمرار احتلالهم لمصر أصبح مستحيلًا أمام تصميم الشعب بكل فئاته وطوائفه وأحزابه على حتمية الجلاء .

ويتبيّن من الوثائق التي سُمح بنشرها عقب هذا الحدث ، أن السفير الأمريكي « كافري » كتب في تقريره إلى حكومته أن جميع الأحزاب والأطياف كانوا يتبارون في التعبير عن الإشادة بخطوة إلغاء معاهدة ١٩٣٦م ... وأن مصر عبّرت بدون استثناء عن وقوفها خلف رئيس وزرائها - مصطفى النحاس - بغض النظر عن مغبات القرار ، وبدون أدنى مبالاة بالمستقبل[2] .

وقد زادت هذه الخطوة من شعبية « النحاس » حتى بعد انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، إذ في اليوم التالي (انهالت حشود المتظاهرين على الشوارع المؤدية إلى ميدان « الإسماعيلية » حاملين لافتات كُتب عليها « يحيا النحاس باشا بطل الاستقلال » اخرجوا من بلادنا)[3] .

(١) د. حسين مؤنس (باشوات وسوبر باشوات : صورة مصر في عصرين) ص ٩٧ الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

(٢) لويدس . جاردنر (مصر كما تريدها أمريكا) ص ٥٤ ترجمة د. فاطمة نصر ، دار سطور بالقاهرة ٢٠١٢م .

(٣) نفسه ص ٥٣ ، ومن المعروف أن ميدان الإسماعيلية أعيدت تسميته إلى (ميدان التحرير) .

قضية السودان :

أما عن الوحدة مع السودان فكانت الثورة سببًا في فصلها عن مصر ؛ ذلك لأن مَلِك مصر قبل انقلاب ٢٣ يوليو كان يلقّب بملك مصر والسودان ، وأصبحت الوحدة بينهما هي الهدف من الثورة الشعبية عام ١٩٥١م [١] ، وكانت على وشك التحقيق ، فلو أمهل عبد الناصر (الرئيس محمد نجيب سنتين اثنين لكانت مشكلة وحدة مصر والسودان قد تحققت في ذلك الوقت برضا شعبيْ وادي النيل كله واجتماعه حول راية محمد نجيب المصري السوداني ، ولقامت دولة وادي النيل السودانية المصرية لتصبح أول دولة إفريقية في مصاف دول العالم الكبرى ، وكل ذلك ضاع لكي يصبح عبد الناصر رئيس مصر يهرول وراء رياسة العرب [٢] .

يقول الدكتور « حسين مؤنس » : (والسياسة التي جرى عليها رجال الثورة في السودان كانت سياسة طائشة غير متوازنة حتى أصبح واحد من العاملين في شئون علاقات مصر بالسودان – وهو صلاح سالم – موضع سخرية عالمية بما كان يفعل من خلع ملابسه إلا ما يستر عورته والرقص مع رجال القبائل في جنوب السودان حتى سمّي بالميجر الراقص ، وواضح أن رجال الثورة بعد أن أقصوا الرئيس محمد نجيب أحسّوا باستياء السودانيين واتجاههم إلى قطيعة مصر ، فرسموا خطة صبيانية حقًّا قام بتنفيذها الميجر الراقص ، وانتهت إلى أسوأ النتائج) [٣] .

---

(١) وكانت المظاهرات الشعبية الغفيرة حينذاك تردّد الهتافات من أعماق القلوب : (نيل واحد ، وشعب واحد) ، عن اقتناع تام وعاطفة جيّاشة ، ومحبة فطرية بين أهل مصر وإخوانهم في السودان .

(٢) د. حسين مؤنس ، (باشوات وسوبر باشوات) .

(٣) نفسه ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

ويصف جلال كشك عبد الناصر بأنه الزعيم الذي حقّق انفصالين في تاريخ الأمة العربية .. انفصال السودان عن مصر .. وانفصال الإقليم السوري .. وتُوّج بطلًا للوحدة العربية .. وطوبى للمغفلين !

كتاب (كلمتي للمغفلين) ص ٤٢٢ ، دار ثابت بالقاهرة ، ط ٢ = ١٩٨٥م .

وبالمقارنة بين سياسة حكومة مصر قبل الانقلاب وبعده يتضح أن الموقف الرسمي لحكومة « مصطفى النحاس » كان حاسمًا في رفض فصل السودان عن مصر، وكان « صلاح الدين » وزير خارجية مصر حينذاك حريصًا في محادثته مع الأمريكيين على الاحتجاج على موقف الإنجليز المصرّ على منح السودان استقلاله، مصرحًا بأن (مصر لن توافق أبدًا على تمزّق « وحدة مصر والسودان »[1])، ولكن جاء ضباط الثورة فأضاعوا كل الجهود المبذولة مِن قبل في هذه القضية الحيوية المتصلة بأمن مصر وقوتها ورخائها، وذلك باستهتار شديد وجهل بأساسيات الجغرافية السياسية![2].

إجهاض مشروعات كبرى:

انفرد « عبد الناصر » بالحكم من أبريل ١٩٥٤م، وكان يستطيع – في رأي الدكتور حسين مؤنس – أن يفعل لمصر ما فعله « لينين » لروسيا، و« فرانكو » لإسبانيا، و« تيتو » ليوغوسلافيا، و« ماو تسي تونج » للصين. كل هؤلاء كانوا مستبدّين، ولكنهم – على الأقل – استخدموا الاستبداد في النهوض ببلادهم وإدخالها عصرًا جديدًا؛ لأنهم كانوا يملكون حصيلة طيبة من العلم والثقافة، ولكن « عبد الناصر » لم يفعل، بل أجهض مشروعات كبرى كما سيأتي:

---

(١) لويد جاردنر (مصر كما تريدها أمريكا من صعود ناصر إلى سقوط مبارك) ص ٤٩.

(٢) نقل الأستاذ « توفيق الحكيم » تصريح « مصطفى النحاس » القائل: « إن الصخرة التي كانت تتحطم عليها المفاوضات المصرية دائمًا من أجل إجلاء الإنجليز هي السودان، ولو سمح لنا بطرح مسألة السودان جانبًا لتم الجلاء منذ عشرينيات هذا القرن، ولكن ما كان من سياسي في البلد ليسمح لنفسه بذلك. ومضت الأعوام وجاءت الثورة وتركت السودان، ووقّعت الوثيقة مع الإنجليز على الجلاء المشروط أيضًا بعودتهم». (عودة الوعي) ص٦٩.

كذلك صرّح بعض رجال الأحزاب أن بنود الوثيقة هي نفسها التي رفضتها الأحزاب جميعًا.

(ففي ١٩٥٤م كانت مصر ما زالت بخيرها كله، كان عدد سكانها أقل من ٣٠ مليونًا وكان سكان القاهرة مليونين .. والناس كانوا يثقون في «عبد الناصر» ثقة بلا حدود، وكانوا مستعدين للسير معه في طريق الإصلاح وكان البلد حافلًا بالرجال والكفاءات والعلماء ... ومشكلة التموين التي نعاني منها الآن كان حلها ممكنًا منذ أيام «عبد الناصر»، والتقارير والدراسات التي قدمها العلماء والمتخصصون المصريون كانت كفيلة بالعلاج أيام كان العلاج ممكنًا، ولكن «عبد الناصر» كان يلقي بها في الأدراج ولا يقرأها أحد).

وضرب مثلًا بمشروع مترو الأنفاق الذي كان تنفيذه أيسر من اليوم عشرات المرات ... ومشروعات إنشاء المدن الجديدة في الصحراء كلها قدَّمها رجال مصريون مخلصون، ولكن «عبد الناصر» كان يحتقر العلماء، ويحتقر الكتَّاب، ويحتقر كل صاحب رأي وكرامة، وقد تقدم مهندس مصري صادق بكل وجوه النقد والنقص في مشروع السد العالي [1]، وكل ما قاله هذا الرجل كان حقًّا، ونحن نعالجه اليوم، ولكن «عبد الناصر» عاقب ذلك الرجل وطرده من الحكومة، وأنا أكتب هذه السطور ويقرأها عالم مصري جليل كان يشرف ١٩٥٥م على مجلس أبحاث الذرة ومجلس العلوم، وكان قد وضع مشروعًا يجعل مصر صاحبة أول مفاعل ذري خارج أوروبا ١٩٦٢م ولكن «عبد الناصر» اضطهده، والرجل غادر مصر وعمل في الأمم المتحدة وأنشأ إحدى منظماتها الكبرى، وأصبح ثالث رجل في الأمم المتحدة كلها ! [2].

وهناك ما خفي وراء المشروعات التي هللت لها الدعاية الناصرية،

---

(١) وسنفرد الحديث عن هذا المشروع بعرض دراسة موسعة قام بها علماء متخصصون.

(٢) نفسه ص ١٨٣، ١٨٤.

كمشروع الإصلاح الزراعي ، فإن حقيقة الأمر أن الفلاح المصري الذي كان مستورًا أيام الإقطاعيين ، أصبح معدمًا بعد نعمة الإصلاح الزراعي ، فإن محاصيل القطن ، والأرز ، والبصل ، وما إليها ، لابد أن تصدّر إلى روسيا وبلاد الكتلة الشرقية وفاءً لأثمان الأسلحة التي ضيّعنا معظمها في وديان الشياطين في حرب اليمن ... والفلاح عليه أن يعمل كرقيق الأرض ؛ لأن مَدد الأسلحة لابد أن يستمر »[1] .

وبنفس طريقة المقارنة بما حدث في دول الاتحاد السوفيتي ، سجل « السادات » في مذكراته أن إرث « عبد الناصر » مسئول إلى حد كبير عن الوضع الاقتصادي ، وعن ضعف الجيش أيضًا حيث ذكر : « أن مصر قامت وبغباء تام ، بمحاكاة النموذج الاشتراكي الروسي على الرغم من افتقادها للموارد الأساسية ، والقدرات التقنية ، ورأس المال . وذهب إلى أنهم بعد حرب السويس ١٩٥٦م كانت الأوضاع الاقتصادية بمصر أكثر من مرضية ، لكن بدلًا من الانطلاق على أساس من القطاع العام السليم والقطاع الخاص المزدهر ، شاب ممارسات مصر الاشتراكية الطابع الماركسي بحيث أصبح يُنظر للمشاريع الخاصة على أنها رأسمالية بغيضة ، وللقطاع الخاص على أنه مرادف للاستغلال والسرقة ، وكان التراجع عن المشروعات الفردية ذلك هو بداية الانهيار الاقتصادي الكارثي »[2] .

ويعلل بدوره الدكتور « حسين مؤنس » ما حدث في الأوضاع الاقتصادية المتردية بالفكر الشيوعي الذي كان مسيطرًا على رؤساء (السوبر باشوات) في ذلك الوقت ، وأصله عند « لينين »[3] ... ولكن وجه المقارنة أن « لينين » ورجاله كانوا

---

(١) نفسه ١٤١ ، ١٤٢ .

(٢) لويد جاردنر (مصر كما تريدها أمريكا) ص ١٦٣ مصدر سابق .

(٣) نفسه ص ١١٦ .

أصحاب أيديولوجية – أي عقائديين – ولم يدسوا الأموال في جيوبهم، ولم يسكنوا قصور الإقطاعيين والمياسير، ولا هم نهبوا بيوتهم؛ إنما استخدمت الثروة كلها في تحويل روسيا – التي كانت بالفعل مفلسة تمامًا – إلى بلد قوي، و« لينين » مهما قلنا فيه كان رجلًا مثقفًا يدخل ضمن المثقفين وأصحاب الفكر والعلم، ولهذا فلقد كان يحترمهم ويحرص على المحافظة عليهم، ومن ثَمَّ فقد أعفى من ضرباته أصحاب العلم والتخصص العلمي والفني منهم ... لأنهم ثروة الأمة الحقيقية، ولو لم يفعل « لينين » ذلك لما وجدت روسيا الشيوعية أساسًا علميًا تُبنى عليه.

ثم يقارن بين ذلك وما حدث في مصر، فيستطرد قائلًا:

« أما السوبر باشوات الذين انقضوا على بلادنا والتهموا خيراتها من ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠م، فلم يكونوا عقائديين ولا أصحاب مبادئ، وكان فيهم جهل شديد وعنف أشد، ولهذا فإنهم لم يحرصوا على علم ولا احترموا عالمًا، بل اتجهوا إلى معاداة العلم معاداة صريحة؛ لأن العلم كرامة ووطنية والمستبد الجاهل يكره صاحب العلم ويضطهده، ولهذا فإن عصر السوبر باشوات الذي اشتهر بالسرقة والنهب، وإهدار القوانين، وإيذاء القضاة وأهل العدل، اشتهر أيضًا باحتقار العلم وأهله والأدب ورجاله، وكل ما يتصل بالعلم والفكر »[1].

عوامل أزمة مارس ١٩٥٤م ونتائجها:

تتلخص هذه العوامل في أن « محمد نجيب » – أول رئيس جمهورية لمصر حينذاك – اختار الوقوف إلى جانب الديمقراطية ضد الدكتاتورية، ودعا الجمعية العمومية لمستشاري مجلس الدولة إلى اجتماع قررت فيه تأييد الديمقراطية والحياة

---

(١) نفسه ص ١١٧، ويُنظر تعليق د. حامد ربيع بصفحة رقم ١٧٢ من كتابنا هذا.

النيابية » ولكن حدث في أثناء الاجتماع أن وصلت مظاهرة تضم بعض عمال مديرية التحرير ... وقامت المظاهرة باقتحام المبنى وقاعة الاجتماع وضرب السنهوري [١] وزملائه ، وتمزيق القرار الذي اتخذوه ، بل أكثر من ذلك إرغامهم على توقيع بيانٍ آخر يؤيد مجلس الثورة ... وتم إقصاء السنهوري عن منصبه » [٢] .

ويصف الدكتور « حسين مؤنس » هذه المظاهرة بأنها أغرب مظاهرة في تاريخ مصر - ربما في تاريخ العالم [٣] - تهتف بسقوط الحرية ، وتلعن الديمقراطية « وهذه المظاهرات كانت مكونة أساسًا من خمس فئات هم عمال مديرية التحرير ، وقوات من الحرس الوطني ، وقوات من البوليس الحربي ، وعدد من أنصار هيئة التحرير ، وعدد من القيادات العمالية تم شراؤهم للوقوف إلى جانب الدكتاتورية ، مثل رئيس اتحاد عمال النقل » .

وكان « محمد نجيب » انفرد من بين الذين قاموا بالحركة بفهم معنى الثورة والإيمان بالحرية والديمقراطية ، والصدق في معاملة المواطنين ، واشترك معه نفر من

---

(١) التعريف بالسنهوري : « والسنهوري هو العالم الفقيه ، وهو قامة عالية جدًا تكاد تكون بلا نظير بالعالم العربي في الفقه والقانون ... وهو صاحب السبق الأول في وضع القانون المدني المصري ، وهو مؤلف الوسيط الشهير في القانون المدني في عشرة مجلدات ضخمة ، ومصادر الحق في الفقه الإسلامي في ستة مجلدات ، ونظرية العقد ، والموجز في الالتزامات ، وأصول القانون ، والتصرف القانوني والواقعة القانونية ، وعقد الإيجار والقيود التعاقدية على حرية العمل - رسالة دكتوراه باللغة الفرنسية عام ١٩٢٥م ، والخلافة ، رسالة دكتوراه بالفرنسية أيضًا عام ١٩٢٦م ، ترجمتها إلى العربية ابنته دكتورة نادية عبد الرازق السنهوري ... والدكتور السنهوري صاحب مكانة علمية سامقة ، ويندر أن تجد دولة عربية لم تستعن به في وضع دستورها أو تشريعاتها ... وملأت آثاره القانونية والفقهية العالم العربي ، وتُمثِّل مرجعًا لا يَستغني عنه أي مشتغل بالقانون » .

رجائي عطية ، مقال بعنوان : (الديمقراطية في فكر الدكتور السنهوري وتجربته المؤلمة) مجلة الهلال المصرية مارس ٢٠١٢م .

(٢) نفسه ص ٨٤ .

(٣) نفسه ص ٢١٩ .

شباب الضباط : أهمهم « خالد محيي الدين » ، و« يوسف صديق » ، و« أحمد شوقي » .

لذلك كسب « محمد نجيب » لنفسه صورة شعبية جميلة ، وأصبح في نظر العالم كله رمزًا على حركة تحريرية تقدمية تسير في طريق الديمقراطية الصحيحة ... كما أثارت شخصيته في السودان محبة كبيرة ، وبدا من السودانيين استعدادٌ لتحقيق وحدة وادي النيل تحت رياسته .

ويستطرد د. « حسين مؤنس » في ذكر ما حدث لينتهي إلى القول بأن « عبد الناصر » سلك طريقًا ملتويًا لإقصاء « محمد نجيب » ، وليصل في النهاية إلى الرياسة المطلقة مستخدمًا في ذلك معظم أعضاء مجلس الثورة للتغلب على « محمد نجيب » وإزالته والحلول محله « ولكن على صورة من العنف والقسوة أساءت إلى عبد الناصر أكثر مما أساءت إلى محمد نجيب ، فأما نجيب فقد عُزل ووضع فيما يشبه المعتقل في بيت في المرج ، ولكن ظل مكانه في تاريخ الثورة ممثلًا لروحها ولبابها ، وضحية لمؤامرات الذين انتزعوها من أيدي الشعب ، وفرضوا عليه الدكتاتورية »[1] .

مغزى أزمة مارس ١٩٥٤م :

إن أزمة مارس ١٩٥٤م بين « محمد نجيب » و« عبد الناصر » في مصر تدفعنا لاستدعاء التجربة الكمالية في تركيا عام ١٩٢٤م[2] ، حيث قام « أتاتورك » اليهودي حينذاك بتحويل دفة حضارة الأمة قسرًا من مسارها الإسلامي الذي ظلّ

(١) نفسه ص ٢١٦ ، ٢١٧ باختصار .

(٢) حيث تتشابه الواقعتان في حدوث الصراع بين الدكتاتورية والحرية أو بين الأصيل والوافد ، مع اتفاقها أيضًا في فرض الحكم العسكري .

طيلة نحو ثلاثة عشر قرنًا إلى مسار آخر معاكس تمامًا ، بل معادٍ له أيضًا ، وذلك باتباع الأساليب القمعية ؛ لأن الشعب التركي – وعلى رأسه علماؤه – وقف بصلابة في وجهه معارضين وباذلين الدماء للحيلولة دون أهدافه وتتخلص فيما يأتي :

١ – إبعاد الشريعة الإسلامية وهي كقوانين لها ضوابط اجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية ، وأخلاقية ، وإحلال القوانين الغربية محلها باستيراد دساتير بعض دول أوروبا .

٢ – إخضاع المعارضين للمحاكم العسكرية بدلًا من القضاء المدني للتعجيل بتنفيذ التغيير المطلوب ، وبمنتهى القسوة والحقد ، والغلظة ، وبلا شفقة أو رحمة .

٣ – قمع المعارضين بوسائل غير إنسانية ، سجلت للكماليين صفحات سوداء في تاريخ تركيا المعاصر .

٤ – تنصيب رجال الجيش في أغلب أجهزة الدولة ، ومن ثَمَّ تحويل المؤسسة العسكرية إلى ما يشبه السلطة الرابعة ، حيث انتشر رجال الجيش في مرافق الدولة ، وأصبحت لهم الكلمة المسموعة والنفوذ القوي ، وقد أصبح « عبد الناصر » والمشير « عبد الحكيم عامر » بهذا السلوك مسئولَيْن عما حدث لمصر حتى وقتنا هذا[1] !

ويصوّر الدكتور « حسين مؤنس » ذلك بقوله : « بعضهم كان من رجال جمال عبد الناصر ... وبعضهم الآخر كان من رجال عبد الحكيم عامر .. فالواحد منهم يكون في الجيش برتبة ملازم أول مثلًا .. وبعد ثلاث سنوات من الثورة والعمل في مكتب أحد الكبار ... ويبحث وهو جالس في مكتبه عن وظيفة كبرى ينتقل إليها ... ويغادر الجيش وكل الأبواب مفتحة أمامه وتحت تصرفه ، وهو

---

(١) يُنظر كتاب (مصر كما تريدها أمريكا) لمؤلفه « لويد جاردنر » ، مصدر سابق .

يختار ... لأنه قد أصبح شخصية ذات جاه ممدود واسم كالطبل ... دخول السلك السياسي [١] ... ويرقى عندما يترك الجيش إلى رتبة عميد (هكذا كان القانون) .. ويدخل الخارجية مستشارًا أو وزيرًا مفوضًا ... وهكذا يجد نفسه فوق الآخرين ورئيسًا لهم ، ويعتبر ذلك حقًّا له لأنه من طبقة أخرى غير طبقة الناس ... إنه من طبقة الغزاة الذين يستحلون كل شيء .. ولا يتصورون أن يجرؤ مواطن على استكثار أي وظيفة مهما كبرت على أي منهم .. وإذا كانت وظائف التدريس في الجامعات مثلًا لا تسمح لغير الجامعي في توليها ... فليكن الأمين العام في كل جامعة من أبناء هذه الطبقة الممتازة ... أو التي رأت نفسها ممتازة لمجرد أنها من نفس عجينة أعضاء مجلس الثورة .

وتضخمت وظيفة أمين عام الجامعة حتى أصبحت رقابة عامة على كل مَن في الجامعة ... وفي يوم من الأيام كان ثلاثة أرباع السفراء والوزراء المفوضين والمستشارين من طبقة الغزاة هؤلاء ... وإلى جانب هؤلاء كانت تقوم مكاتب الملحقين العسكريين في كل بلد من بلاد الدنيا ... وكل مكتب كأنه سفارة ، فهناك ملحق عسكري ومساعد ملحق عسكري وكتبة ، ثم عدد كبير من الحرس ... إلخ » [٢] .

---

(١) ويقول إبراهيم سعده : (إن ما حدث في وزارة الخارجية المصرية طوال السنوات الطويلة الماضية سيظل وصمة عار في جبين هذه الوزارة ولأجيال عديدة قادمة ، وتعليل ذلك أن العشرات من غير المؤهلين تدرَّجوا في المناصب حتى وصلوا إلى درجة سفراء .. واعتمدوا في مراسلاتهم على المترجمين وطاقم السكرتارية من الموظفين والموظفات المحليين ، والذين ازدحمت بهم سفاراتنا في الخارج) ص ١١٠-١٢١ من كتابه (سنوات الهوان) .

(٢) د. حسين مؤنس (باشوات وسوبر باشوات) « صورة مصر في عصرين » ص ١٠٠ / ١٠١ باختصار ص ١٠٣ ، ١٤٤ ، الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

وقد ظل قادة الجيش التركي يعتبرون أنفسهم حراسًا لما يسمى (بالتجربة الكمالية) لمدة سبعين سنة أي منذ هلك أتاتورك حتى عام ٢٠١٣م حين صدر تشريع عن البرلمان يمنع القوات المسلحة من القيام بهذا الدور ... وأولئك القادة ملطخة أيديهم بدماء الشهداء الذين قاموا على مدى السنوات السابقة بمحاولة إعادة تركيا إلى هويتها الإسلامية .

وأضف إلى ذلك الوظائف الكبرى بما يسمّى بالقطاع العام عقب حركة التأميمات والمصادرات باسم الاشتراكية !

ويتضح لمن يدرس تلك الفترة من تاريخ أمتنا المعاصر ، أن قادة الجيش التركي بتصميمهم على استمرار علمنة المجتمع هناك ، يتضح أنهم كانوا أدوات للدوائر الاستعمارية الغربية التي تنفست الصعداء بعد نجاحها في هدم الخلافة العثمانية بواسطة عميلها « أتاتورك » ، ومن ثَمَّ أخذت تتابع المعارك عن كثب ، حتى لا تقوم للأمة الإسلامية قائمة ، بعد انفراط عقد وحدتها وذلك باتباع سياسة تجفيف المنابع لأية بوادر يقظة إسلامية تقوم بها الشعوب ، لا في تركيا فحسب ، بل في كافة البلاد العربية والإسلامية التي طالتها الانقلابات العسكرية أيضًا تحت مسمّى (الثورات) ، وهي في حقيقتها كانت تسير على خُطى « أتاتورك »[1] وفي هذا الغرض ، نشر الدكتور « حامد ربيع » - رحمه الله تعالى - عالم السياسة المخضرم والعالم بما يدور وراء الكواليس ، نشر تقريرًا سريًا وضعه الأمريكي « كلارك » المستشار بمجلس الأمن القومي الأمريكي ، والذي استطاعت مجلة « لوموند » الدبلوماسية الفرنسية أن تحصل عليه ، وتنشره كاملًا للكشف عن الكثير من الخفايا ، ويتضمن الأدوات الأربع الآتية :

أ - مفهوم « الطب الوقائي » .

ب - الثورة المضادة .

جـ - التدخل السريع .

د - التركيز على قوة النيران المكثفة .

---

(١) يُنظر كتاب (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في العالم الإسلامي) للإمام أبي الحسن الندوي .

أدوات أربع ولكنها تنبع من مفهومين أساسيين :

الوقاية أولًا خير من العلاج ، ومن ثَمَّ يجب ألا تنتظر حتى تنفجر الثورة أو حركات الرفض ، بل يجب اقتطاعها مسبقًا . والثاني : عندما تتدخل فلندع جانبًا مفهوم التدرج في التدخل وإنما يجب أن يكون هذا التدخل كثيفًا صاعقًا . وبعبارة أخرى : أول ما يجب أن تهتم به الإدارة الأمريكية هو عملية حصر حقيقية للقوى والقيادات القادرة أو الصالحة لأن تكون بؤرة رفض على قسط معين من الفاعلية . وعندما تكتشف الإدارة الأمريكية ذلك عليها أن تلجأ لجميع الوسائل لاستئصال تلك القوى والقيادات : الترغيب والتطويع خطوة أولى . وإن لم تفلح فالقبض والسجن خطوة ثانية . وإلا فالقتل والاستئصال الجسدي .

ويعلِّق الدكتور « حامد ربيع » على ذلك بقوله : (وهذا ما يسمح لنا بأن نفهم الوظيفة التي تؤديها مراكز البحوث المنتشرة خلف مزاعم الأهداف والاعتبارات الأكاديمية . يقول كلارك في تقريره السالف ذكره : « ولتستطيع هذه السياسة أن تكون مجدية ، فإن السياسة الأمريكية تفترض الملاحظة المستمرة لسلوك المواطنين من خلال البوليس وناقلي المعلومات للإدارة الحكومية ، وكذلك من خلال وضع نظام حديث للتصنت والمراقبة فضلًا عن معالجة المعلومات »[1]

أي أن مراكز البحوث الغربية أصبحت مصادر للتجسس في بلادنا !

---

(١) د. حامد ربيع (قراءة في فكر علماء الإستراتيجية) ص ١٠٩ ، ط دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

ولم يفُت الدكتور « حامد ربيع » أيضًا أن يسجّل ملاحظته كمراقب عن كثب ، فقال : « منذ حلول النظم العسكرية خلال الأعوام الثلاثين الماضية أصاب الفكر العربي نوعًا من الجمود ، وقد تحوّل مفكرو هذا العالم العربي إلى نوع من مهرّجي البلاط ، وظيفتهم التصفيق للحاكم والمشاركة في الزفة السياسية ، وأضحى ذكر اسم البعض منهم يصيبنا بالغثيان » ص ١٢٥ / ١٢٦ نفسه .

وفي إحدى صفحات كتابه قام الدكتور « حامد ربيع » بتحليل ما ورد بتقرير المستشار بمجلس الأمن القومي الأمريكي بسبب الذعر الذي يسيطر على القيادات العالمية من الوحدة العربية ؛ لأنه ثبت في مخيّلها أن وحدة العرب تعني دفعة جديدة للإسلام (لتعيد للذاكرة ما أصاب أوروبا أمام القوات العثمانية وهي تجتاح سهول أوروبا ، وتصل إلى فيينا وتحاصرها لعدة أعوام ، وليقْرع الأذهان بالهلع الذي ساد العالم الكاثوليكي عندما انسابت القوى العربية من سهول إسبانيا نحو وسط فرنسا ، حتى إن مؤرخًا مثل « توينبي » كتب بكثير من السعادة : (لو كانت نجحت جيوش محمد ﷺ في معركة « بواتييه » لكان القرآن الآن هو أساس التدريس في أكسفورد) ، وهم لا يستطيعون أن ينسوا غزو قراصنة العرب لروما واستقرارهم في كنيسة (سان بيترو) لمدة عام كامل ، قبل أن يحملوا عصا الترحال ويعودوا إلى (تونس) بإرادتهم ودون أي تدخل خارجي ، سوى رغبتهم في العودة إلى أرض آبائهم) [1] .

الأسباب الدفينة لهزيمة يونيو ٦٧ :

قبل الحديث عن الوقائع المباشرة والظاهرة لحرب يونيو ٦٧ وملابساتها ، ينبغي البحث عن الجذور في عوامل خفيّة متشابكة تدور حول اتجاهات وميول (أعضاء مجلس الثورة) منذ عام ١٩٥٢ وانفراد عبد الناصر بالسلطة ١٩٥٤ بإقصاء كل من يعارضه بما فيهم الرئيس محمد نجيب - أول رئيس جمهورية لمصر بعد إلغاء الملكية - ، مع فرض نظام ديكتاتوري مستبد يصادر الحريات ويكمم الأفواه ، فيبطش ويعتقل ويسجن كل من يجرؤ على الوقوف في وجهه ، وصدق

---

(١) نفسه ص ٣٢ ، ومعركة (بلاط الشهداء) - جنوب فرنسا - هي التي كان يقود فيها قوات المسلمين عبد الرحمن الغافقي ١١٤ هـ - ٧٣٢م .

قول الكواكبي : (المستبد في لحظة جلوسه على عرشه ووضع تاجه الموروث على رأسه يرى نفسه كان إنسانًا فصار إلهًا) [١] .

ونكتفي بتلخيص أهم الوقائع السابقة لحرب يونيو ٦٧ منها :

١ - اتجاهات وميول (الضباط الأحرار) التي عرّفنا بها محمد نجيب إذ قال : (فقد كان البعض منهم يرتبط بمبادئ يقتنع بها .. جانب منهم وقف معي .. مع الديمقراطية ، وتعرض من ذلك لأخطار حرمتهم فيما بعد من حريتهم وأمنهم في المستقبل .. وجانب آخر وقف مع جمال عبد الناصر معتقدًا أن موقفي يعتبر تراجعًا عن أهداف الثورة ، وبعض هؤلاء لحقته نقمة الديكتاتورية بعد أن أزيلت الغشاوة عن عينيه واكتشف الحقيقة المؤلمة ، وبعد أن أصبح عاجزًا عن مقاومة طوفان الإرهاب .. والبعض منهم لم يكن مرتبطًا بأية مبادئ .. كان حريصًا على المحافظة على مصالح نعم بها واستفاد بها .. وجانب منهم كان قد تورط في أعمال قذرة جعلتهم يواجهون خطر المحاكمة إذا ذهبت اليد المساندة لهم .. هذه هي خريطة القوى السياسية في مصر قبل ساعات من اشتعال أزمة مارس) [٢] ، فلا يخطر على البال أن يحقق أولئك نصرًا أو يملكوا مشروعًا للنهضة !

أما عن أفكارهم واتجاهاتهم فقد سجّلها خبير الأنظمة العسكرية الأمريكي « جيمس انجلبرغر » في تقريره للسفير كافري بعد أن عقد محادثات طويلة مع

---

(١) عبد الرحمن الكواكبي (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ص ٥٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م .

(٢) « مذكرات محمد نجيب » (كنت رئيسًا لمصر) ص ٢٥٩ ، المكتب المصري الحديث ط ٤ نوفمبر ١٩٨٤م . ويضيف في موضع آخر أن كل ضابط من المجلس يريد أن يملك مثل الملك ... ويحكم مثل رئيس حكومة ، لذلك فهم كانوا يسمّون الوزراء بالسايس أو بالطراطير .. وكان زملاؤهم الضباط يقولون عنهم : (طردنا ملكًا وجئنا بثلاثة عشر ملكًا آخر) .

أفراد حاشية عبد الناصر العسكريين منهم والمدنيين ، وذكر فيه أن عبد الناصر نفسه غير واضح الأفكار والاتجاهات ، ووصف أعضاء مجلس الثورة أنهم يسلكون في سياستهم مسالك الانحرافات والمساومات ، ونزواتهم لا تتعدى حب الهتاف والتصفيق لهم .. وانتهى إلى القول بأنه لن يمضي وقت طويل حتى يدرك الجميع إفلاسهم الفكري وفشلهم الذريع ، وسيجدون أنفسهم بعد فوات الأوان مضطرين إلى اللجوء إلى أساليب القمع والشدة ، (وأما النتيجة الحتمية لكل هذا فهي قيام حكومة مستبدة تسكع أمامنا بكل بشاعة وقذارة) [١] .

فرض النظام الديكتاتوري :

وكان من أسباب اعتقال محمد نجيب أنه رأى ضرورة استقرار حياة ديمقراطية في مصر ، مع عودة الجيش إلى الثكنات لتستقيم الأمور في البلاد بعد أن وصلت إلى حافة الهاوية ، إذ أيقن أن تصرفات الضباط المشينة ستؤدي بالبلد إلى كارثة على كافة المستويات ، السياسية والاقتصادية وأيضًا الأخلاقية [٢] .

وإيمانًا بالديمقراطية ، فقد عارض محمد نجيب حركة الاعتقالات ، وطالب بإطلاق سراح المعتقلين فورًا ، أو أن تحقق معهم النيابة وتحدد مواقفهم [٣] .

كذلك عارض السفير الأمريكي « كافري » عندما اقترح تعاون أجهزة الأمن مع المخابرات المركزية الأمريكية ، وصارحه بقوله : (لا أريد تقييد حرية

---

(١) مايلز كوبلاند (لعبة الأمم – عالم الاستخبارات الأمريكية في اعترافات أحد رجاله) ص ١٣١ ، ص ١٣٤ باختصار .

دراسة وإعداد وتقديم د. الحسيني الحسيني معدّي ، دار الخلود بمصر ٢٠١٠م .

(٢) نفسه ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٣) نفسه ص ٢٣٨ .

المواطنين ، وتقوية هذه الأجهزة يجعلها في آخر الأمر هي التي تحكم فعلًا ، وكفى ما عانيناه وعاناه شعب مصر من القلم السياسي) [١] .

ويستطرد محمد نجيب بعد ذلك بقوله : (لكن ما رفضته أنا بصراحة قبله جمال عبد الناصر بعد ذلك .. تدخلت المخابرات المركزية [٢] في رسم خطط حماية عبد الناصر الأمنية ، وجاءت له بسيارات وأسلحة خاصة لتنفيذ هذه الخطط ، كما أن أسس تكوين المخابرات المصرية التي أقامها زكريا محيي الدين كانت مستمدة من أفكار بعض الأمريكان ، وتحولت هذه المخابرات كما توقعت إلى جهاز لتعذيب الشعب المصري وطعن كرامته ، كما حدث بعد ذلك) [٣] .

واشتد إحساسه بخطر احتواء الأمريكان للثورة ، فقطع حبال الاجتماعات الخاصة مع رجالهم ، ولذلك عندما شاهد « كيرميت روزفلت » رجل المخابرات الأمريكية - الذي تحدث عن دوره بمصر بعد الثورة مايلز كوبلاند ، في كتابه « لعبة الأمم » - بمكتب جمال عبد الناصر واستفسر عن سبب وجوده فأجاب : (إنه كان يرغب في مقابلة سيادتكم) ، مما أثار غضب نجيب هذا العذر الذي هو أقبح من ذنب في رأيه ، وقال في جفاء : (أنت تعرف أنني أكره رجال المخابرات ، ولا أريد مقابلة هذا الرجل ، وإذا كان الأمريكان يريدون الاتصال بي فعلًا فالأفضل أن يتصل بي السفير الأمريكي فقط) .

---

(١) نفسه ص ٣١٢ .

(٢) وحدث بعد ذلك أن قويت صلات عبد الناصر بالاتحاد السوفيتي ، ومن ثَمَّ أصبح لها النفوذ القوي في مصر ، وكثيرًا ما تدخلت موسكو للإفراج عن الشيوعيين ، وعلى أثره تم تعيين عشرات من الماركسيين بمناصب قيادية بأجهزة الإعلام والوزارات .. وبعد أن كان الواحد منهم لا وظيفة له ولا مال (فجأة يُعيَّن في وظيفة بدرجة مدير عام ، أو وكيل وزارة ، أو رئيس مجلس إدارة ، وبمرتب وبدلات تحسب بمئات الجنيهات في الشهر) . إبراهيم سعده (سنوات الهوان) ص١٧٦ - المكتب المصري الحديث ١٩٧٥م .

(٣) مايلز كوبلاند (لعبة الأمم) ص ٣١٢ .

ووعده عبد الناصر ألا يتصل بهم مرة أخرى ، ولكنه لم ينفذ وعده ، بل زادت الاتصالات .

وعلّق محمد نجيب في نهاية هذه الواقعة بقوله : (لست أريد بذلك إطلاق الأحكام أو إثارة الشبهات .. ولكني استنكرت اتصالاً يتم بين قيادة سياسية وعملاء في مخابرات دولة أجنبية) [1] .

وباختصار شديد كان جزاء محمد نجيب عندما عارض الديكتاتورية ، ورغب في عودة الجيش إلى ثكناته ، وتطبيق الديمقراطية مع إطلاق الحريات ، كان جزاؤه السجن بعد معاملة مهينة أهدرت كرامته ، مما جعلته يعبّر عن ذلك بقوله : (لكن .. لم يحافظ عبد الناصر لا على الأصول ولا على التقاليد ، أنا الذي فعلت كل هذا من أجله ومن أجل مصر ومن أجل الثورة .. تعاملوا معي كأنني لص .. أو مجرم .. أو شرير .. لم يتصل بي عبد الناصر .. لم يقل لي كلمة واحدة .. ولم يشرحوا لي ما حدث .. ولم يحترموا سنّي ولا رتبتي ولا مركزي ولا دوري .. وألقوا بي في النهاية في أيدي لا ترحم وقلوب لا تحس ، وبشر تتعفف الحيوانات من الانتساب لهم) [2] .

ولمراقبته لسلوكيات عبد الناصر عن كثب ، لاحظ أنه يسير على خُطى أتاتورك وأصبح يحاكيه في أعماله .

---

(١) نفسه ص ٣١٤ .

(٢) نفسه ص ٣٥٦ .

ويحكي محمد نجيب واقعة غاية في الغرابة عندما طلب من عبد الناصر الاشتراك في حرب ١٩٥٦ فقال بالحرف الواحد : (وإذا كان عبد الناصر طلب إذابة جثتي في حامض شرس .. فأنا طلبت منه أن أتطوّع كجندي في جيش مصر في تلك الحرب التي أوقعنا فيها ، وكتبت له الخطاب من مكاني المجهول الذي خُطفت فيه) ص ٣٦٠ نفس المصدر .

صرّح بذلك بمناسبة ما وصفته به صحافة العالم بأنه (الديكتاتور العادل) فقال : (ولكوني ديكتاتورًا عادلًا ، تعرضت للنقد الشديد من أولئك الذين يريدون ديكتاتورًا حقيقيًّا .. كان أولئك يحلمون بأتاتورك مصري ، وجاء عليهم وقت اعتقدوا فيه أن فاروق كان يمكن أن يلعب هذا الدور ، واعتقدت أنا كذلك .. لكنه خيّب ظنّنا .. وبعد الثورة توقعوا أن ألعب أنا هذا الدور .. لكنني خيّبت ظنهم أيضًا .. فاتجه تفكيرهم إلى جمال عبد الناصر ليقوم بهذا الدور ، ولا أعتقد أنه خيّب آمالهم) ![1] .

أزمة مارس ١٩٥٤ كان لها الدور الرئيسي في هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ :

كان للهزيمة الكارثة في يونيو ١٩٦٧ عوامل عميقة الجذور تخفى على أعين الدارسين المكتفين ببحث العوامل القريبة العهد بالكارثة عندما طلب عبد الناصر القوات الدولية بالانسحاب من المضايق وتهديده لإسرائيل بالحرب .. إلخ .

ولكن الرئيس محمد نجيب الذي خاض التجربة المريرة في علاقته بمجلس قيادة الثورة – وبخاصة تصرفات عبد الناصر معه – أصاب الحقيقة عندما علل الهزيمة بسبب النظام الفردي الاستبدادي ، فقال : (الجيش لم يهزم في معركة ، بل صدرت الأوامر له بالانسحاب ، ولم يقاتل وتحول الانسحاب إلى انهيار .. كذلك أقول : إنه لم يهزم ولكن هزمت قيادته التي شاءت السلطة الفردية أن تفرضها عليه وهي غير صالحة .. والشعب المصري لم يُهزم ؛ لأنه لم يشارك في مصيره ، ولم يسهم في اتخاذ قرار الحرب .. ولكن الذي هُزم هو النظام الفردي الديكتاتوري الذي شاء أن يعزل الجماهير ويقيدها بقيود الإرهاب)[2] .

---

(١) نفسه ص ١٨١ .

(٢) الرئيس محمد نجيب (كلمتي .. للتاريخ) ص ٢١٠ ، المكتب المصري الحديث ٢٠١٠م .

كذلك فإن أزمة مارس ١٩٥٤ كانت نقطة تحول كبرى في تاريخ حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، إذ تحولت من حركة (مباركة) كما سُمِّيَت في أول عهدها تحوطها الجماهير بالتأييد والدعم إلى نظام حكم مستبد ، ومن ثَمَّ يصح القول بأن تلك الأزمة تعتبر (أخطر أحداث في تاريخ مصر الداخلي ، فقد حدث بها صراع خطير بين الديمقراطية والديكتاتورية ، وللأسف الشديد انتصرت الديكتاتورية في الصراع ، وقدمت الديمقراطية ضحايا غالية تتمثل في الدماء التي أريقت ، والحريات التي كُبلت ، والعناء الذي تحمله المدافعون عنها) [١] .

وعلينا أن نبحث : كيف انتصرت الديكتاتورية وتغلبت على الديمقراطية ؟

كان الرئيس محمد نجيب مقتنعًا بدور الشعب في الكفاح ضد الاحتلال البريطاني بأشكاله المتعددة وله تاريخ طويل ، وذكر بكتابه تحديدًا مصطفى كامل ومحمد فريد والحزب الوطني وثورة ١٩١٩ (وحركات الشباب السرية لاغتيال الجنود البريطانيين .. وارتباط جماهير العمال والطلبة في تظاهرات ١٩٤٦ ، وأخيرًا الكفاح المسلح ضد البريطانيين في معركة القناة خلال حكم الوزارة الوفدية عام ١٩٥١) [٢] .

وقد كانت في مصر ثورة حقيقية وطنية تجمعت خلال الحرب العالمية الثانية ، وتفجرت بقرار الوفد التاريخي بإلغاء المعاهدة [٣] .

لذلك كان محمد نجيب معارضًا لحل الأحزاب لتعاطفه مع الوفد بصفة خاصة ؛ لأن تاريخه قبل الثورة كان حافلًا بمواقفه المشرفة بإلغائه معاهدة ١٩٣٦م ،

---

(١) د. أحمد شلبي (موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية) جـ٩ ، ص ٣٣٩ ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٠م .

(٢) محمد نجيب : (كلمتي .. للتاريخ) ص ٩٧ مصدر سابق .

(٣) جلال كشك (كلمتي للمغفلين) ص ١٦ .

والسماح للفدائيين بالهجوم على المعسكرات البريطانية في القنال [1] ، لذلك خطب في الوفود التي أقبلت من المديريات المختلفة بقوله : (أرجو ألا تظنوا أني باعث هذه النهضة ، بل إن الشعب هو الذي قام بها والجيش ما هو إلا فرقة منه ، ولولا وقوف الشعب بجانبنا لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه ، وإن ما قمنا به ما هو إلا خطوة أولى ، وأمامنا خطوات أخرى تحتاج إلى التعاون والصبر ، لتحقق مراحل الإصلاح الشاملة التي تبدأ بالفلاح والعامل ثم بجميع طبقات الشعب) [2] .

ولا شك أن محمد نجيب – بهذا الموقف – كان راغبًا في السماح للشعب بالاستمرار في حركته الثورية التي بدأت قبل ٢٣ يوليو ٥٢ ، إذ تجمع المصادر التي أرخت لهذه الفترة أن الموقف السياسي والاجتماعي كان متفجرًا وكان ممهدًا لثورة ٢٣ يوليو ، بدليل ما يذكره الأستاذ الرافعي أنه : (عمت الحركة الفدائية الجامعات والشوارع والميادين ، وذخرت بالمظاهرات الصاخبة المفاجئة تهتف بسقوط الملك وأسرته ، وسُمعت فيها هتافات عدائية ضده لم تكن تسمع عالية من قبل في محيط الطلبة والعمال وطوائف الموظفين) ولم تكن المعركة ضد الاحتلال فقط [3] .

ويقول الأستاذ صبري أبو المجد : (شعب مصر هو الذي مهد لثورة ٢٣ يوليو التي جاءت من صلبه : أعدّ لها ، أشعلها ، حملها على كتفه ، نمّاها ، غذّاها ، دافع عنها بكل ما يملك من قوة ضد خصومها وأعدائها .. لولا ذلك الجهاد الرائع العظيم لشعب مصر في سنوات ما قبل ٢٣ يوليو ما كانت أبدًا ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢) [4] .

---

(١) يقول محمد نجيب : (وازدهرت فترة الحكم الوفدي بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وبدء الكفاح المسلح ضد الإنجليز في القناة .. وكان لهذا الموقف انعكاسات هامة في صفوف الجيش) من كتابه (كلمتي .. للتاريخ) ص ٢٣ .

(٢) محمد نجيب (كلمتي .. للتاريخ) ص ١٣١ .

(٣) طارق البشري (الحركة السياسية في مصر) ١٩٤٥ – ١٩٥٢ ، ص ٥١٣ .

(٤) صبري أبو المجد (سنوات الغضب – مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢) ص ٩ بتصرف يسير ، دار الحرية بمصر ١٩٨٩م .

ويعذر الدكتور حسين مؤنس بعض الناصريين ؛ لأنهم كانوا صبية وأطفالًا في العصر الناصري .. والكتب المدرسية التي درسوها كانت تقول لهم أن عبد الناصر بطل الأبطال وحامي الحريات وهو الذي خلق مصر ، ومصر قبله لم يكن لها وجود [١] .

ولوعي الرئيس محمد نجيب بهذا الواقع السياسي والاجتماعي الذي عاصره اتخذ موقف المطالبة بالسماح بقيام الأحزاب ، وحل مجلس الثورة باعتبارها انتهت وتسلّم لممثلي الأمة الشرعيين ، على أن تنتخب الجمعية التأسيسية رئيسًا للجمهورية بمجرد انعقادها [٢] ويبدو واضحًا أنه اتخذ هذا الموقف لسببين :

الأول : السماح للشعب المصري باقتطاف ثمرة ثورته وتضحياته ، مع المضي قدمًا نحو سبل إتاحة الحياة الحرة الكريمة بعد التخلص من كلٍّ من الاستعمار البريطاني الغاشم ، والحكم الملكي المستبد .

الثاني : كان يرى أن قدرة العسكريين على استيعاب المعاني السامية للديمقراطية – حسب تعبيره – أمر شديد الصعوبة نتيجة لطبيعة حياتهم داخل الجيش ، حيث تنفذ الأوامر بلا تردد ، ولا مجال للشورى وتبادل الرأي .. ومثل هذه الحياة قد تكون طبيعية في الجيش حيث الانضباط أساس للقتال ، ولكن السياسة أمر يختلف عن ذلك تمامًا ، فهي يجب أن تكون تفاعلًا حيًّا وحرًّا لآراء الجماهير ومعتقداتها [٣] .

= ويذكر أن من بين المؤامرات التي دبرت ضد شعب مصر غداة قيام ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ مؤامرات استهدفت قطع صلة الشعب تمامًا بماضيه .. فصوّر المنافقون أن ما قبل ٢٣ يوليو كان أشبه ما يكون بفترة الجاهلية وما بعد قيام ثورة يوليو كان أشبه بفترة ظهور الإسلام ! ص ٨٠٧ .

(١) حسين مؤنس (باشوات .. وسوبر باشوات) ص ٨٢ ، ويستكمل عبارته بقوله : (وعساهم الآن أن يكونوا قد عرفوا الحقيقة) .

(٢) سامي جوهر (الصامتون يتكلمون) ص ٢٦ ، المكتب المصري الحديث ١٩٧٥م .

(٣) الرئيس محمد نجيب (كلمتي .. للتاريخ) ص ٢٠٢ .

ويتفق رأيه مع رأي قائدين من كبار قادة جيشنا ، وهما المشير الجمسي والفريق سعد الدين الشاذلي . يقول الأول إن الرجل العسكري لا يصلح للعمل السياسي أبدًا ، وأن سبب هزيمتنا عام ١٩٦٧ هو اشتغال واتشغال رجال الجيش بالألاعيب في ميدان السياسة .. فلم يجدوا ما يقدمونه في ميدان المعركة ، ويقول الثاني : ليس هناك خلاف حول حتمية تبعية القيادة العسكرية للقيادة السياسية ، إذ إن الحرب هي امتداد للسياسة بوسائل أخرى ، وفي الدول الديمقراطية تكون القيادة السياسية منتخبة بواسطة الشعب ، وبالتالي فهي تمثل الشعب وتعمل على تحقيق أهدافه ، في حين أن القيادة العسكرية غير منتخبة ، وبالتالي يجب إخضاعها لإشراف القيادة السياسية [١] .

كان إذن محمد نجيب محقًّا في موقفه الذي سجّله له التاريخ ، وعندما علمت طوائف الشعب وهيئاته ونقاباته بدعوة الرئيس محمد نجيب للجيش بالعودة إلى ثكناته ومناداته بالحياة السياسية الديمقراطية ، انطلقت الجامعة معلنةً تأييده ، وتجمع عشرات الآلاف من الطلاب في القاعة الكبرى بجامعة القاهرة (وأكثر أعضاء هيئات التدريس أو كلهم وقفوا خطباء يقررون أن نجاح البلاد وتحقيق أهدافها لا يمكن أن يتم عن طريق قادة الانقلاب ، وأن للجيش مهامًا ينبغي أن يتفرغ لها ، وأن تدار شئون الدولة بالنظام الديمقراطي) [٢] .

كذلك اتخذت الهيئات القضائية ونقابة الصحفيين ونقابة المعلمين قرارات مماثلة (وهتف الجميع بضرورة الإفراج عن المعتقلين ، والعودة بالبلاد بسرعة إلى الحياة المدنية السلمية) [٣] .

---

(١) مقال د. هدى عبد الهادي بعنوان (سنوات التيه .. والمتناقضات الساخرة) ص ١٢ جريدة (الشعب) ٢ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ - ٣ يناير ٢٠١٤م .

(٢) د. أحمد شلبي (موسوعة التاريخ الإسلامي) ، جـ ٩ ، ص ٣٤٥ مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٠م .

(٣) نفسه ، ويقول د. أحمد شلبي : (وكان الشعب المصري حينذاك ضد قادة الانقلاب الذين استبدوا بالسلطة في غيبة الدستور وفي ظل المعتقلات والقهر) ص ٣٤١ .

ولكن عبد الناصر اتخذ موقفًا مضادًا ، وعزم على البقاء في السلطة ، فخطط بدهاء لإزاحة محمد نجيب والتخلص من كل القوى التي أيدته فيما كان يدعو إليه من عودة الحرية والديمقراطية ، فاتجه إلى تركيز جهده كله على الجيش مستعينًا في ذلك بعبد الحكيم عامر ، وكانت شئون الجيش قد وُكّلت إليه ، فتمكن من استمالة معظم رجال القيادة إلى جانبه وجانب عبد الناصر الذي قام بتدبير مظاهرات مفتعلة تهتف بسقوط الحرية كما تقدّم في حديث سابق .

وتصرف كهذا من عبد الناصر بالإضافة إلى تصرفاته الأخرى [1] جعل محمد نجيب يصفه بأنه كان يطبّق ما كتبه ميكافيلي في كتابه « الأمير » بأن الحاكم يجب أن يتخلص من الذين ساعدوه على الوصول إلى الحكم ، واستبدل بالضباط الذين ساعدوه في أزمة مارس ١٩٥٤ أتباعًا جددًا يدينون له شخصيًّا فقط بفضل وجودهم ، وتبارى الأتباع الجدد في الحصول على رضاه [2] .

وكان – رحمه الله تعالى – يتوقع النتائج ، ففي رأيه أن تحويل مصر – أكبر الدول العربية وقلبها النابض – إلى ضيْعة يتحكم فيها واحد مهما سمت غاياته وعظمت قدراته وتعددت طاقاته هو أمر لابد وأن ينتهي بكارثة [3] .

وهكذا ، انطبق على النظام الناصري وصف الكواكبي الذي قال : (الاستبداد لغة هو غرور المرء برأيه ، والأنفة عن قبول النصيحة ، أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق المشتركة) [4] .

---

(١) يقول بغدادي : (اعترف لنا جمال عبد الناصر وهو على فراش المرض أن الانفجارات التي كانت قد حدثت وأشار إليها في الاجتماع إنما هي من تدبيره ؛ لأنه كان يرغب في إثارة البلبلة في نفوس الناس ليشعروا بأنهم في حاجة إلى من يحميهم) د. حسين مؤنس (باشوات .. ص ٢٣٠) .

(٢) محمد نجيب (كلمتي .. للتاريخ) ص ٢٠٣ .

(٣) نفسه ص ٢٠٢ .

(٤) عبد الرحمن الكواكبي (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ص ١٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م .

ويزيد التعريف إيضاحًا فيقول : (المستبد يتحكم في شئون الناس بإرادته لا بإرادتهم ، ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم ، ويعلم من نفسه أنه الغاصب المعتدي ، فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدّها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته .. ويود أن تكون رعيته كالغنم) [١] .

ويتطابق هذا الوصف بحذافيره – ويا للعجب – على شخصية عبد الناصر ؛ لأنه كان يذل الناس ويعذبهم ويمتهن كرامتهم ، لأنه كان يحس أن مصر لا تتسع لإنسان آخر عزيز النفس مرفوع الرأس إلى جانبه ، كأنما كان يرى أن تحرير الإرادة المصرية معناه ألا يبقى على وجهها إلا رجل واحد له إرادة حرة هو عبد الناصر نفسه ، وأي مصري آخر يفكر في أن له كرامة وعزة إلى جانب العزيز الأوحد إنسان منحرف ينبغي أن يزول ، ومتمرد لابد أن يحطم ، وخطر لابد من القضاء عليه [٢] .

أما نتيجة تغلّب الاستبداد عقب أزمة مارس فيلخصها الدكتور حسين مؤنس بالكلمات التالية :

(خلال ١٥٠ عامًا من تاريخ مصر [١٨٠٥ – ١٩٥٢] حكم الباشوات بلادنا وملكوا كل شيء : السياسة والجاه وصدارة المجتمع والقصور والأموال والضياع ، وفي يوليو ١٩٥٢ انتُزعت منهم الثورة السياسية وصدارة المجتمع ولكن : من الذي استولى على القصور والأموال والضياع ؟ السوبر باشوات ! باشوات بلا ألقاب ، وأشراف بلا شرف ، وناس بلا إنسانية ، ومواطنون بلا وطنية) [٣] .

---

(١) نفسه ص ٢٣ .
(٢) د. حسين مؤنس (باشوات .. وسوبر باشوات) ص ١٤٩ .
(٣) د. حسين مؤنس (باشوات وسوبر باشوات) ص ٣ .

ولم يصدر هذا الحكم من فراغ ، إذ يحتوي كتابه على الكثير من الوقائع الدامغة ، منها تتبع مجوهرات محمد علي وقصور الملك والباشوات ، ومنها الشراء المفاجئ لبعض الضباط ... والتأميمات والمصادرات التي أصبحت حريقًا التهم كل ثروة وكل مال .. ووراء كل تأميم وقف واحد أو أكثر من السوبر باشوات ينتظر كأنه مستحق في وقف .. وناس أتوا من الشوارع وتولوا إدارة شركات كبرى كانت كلها تربح فانتكست وانحدرت إلى صف الشركات الخاسرة .

والحديث يطول عن محنة الفكر وأهل العلم وذوي الكرامة والرأي التي بلغت ذروة رهيبة ، والسجون التي غصت بالأبرياء ، وأعمال التعذيب التي وصلت دركات رهيبة وأصبحنا فعلًا في هولوكوست [1] .

ويقول الدكتور حسين مؤنس : (وإذا أمكن القول أن الخسائر المادية يمكن تعويضها ؛ فإن الخسائر المعنوية عسيرة التعويض ، وإلى يومنا هذا نحن نخوض معركة إصلاح التركة المعنوية ، والذين ألقوا بمسئولية التدهور الإداري والجرأة على أموال الدولة وفساد الإدارة واللامبالاة وضعف الانتماء القومي وغيرها على أنور السادات وحده يبدأون القصة من منتصفها الذي يعجبهم) [2] .

فشل الحركات المسمّاة بالتمرد [3] (وهي حركات الانقلابات العسكرية) :

في التأريخ لتلك الحركات في العصر الحديث يذكر الدكتور مراد هوفمان أن الجزائر كانت آخر الدول الإسلامية حصولًا على الاستقلال (١٩٦٢) ثم يقول : (في البداية ، فكرت تلك الدول الناشئة وأبطالها – محمد علي جناح – جمال عبد الناصر ،

---

(١) حسين مؤنس (باشوات وسوبر باشوات) ص ١٤٤ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، ط الزهراء للإعلام العربي .

(٢) نفسه ص ١٢٨ .

(٣) وهي في الحقيقة (تحررت) – إن صحّ التعبير – من تراثها الإسلامي ، فهي ليبرالية بالمفهوم الغربي ،

أحمد بن بللا ، هواري بومدين – أن تحتذي النموذج الغربي : الليبرالية ، القومية ، الاشتراكية ، بل حتى الشيوعية من النموذج الشرقي . لم يكن للإسلام دور رئيسي ، فالقومية العربية في مهدها لم تكن دينية ... بل إن جبهة التحرير الجزائرية والدستور الجديد التونسي كانا علمانيين . تشابه هذا الاقتداء بالغرب بما فعله أتاتورك في تركيا وأفكار المسلمين المستغربين مثل محمد أركون في فرنسا وبسام طيبي في ألمانيا) .

ويقرر بعد ذلك أن تلك التجارب قد فشلت ، ويرى أنه في مقابلها ظهرت الاتجاهات الإسلامية في بداية السبعينيات ووصُفت بالأصولية والتعصب السلفي .. وتصور البعض أن تلك الاتجاهات الإسلامية ما هي إلا حركة احتجاج جماعية ، دالة على التخلف التكنولوجي .. ولكن ثبت بوضوح أن ذلك التحليل ينقصه تقدير العامل الديني ، وفهم شعوب تأخذ دينها مأخذ الجد ، حتى لو كانت من شعوب العالم الثالث .

ويستشهد هوفمان برأي كلٍّ من بسام طيبي والباحث الفرنسي جيل كيبل ، إذ وضحّ الأول أن مصطلح « العودة للإسلام » ينطوي على مقدمة زائفة ؛ لأنه – باستثناء بعض المثقفين المستغربين – لم يفقد الإسلام مرجعيته لعقيدة ونظام حياة – حتى في تركيا – وإن غطّى ذلك قشرة رقيقة من الحداثة» .

أما الثاني فإنه علل ظهور الاتجاهات الإسلامية بكتابه (انتقام الله) بالرفض الأساسي للحداثة الأوروبية ، وتقديم مشروع بديل ، وبحسب تعبيره : (حيث ترى وجهة النظر الإسلامية أن التخلي عن الله يحط من شأن الإنسان) ..

ويقترح د. مراد هوفمان على المسلمين المحبطين في العالم الثالث طريقًا كريمًا للنهضة بالرجوع إلى أصول دينهم : (وبعيدًا عن محاولة تقليد الغرب أو منافسته

في عالمه المادي الاستهلاكي ، تلك المنافسة التي ليس لها أي فرصة للفوز فيها ، وشجّع على ذلك سلسلة الإهانات التي لا تنتهي التي ذاقها العالم العربي في فلسطين على يد الغرب)[١] .

كمال أتاتورك هو (أبو لهب) العصر الحديث :

وتأتي المقارنة بينهما من حيث شدة العداوة للإسلام والمسلمين ، إذ قلنا في بداية حديثنا عن أزمة مارس ١٩٥٤ أن أحداثها تذكّرنا بالتجربة الكمالية حيث قام أتاتورك بالانفراد بالسلطة ، واتخذ موقفًا عدائيًّا وقمعيًّا ضد الشعب التركي المسلم لتحويل مساره الحضاري الإسلامي عن طريقه التاريخي منذ قرون طويلة إلى طريق الحضارة الغربية ، ولئن كان أبو لهب قد حارب الرسول ﷺ والصحابة في عصر فجر الإسلام وسلك كل السبل في التعذيب والقتل ، فإن أتاتورك في العصر الأخير للخلافة الإسلامية المتمثلة في الخلافة العثمانية لا يقل عنه إجرامًا ، بل ربما يفوقه !

وقد أصاب الأستاذ صلاح الإمام في تصوير جريمته الكبرى بمقال بعنوان (نهاية الخلافة الإسلامية) ولنترك له هذه الصفحة ليحدثنا فيقول :

(نهاية الخلافة الإسلامية :

هو يوم من أسود أيام في تاريخ الأمة الإسلامية ، مثل هذا اليوم من عام ١٩٢٤ ، حين صوت البرلمان التركي على إلغاء نظام الخلافة ، بعد أن كان مصطفى كمال قد أعلن قيام الجمهورية التركية ، وبذلك طويت صفحة بدأت مسيرتها منذ أن وصل الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة وأقام أول دولة إسلامية

---

(١) د. مراد هوفمان (الإسلام كبديل) ص ٢٣ ، تعريب : عادل المعلم ، دار الشروق بمصر ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

لتستمر بعد وفاته حاملة اسم الخلافة ، لتكون رمز وحدة الأمة الإسلامية ، وراعية شئونها الدينية والدنيوية ، فلم يكن للمسلمين جنسية إلا هي ، ولا عرفوا دولًا قومية ، ولا انضووا تحت رايات جاهلية ، حتى احتل الغربيون معظم البلاد الإسلامية ، وعملوا على إزالة هذا الرمز الّذي يمثّل قوة المسلمين .

تولى (اليهودي) مصطفى كمال أتاتورك في غفلة من الزمان حكم تركيا ، وكان كل همه هو إلغاء الخلافة الإسلامية ، ليتفرغ بعد ذلك لتغيير وجه تركيا جذريًا ، حتى لا تبقى لها صلة بالإسلام ، فبدأ بإعلان أنقرة عاصمة للبلاد خلفًا لإسطنبول ، ثم اتخذ تدابير صارمة لبلوغ غاياته ، فأعلن الحرب على التدين ، وجعل مدار نشاطه توطيد أركان العلمانية ، وإعادة « الهوية التركية » للشعب ، وتخليصه من التأثير العربي ، ففي ١٩٢٥ فرض ارتداء القبعة للرجال بدل الطربوش كإجراء رمزي لتطليق العادات الإسلامية ، وتبنى التحول إلى العادات الغربية ، فعل هذا باسم الديمقراطية التي تحترم الحياة الخاصة والاختيارات الشخصية فلا تتدخل فيها ، لكنه كان يرفع شعارها ليغطي على نزعته الاستبدادية التي تغذيها عداوته الشرسة لدين الله ولغة القرآن ، حتى إنه منع الحجاب وكل الملابس التقليدية على الرجال والنساء ، وقد « سمح » برفع الأذان في المساجد لكن باللغة التركية ، وكم كان يتضايق من لفظ الشهادتين ، لأن فيها تعظيمًا للرسول ﷺ ، وقد كان يرى أنه أجدر بالذكر منه .

ألغى التاريخ الهجري ليعتمد التاريخ الميلادي ، كما اعتمد الحروف اللاتينية لكتابة اللغة التركية بدلًا من الحروف العربية ، وغيّر العطلة الأسبوعية من الجمعة إلى الأحد ، وألغى كل الضوابط الشرعية المتعلقة بالمرأة لتتساوى مع الرجل تمامًا ، من غير اعتبار للفوارق الطبيعية بين الجنسين .

ثم أقدم على أخطر إجراءاته على الإطلاق ، وهو إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية وتبني القوانين الوضعية ، ففرض القانون المدني السويسري ، والقانون الجنائي الإيطالي ، والقانون التجاري الألماني ، فاحتكم المسلمون لأول مرة في تاريخهم إلى قوانين غير ربانية بل وضعية وأجنبية .

وقد اعتمد مصطفى كمال في حملته الشرسة لمحو آثار الإسلام والعربية على سياسة قمعية وحشية استهدفت علماء الدين بالدرجة الأولى ، وطالت كل من اعترض على توجهاته ، فكان التقتيل والسجن والتشريد إلى جانب السخرية الرسمية بمظاهر التدين كلها وانتهاك أبسط الحريات الشخصية ، كل هذا باسم الديمقراطية ، رغم أنه كان مستبدًا طاغية لم يفوضه الشعب لمعاداة الإسلام ، ولا لتغيير وجهة البلاد ، كما لم يحترم رأيًا مخالفًا ، أي إنه لم تكن له علاقة بالديمقراطية في قليل ولا كثير) [(١)] . انتهى كلام الأستاذ صلاح الإمام .

الناصرية تعكس (الانقطاع الحضاري) :

وتتصل الدراسة المقارنة التي قام بها الدكتور « حسين مؤنس » ، تتصل بمنهجنا الموضوعي الذي نتوخى به التعريف بالحقائق وتصحيح المعلومات الخاطئة التي حفلت بها الكتب المدرسية فأفقدت وعي الأجيال الجديدة وساقتها إلى السير معصوبة العينين أمام لافتة تسمّى (الناصرية) ظنًّا أنها تؤدي إلى التحرر والتقدم والنهضة ، ثم تبيّن أنها عنوان للدكتاتورية والانقطاع الحضاري لتاريخ مصر ، ومن ورائها الشعوب العربية والإسلامية .

وأول عوامل هذا الانقطاع الحضاري ، هو أن أولئك الضباط ، وعلى

---

(١) صلاح الإمام - المصريون في ١٠ ربيع ثان ١٤٣٢ هـ - ٣/ ٣/ ٢٠١٢م .

رأسهم « جمال عبد الناصر » نحوّا جانبًا العلماء والقادة وبعض رجال السياسة الشرفاء ، ومِن ثَمَّ أهدروا طاقات ذهنية وخبرات عملية ، كان بوسعهم لو استفادوا منها لحقّقوا أمل الأمة في إقامة نهضة راسخة البنيان وأسهموا في تجديد حضارتها . ونضرب مثالًا لذلك بما تفعله الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد دلت (دراسات عدّة أن مكاسب أمريكا من وراء العقول المهاجرة أكبر بكثير من كل المعونات الخارجية التي تقدمها لدول العالم الثاني) [1] .

ونقول : ولكن ركبهم غرور الشباب وحب التسلط وازدراء الآخرين ظنًّا أنهم الأفضل لأنهم نجحوا في اقتناص سدّة الحكم ، ثم أخذوا في إقصاء كل من لا يسير وراءهم ، فكانت الهزائم المتوالية وتقهقرت مصر إلى الخلف ، بعد أن كانت في مقدمة شعوب المنطقة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد سجّل الدكتور « حسين مؤنس » تاريخ ما قبل ثورة ٢٣ يوليو وعقد مقارنات بين أحوال مصر ما قبلها وما بعدها ليعرّفنا بالحقائق التي كانت غائبة عن الكثيرين الذين تعرضوا لعمليات (غسيل المخ) بشكل مكثف دائم ، فقال : « ومصر لم تُخلق يوم قامت ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ ، بل كان فيها دائمًا رجال مفكرون ، وموضوع الإصلاح الزراعي كان مطروحًا على مائدة البحث من زمن بعيد ، وكانت هناك مشروعات كثيرة لطريقة تنفيذه في خزائن الدولة . وكذلك إلغاء الألقاب ، والمجانية الكاملة للتعليم ، وقوانين أجور العمال ، وما إلى ذلك ، ولكن كل هذه المشروعات التي تبنتها الثورة – كما قلنا – لم تنبع من فكر رجال الثورة أولًا ، ثم إن الصيغة التي تبناها رجال الثورة كانت دائمًا صيغة خاطئة حافلة بالعيوب ؛ حتى مشروعات غزو الصحراء ، وتوسيع رقعة الأرض الزراعية لم ترسم

(١) د. عبد الكريم بكار (المشروع الحضاري) ص ١٩٧ دار السلام بمصر ١٤١٣ هـ - ٢٠١٠م .

لها خطة واضحة ، بل عُهِد بتنفيذها إلى صاحب الحظ والتصيب من المرضيّ عنهم ، وأنفقت ملايين وتشعبت المشروعات ، فصارت هناك مصانع كثيرة إلى جانب أعمال إصلاح الأرض التي تكلّف كل فدان منها أضعاف قيمته ، ثم قامت الثورة نفسها بتصفية هذا المشروع كله وعيّنت المسئول عنه في وظيفة كبرى ، ووزعت وجوه نشاطه على عدد من الوزارات ، بل أُنشئت لذلك لجنة يمكن أن تسمى لجنة تصفية قام على رأسها المهندس سيد مرعي) [١] .

وفي الختام ، تنهي أحاديثنا بتناول موضوعيْن لهما صلة وثيقة بانقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، ودوْره في تضليل الرأي العام :

أحدهما : عن السد العالي لتعرف مدى التضليل الإعلامي الذي مارسته أبواق الدعاية لـ « عبد الناصر » ، والذي جرّنا إلى هزيمة عسكرية مذلة أدت إلى ضياع القدس ووقوع المسجد الأقصى السليب بأيدي اليهود ، وكنّا في غنىً عنها لو ترجّح الإنصات لصوت العقل والعمل بمبدأ الشورى ومعرفة آراء المعارضين المخلصين ، إذ اتضح في النهاية أن أضراره تفوق فوائده بشهادة علماء متخصصين !

الثاني : الحديث عن نموذج صارخ من تضخيم الذات على حساب إنكار فضائل الآخرين .

١ – السد العالي بين فوائده وأضراره : [٢]

سد أسوان العالي أو السدّ العالي هو سد مائي على نهر النيل في جنوب مصر ،

---

(١) نفسه ص ٢٥٥ .

(٢) ويذكر « توفيق الحكيم » أن المشروع كان موجودًا في أدراج حكوماتنا السابقة ، ولم ينفَّذ إما لضخامة تكاليفه .. ولم تتم مناقشة مفتوحة ليعرف الناس الرأي وضده .. وعندما عارضه مهندس كبير هو « عبد العزيز عبده » واكتشف غضب الثورة عليه غادر البلاد . (عودة الوعي) ص ٧٠ .

أنشئ في عهد « جمال عبد الناصر » وساعد السوفييت في بنائه ساعد كثيرًا في التحكم في تدفق المياه والتخفيف من آثار فيضان النيل ، ويستخدم لتوليد الكهرباء في مصر . طول السد ٣٦٠٠ متر ، عرض القاعدة ٩٨٠ متر ، عرض القمة ٤٠ مترًا ، والارتفاع ١١١ متر . حجم جسم السد ٤٣ مليون متر مكعب من إسمنت وحديد ومواد أخرى ، ويمكن أن يمر خلال السد تدفق مائي يصل إلى ١١.٠٠٠ متر مكعب من الماء في الثانية الواحدة .

بدأ بناء السد في عام ١٩٦٠م وقد قُدِّرت التكلفة الإجمالية بمليار دولار شطب ثلثها من قبل الاتحاد السوفيتي . عمل في بناء السد ٤٠٠ خبير سوفيتي ، وأكمل بناؤه في ١٩٦٨م . ثبّت آخر ١٢ مولدًا كهربائيًا في ١٩٧٠م ، وافتتح السد رسميًا في عام ١٩٧١م ، ولكن أدى السد العالي إلى تقليل خصوبة نهر النيل وعدم تعويض المصبات في دمياط ورأس البر بالطمي مما يهدد بغرق الدلتا بعد نحو أكثر من مائة عام ، وبسبب بعض العوامل الأخرى مثل الاحتباس الحراري ، وذوبان الجليد بالقطبين الشمالي والجنوبي بتأثير سلبي من طبقة الأوزون . وتجدر الإشارة هنا إلى أن أول مَن أشار ببناء هذا السد هو العالم العربي المسلم الحسن بن الحسن ابن الهيثم - (ولد عام ٩٦٥م وتوفي عام ١٠٢٩ م) . والذي لم تُتح له الفرصة لتنفيذ فكرته ، وذلك بسبب عدم توفر الآلات اللازمة لبنائه في عهده .

فوائده :

١ - عمل على حماية مصر من الفيضان والجفاف أيضًا حيث إن بحيرة ناصر تقلل من اندفاع مياه الفيضان ، وتقوم بتخزينها للاستفادة منها في سنوات الجفاف .

٢ - وعمل السد العالي - أيضًا - على التوسع في المساحة الزراعية نتيجة توفر المياه ، وهذا التوسع أفقي ورأسي .

٣ – عمل أيضًا على زراعة محاصيل أكثر على الأرض نتيجة توفر المياه مما أتاح ثلاث زرعات كل سنة .

٤ – توليد الكهرباء : حيث إنه كان من المقرر أن يولد ٢.١ جيجاوات وهو ما كان يمثل ٥٥٪ من الطاقة المولدة بمصر عام ١٩٧٦م ، إلا أنه لم ينتج الطاقة المرجوة في ذلك الوقت ؛ وذلك بسبب انسداد مداخل التوربينات بالطمي (وقد تم إصلاحها فيما بعد) وفي التسعينيات ازدادت محطات الكهرباء الحرارية المنشأة في مصر إلى ١٦.٦ جيجاوات ، فأصبح السد العالي يساهم بأقل من ١٣٪ منها ، وستنقص هذه النسبة إلى ٨٪ بحلول عام ٢٠١٠م حيث ستزداد المحطات الحرارية على ٢٦ جيجاوات . أو بمعنى آخر : كان من الممكن إنشاء محطات حرارية لتؤدي نفس الغرض بتكلفة أقل .

٥ – إنشاء صناعة سمكيّة في بحيرة ناصر إلا أن هذا المشروع أثبت أنه باهظ التكاليف لضرورة تجميد ونقل الأسماك للمناطق الشمالية .

أضراره :

١ – بحيرة ناصر غمرت قرى نوبية كثيرة في مصر وأكثرها في شمال السودان ، مما أدى إلى ترحيل أهلها ، بما يسمى بالهجرة النوبية .

٢ – حرمان وادي النيل من طمي الفيضان المغذي للتربة .

٣ – زيادة النحر Erosion حول قواعد المنشآت النهرية .

٤ – تآكل شواطئ الدلتا .

٥ – تشير بعض التقديرات إلى أن كمية التبخر في مياه بحيرة ناصر خلف السد العالي كبيرة جدًا باعتبار أنها تعرض مساحة كبيرة من المياه للشمس في مناخ

حار جدًا ، ويقدر حجم الخسارة ما يماثل حصة العراق من نهر الفرات . إضافة إلى انتشار بعض النباتات وتأقلمها مع الظروف الجديدة وإسهامها في عملية النتح ، وبالتالي مزيدًا من الخسارة في المياه .

٦ – يرى البعض بأن السد العالي يمثل تهديدًا عسكريًا لمصر ، إذ يصعب تخيل النتائج التي يمكن أن تترتب على تفجير السد ، وحجم الفيضان الذي سيصيب المدن المصرية الواقعة على مسار النهر والتي ستكون أمام طوفان خطير .

٧ – منع الفيضان الذي كان يغذي الأرض الزراعية بوادي النيل بطمي عالي الخصوبة مما أجبر المزارعين على استخدام الأسمدة الكيماوية – هذه الأسمدة يتم استيراد معظمها من الخارج ، وتساهم في التلوث الكيميائي للبيئة .

٨ – إغراق جنوب النوبة وإعادة استيطان أكثر من ٩٠.٠٠٠ نوبي مع زيادة الطمي المترسب في بحيرة ناصر ؛ مما أدى إلى التقليل من كمية المياه التي يمكن تخزينها في البحيرة ، وتآكل الأرض الزراعية وشواطئ النيل التي كانت تتغذى بطمي الفيضان .

٩ – أدت وسائل الري غير السليمة إلى إغراق الأرض وطفح الأملاح إلى السطح ؛ فأصبحت بذلك غير صالحة للزراعة . وقد تفاقمت هذه المشكلة بعد أن نقص تدفق المياه في النيل الذي كان ينقل الأملاح إلى البحر .

١٠ – تراجع الثروة السمكية في البحر المتوسط بسبب حجز المواد الغذائية التي كانت الأسماك تتغذى عليها خلف السد ؛ مما أدى إلى القضاء على بعض الأنواع .

١١ – تآكل الشواطئ في شرق البحر الأبيض المتوسط بسبب حجز الرمال التي كانت تأتي من النيل مما سيؤدي إلى غرق شمال الدلتا (تحت مياه البحر) ،

والدلتا الآن فقدت قدرًا كبيرًا من الخصوبة ، وكذلك تراجعت صناعة الطوب الأحمر (المصنّع من طمي الدلتا) إلى حد كبير .

١٢ – ازدياد حالات البلهارسيا ؛ وذلك نتيجة ازدياد الأعشاب في بحيرة ناصر التي تتغذى عليها القواقع التي تحمل المرض .

١٣ – ازدياد ملوحة البحر الأبيض مما أدى إلى تغيير في معدل تدفق مياه البحر إلى المحيط الأطلنطي عند جبل طارق . وهذا التدفق يمكن تتبعه لآلاف الكيلو مترات داخل الأطلنطي . ومن المعتقد أن هذا التغيير سيعجل من العصر الجليدي القادم .

١٤ – إغراق الآثار [١] .

أما أكبر أضراره فإن مصر معرّضة للغرق إذا ما قامت إسرائيل بضربه بقنبلة ذرية . فقد كتب الأستاذ « محمد الحسيني إسماعيل » تحت عنوان : سيناريو ضرب السد العالي بالقنابل النووية الإسرائيلية ...

يقول : « والآن ، لنبين الحقائق التالية لجهابذة المتكلمين عن ضرب السد العالي بالقنابل النووية ... سوف ينهار جزء كبير من جسم السد ، وبالتالي سوف ينخفض منسوب قمة السد عن ١٩٦ مترًا ...

وبعد ذكر تفاصيل عن (قناة توشكى) يرى أنه لن يدخل فيها قطرة واحدة من المياه ... وسوف تكون النتيجة على حسب دراساتهم المتوقعة إبادة ٣٠٪ من سكان شعب مصر بشكل مباشر نتيجة اكتساح مياه بحيرة ناصر للمدن المصرية ، هذا عدا مياه النيل نفسها التي سوف تحمل كوارث التلوث الإشعاعي ، وما تؤدي إليه من أمراض مهلكة وسرطانات .

---

(١) بحث علمي للدكتور محمود جبر – كلية العلوم – جامعة القاهرة (تخصص علوم زراعية) .

وهو يرد بهذه الدراسة العلمية على مَن يظنون أنه عند ضرب السد بالقنابل النووية ستتدفق مياه بحيرة السد إلى منخفض توشكى الموجود غرب النيل لهذا الغرض ! »[1] .

٢ – تحرير الجزائر :

ومن التهويلات التي تبثها الدعاية الناصرية أن « عبد الناصر » أسهم في تحرير بلدان العالم الثالث (وبخاصة الجزائر) ، وكأنه انفرد وحده بدعمها .

وتتغاضى مؤقتًا عن حملته العسكرية في الكونغو التي أصيبت بالفشل[2] وكذلك هزيمة الجيش في حرب اليمن ، ونناقش زعم تحرير الجزائر فنقول وبالله التوفيق :

---

(١) دراسة محمد الحسيني إسماعيل بعنوان : (كارثة صفقات الأسلحة الفاسدة ...) جريدة الشعب ص ١٠ ، ٢١ رمضان ١٤٣٤ هـ – ٣٠ يوليو ٢٠١٣م .

(٢) حدث انقلاب أطاح بالرئيس (لومومبا) الذي كان جيش مصر مكلَّفًا بحماية ثورته ، ليحل محله (موبوتو) الذي أسرف في مهاجمة « عبد الناصر » وصرّح برفضه لتواجد هذا الجيش ببلاده ، والله تعالى وحده يعلم ما كان سيحدث لو لم يقم الفريق « سعد الشاذلي » بسحب قواته لتفادي مكائد (موبوتو) . آمال البنا (سعد الدين الشاذلي .. القائد الأسطورة) ص٤٦ – سلسلة (اقرأ) دار المعارف بمصر – ٢٠١٣م .

أما حرب اليمن البشعة التي استمرت خمس سنوات فهي وصمة عار في جبين ضباط حركة يوليو ٥٢ ، ونكتفي ببضعة أسطر كتبها الأستاذ إبراهيم سعده تحت عنوان (حرب اليمن ، أو الدرس الذي لا يُنسى) ، كتب يقول : (رأينا الطائرات الحربية والمدنية أيضًا تقلع من جميع مطاراتنا وتحمل الأطنان من القنابل والهدايا وأكياس الذهب .. لتشارك في أعنف حرب شهدتها رمال وجبال اليمن السعيد .

ورأينا السفن الحربية والمدنية أيضًا تتدفق على البحر الأحمر ، حاملة الآلاف من ضباطنا وجنودنا ومئات الدبابات والمدرعات والسيارات والمدافع وصناديق الذخيرة .. وطالت الحرب سنوات وسنوات ، استشهد في معاركها ألوف عديدة من ضباطنا وجنودنا الأبطال الأبرياء .. واستمرت خزانة الدولة تصرف على هذه الحرب أكثر من مليون جنيه إسترليني يوميًّا) ص٦٩ من كتابه (سنوات الهوان) .

اولاً : إن من قدَر مصر (قلب العالم العربي والإسلامي) أن تهب لمساندة شعوبه عند تعرضها للعدوان ، حدث هذا في الماضي فصدّت حملات الصليبيين ، وغزوات التتار ، وحاولت إنقاذ فلسطين وسيحدث في المستقبل في ظل أية حكومة وطنية تعرف واجبها لتمضي قدُمًا في أداء رسالتها نحو أمتها .

ثانيًا : لم تنفرد مصر وحدها بمساندة ثورة الجزائر ، بل تكاتفت دول عربية وإسلامية أخرى على مساعدتها ، وبالمقارنة بدور مصر يتضح أنه ربما كانت الأقل إسهامًا .

ويسجل تاريخ ثورة الجزائر عام ١٩٤٥م أنه ما كادت أول رصاصة تطلق حتى هبّ العالَم العربي والإسلامي يساندها بفضل ما عُرف عن الجزائر من زعمائها وفي طليعتهم (محمد البشير الإبراهيمي) الذي قام بنشاط كبير بأسفاره لمعظم البلدان العربية والإسلامية : مصر ، سوريا ، العراق ، السعودية ، لبنان ، الأردن ، الحجاز ، باكستان ، الهند ، أندونيسيا ، الكويت ، ليبيا ، كما كان على اتصال بالملوك والرؤساء لتلك الدول والشخصيات البارزة فيها .. وكان الهدف خدمة الثورة بالتعريف بها وجلب التأييد العسكري والمالي لها .

ومن رحلات الإبراهيمي للبلاد الإسلامية : رحلته إلى السعودية ومقابلته الملك سعود بن عبد العزيز ، حيث ذكّره بواجباته نحو الجزائريين ...

وما هي سوى أسابيع حتى أصبح معمل السلاح في بلدة الخرج في نجد يعمل ليلًا ونهارًا ، ويصدّر العتاد والذخيرة للمجاهدين الجزائريين ، كما قامت الحكومة بتقديم مساعدات مالية ضخمة لشراء الأسلحة ، وقدّمت الدعم السياسي والأدبي للثورة ، ومن السعودية انتقل الإبراهيمي إلى ليبيا وتونس لنفس

المهمة ... وفي يوم الجزائر عام ١٩٥٧م نظّم في كل البلدان العربية والإفريقية والآسيوية يوم خاص سمّي يوم الجزائر لدعم الثورة الجزائرية ... ولم يكلّ الإبراهيمي في السعي والاتصال بقادة الدول العربية والإسلامية لجمع الأموال والأسلحة[1].

* * *

(١) باختصار : مقال بقلم الأستاذ : بن ساعد محمد بعنوان : (العلاّمة محمد البشير الإبراهيمي والثورة التحريرية المباركة) جريدة (البصائر) الجزائرية ١٦ رجب ١٤٣٤هـ، ٢٥ مايو ٢٠١٣م .

هزيمة يونيو ٦٧ قاصمة الظهر لثورة يوليو ٥٢

والآن . أصبح الانتقال إلى عرض وتحليل الهزيمة الكبرى في يونيو ٦٧ ضرورة من ضرورات التعرّف على الحقائق ، وإبطال مفعول التزييف والتضليل طوال العصر الناصري ، وغرضنا توعية الأجيال الجديدة ، لكي تعي الدرس ، وتتفادى في المستقبل الوقوع في الشّباك التي يصنعها الأعداء في الطريق إلى الانتقال إلى مستقبل أفضل .

إن فتح ملف هزيمة ٦٧ يتضمن أوراقًا لا حصر لها بسبب فداحة الحدث وما أحيط به من ملابسات واختلاف في الآراء ، وأثره في مستقبل مصر والأمة العربية والإسلامية ... إلخ ..

وسنتحدث في هذا النطاق عما يتصل بجوهر قضيتنا : أي الحضارة الإسلامية بين مشاريع التجديد الأصيلة ، والأخرى المصنوعة والمستوردة التي أجهدت الأمة ، وكانت عائقًا لها عن التقدم والرقيّ والنهضة الحقّة ، وقد اتضح لنا أن ثورة ٢٣ يوليو تعتبر انقطاعًا حضاريًا للأمة ، بل انتهى بها الأمر إلى ما هو أفدح ، فأصابت مصر (ومعها الأمة الإسلامية) بنكبة كبرى تمثّلت في هزيمة يونيو ٦٧ ، فأضاعت القدس ومكّنت اليهود من تدنيس المسجد الأقصى .

إن الحكم الصائب الذي لا يختلف عليه اثنان ، أن هزيمة ٦٧ كانت قاصمة الظهر لثورة ٢٣ يوليو ٥٢ [1] ، وكشفت القناع عن المأساة التي عانى منها شعب

---

(١) علّق أنيس منصور على هتاف الناصريين حينئذ (فداك ألف جيش وجيش يا ريّس) ، فقال : (هذه النوعية من التراتيل الكهنوتية التي يرددها مشايخ الطرق الناصرية استفزازية لأنها إهانة للإنسان ، وتجاهل =

مصر ، ومِن ثَمَّ ينبغي أن نُنهي النقاش حول مشاريع النهضة ، لترجّح كفة التجربة التاريخية الإسلامية التي خاضتها أمتنا مِن قبْل استنادًا إلى نصوص ثابتة صحيحة ومقاصد صائبة ، وحياة طيبة في الأطر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فقد اتضح بالتجربة أنها سفينة النجاة .

واختصارًا للوقت - لا للهدف - سنلخّص حديثنا تحت العناوين الآتية :

١ – ظروف حرب ١٩٦٧م ومقدماتها .

٢ – كيف دارت المعركة وأسباب الهزيمة ؟

٣ – من المسئول عن الهزيمة ؟

أولاً : مقدمات (النكسة) وظروف حرب ١٩٦٧م :

لتخفيف وقع كارثة هزيمة يونيو ٦٧ اخترع المنافقون والمضللون وصفًا لها بأنها (نكسة) ، وما أبعد هذا الوصف عن الحقيقة والواقع ![1] .

يقول ضابط الصاعقة « علي عبد المنعم مرسي » : « كانت هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧م كارثة لم يعرف لها التاريخ المصري مثيلًا ، وقد حاول الذين صنعوها أن

= لويلات ملايين المصريين والعرب ، وصفعات وركلات لنصف مليون جندي كانوا يلحسون الرمال ، ويعتصرون الماء من علب الصفيح بحثًا عن قطرة ماء ، ومئات الألوف من الضحايا ذهبوا في « نزهة عسكرية » ولم يعودوا ، لقد ماتوا بحسرتهم وعاش بغيظهم : آباء وأمهات وزوجات وأولادًا وبنات) .

ص ٦ من كتاب (عبد الناصر المفترى عليه والمفتري علينا) نهضة مصر – ٢٠٠٢م .

(١) اعتبرت إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧م الأرض التي استولت عليها هي أرض مستردّة ، وحذّر أحد الحاخامات من التفريط فيها معلنًا تكرارًا بأن إخفاق إسرائيل في غزو لبنان ١٩٨٢م وحتى ١٩٨٥م عقابًا لها عن جدارة لخطيئتها في إعطاء جزء من أرض إسرائيل لمصر (يعني سيناء) !

ص ١١٥ من كتاب روجيه جارودي (محاكمة الحرية) منشورات الفيحاء – بيروت ١٩٩٨م .

يطلقوا عليها وصف (النكسة) التخفيف من وقعها، والتهوين من شأنها .. ولكن التاريخ لا يرحم ولا يخطئ .. لذلك عاشت الحقيقة واندثرت كل الأكاذيب والتبريرات والأخطاء، وعرف الناس أن ما حدث يوم ٥ يونيو كان جريمة ارتكبها حكّام مصر وقادتها، وليس هزيمة ألحقها العدو بشعبها وجيشه، فلم تكن هناك حرب ولا معركة ولا خطة .. »[1].

وبأسلوبه الأدبي كتب « أنيس منصور »:

« ولا أعرف كيف استطاع الذين كتبوا عن نكسة ١٩٦٧م أن يمسكوا أقلامهم وأعصابهم وهم يكتبون عن أعمق مأساة في تاريخنا، مأساة توقف عندها التاريخ، لم تجف لها دموع الملايين على مئات الألوف من الأبرياء، كيف استطاع عبد الناصر أن يخدع شعبًا ويضلل أمة ؟! في مايو ١٩٦٧م أعلن أنه لن يحارب .. لن يهاجم .. لن يبدأ، ثم حشد مئات الألوف من الجنود بلا استعداد، بلا خطّة .. وجعلهم عراة في الصحراء .. ولم يحدث في تاريخ الحروب أن دخل جيش معركة مهانًا مفضوحًا كما حدث لجيشنا »[2].

ثم يصف أثر الهزيمة بأنها أصابت كل إنسان بالهزيمة في نفسه، وفي بيته، وفي بلده، وفي جيشه، وفي أمته بين كل الأمم[3].

---

(١) عصام دراز (ضباط يونيو يتكلمون – كيف شاهد جنود مصر هزيمة ٦٧؟) ص ٣٧ ط المنار الجديد – هليوبوليس غرب ١٩٨٩.

(٢) أنيس منصور (عبد الناصر المفترى عليه والمفتري علينا – وخطاب مصطفى أمين إلى الرئيس عبد الناصر ص ١٥٤)، نهضة مصر ط ٥ يونيو ٢٠٠٨م، ويذكر أن مصر في حرب اليمن فقدت مائة ألف شهيد وعشرات البلايين من الجنيهات ذهبًا (ص ٧).

(٣) نفسه ص ٢٧٢.

وأما عن مراحل الإعداد للحرب ، ففي البدء طلب « عبد الناصر » من السكرتير العام للأمم المتحدة إنهاء عمل قوات الطوارئ الدولية في الأرض المصرية ، تلك القوات التي اتخذت أمكنتها منذ ١٩٥٦م ... ويعلق الدكتور « أحمد شلبي » على ذلك بقوله : « ولم يكن أكثر المصريين يعرفون أن قوات دولية تعيش على أرضهم »[(١)] .

وكان لوقع إخفاء وجود تلك القوات تأثير بالغ الألم في صفوف بعض أفراد القوات المسلحة ، منهم : المهندس « محمد فؤاد غانم » بالقوات الجوية الذي صرّح بغضب : (**إخفاء الحقائق عن الشعب .. كم مواطن مصري قبل حرب ٦٧ كان يعرف أن إسرائيل كانت تمر علناً من شرم الشيخ ؟ كم ضابط مصري كان يعرف أن مضايق تيران تحت رحمة إسرائيل .. وأن ذلك بموافقة مصر ؟**

أما عن الحملة الإعلامية عن صواريخنا (القاهر) و(الظافر) فمن المذهل أنها كانت صواريخ هيكلية من الخشب والصاج ! أما التجربة التي أجريت أمام عبد الناصر وعامر فإنها لا تمت إلى الصواريخ بصلة ، فقد سقطت على مسافة قريبة .. فلم يكن بها أجهزة الصواريخ الموجهة .. وكانت الدعاية حينذاك قد أشاعت أنها ستضرب تل أبيب ، وذلك في الاستعراض العسكري يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٢م »[(٢)] .

---

(١) أحمد شلبي (موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جـ٩ ، ص ٧٢٣) ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٩ . ويقع الكتاب في نحو ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير - وهو مصدر لا يستغني عنه دارس تاريخ حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، وقد استغرقت كتابته ثمانية وعشرين عامًا منذ يوليو ٥٢ إلى نهاية ١٩٧٩م (ص ٨٠٤) .

(٢) عصام دراز (ضباط يونيو يتكلمون) ص ١٢٢ مصدر سابق .

ومن المضحك المبكي ما صرح به عبد الناصر بأنه سيلقي باليهود في البحر الذي جاءوا منه .. وينتهي كل شيء ، وبذلك يكون هو الطبعة المنقحة من صلاح الدين الأيوبي .. أو هو الأفضل .. لأنه نابع من أرض مصر . أنيس منصور (عبد الناصر المفترى عليه والمفتري علينا) ، ص ٢٨٠ ، مصدر سابق .

ويرجع تاريخ نشر القوات الدولية على أرض مصر إلى حرب عام ١٩٥٦م (الذي صوّرته الدعاية بأنه نصر سياسي) حيث تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية لإخراج إنجلترا وفرنسا من المنطقة ، وتسليم قناة السويس لمصر في مقابل فتح خليج العقبة لإسرائيل ، وهذا ما نُفذَ بالفعل بين « أيزنهاور » و« عبد الناصر » ، وظل أمره مخفيًا إلى عام ١٩٦٧م [(١)] .

وفي تحليل دوافع الحرب يذكر « توفيق الحكيم » أن نشر جيوشنا كلها في سيناء بشكل استعراضي هائل ، وتكديسنا هناك لكل دباباتنا الجديدة والقديمة ، وكل جنودنا المدرّبين وغير المدرّبين ، تضخيمًا للعدو ، وتكبيرًا للمظهر ، وإرهابًا بالمنظر ، دون أن تكون هناك نية هجوم حقيقي .. من كل ذلك يتضح أن المقصود الوصول إلى الهدف بالتهويش وليس بالعمل الفعلي ، ثم يعقد « الحكيم » مقارنة بين « عبد الناصر » وإسرائيل ، فيقول : « وهذا ما يؤكد ما أعتقده من أن عبد الناصر في داخليته رجل سلام ، على الرغم من كلامه العنيف في حين أن إسرائيل تريد الحرب وتهوّش بالسلام ، وبذلك خدعت العالم وجعلت نفسها في صورة الأمة الضعيفة المسالمة ، المهددة بعدوان دولة تفوقها عددًا وتجعجع بالحرب لتلقي بها في البحر » [(٢)] .

---

(١) توفيق الحكيم (عودة الوعي) ص ٧٢ ، مكتبة مصر بالفجالة ١٩٧٧م .

(٢) نفسه ص ٧٦ ، ويقول إبراهيم سعده : (وكانت الهزيمة قاسية جدًّا ، عنيفة جدًّا ، وإسرائيل أعلنت أنها لن تنسحب أبدًا إلى سابق حدودها قبل ٥ يونيو .. وجاء التفسير من جانبنا وراء التفسير ، ولكن تلك التفسيرات كلها لم تكن أبدًا مقنعة . كاتب أراد أن يهون من فداحة الحادثة فقال إن الولايات المتحدة الأمريكية أرسلت قواتها وطائراتها لمساعدة إسرائيل وضرب مصر من قاعدة هويلس في ليبيا ، ثم عاد نفس هذا الكاتب ليزعم أن المأساة تكمن في أن القيادة المصرية توقعت أن تأتي الضربة الإسرائيلية من الشرق ، ففوجئت بها تنقض عليها من الغرب ، ولم يصدّق أحد كلمة واحدة من هذه السلسلة من الأكاذيب) . (سنوات الهوان) ص١٩٦-١٩٧ .

ثانيًا : كيف دارت المعركة وأسباب الهزيمة :

أما التسجيل التاريخي للخطة العسكرية التي كانت موضوعة حينذاك ، فقد صرّح بها الفريق أول « محمد فوزي » حيث قال : إنه في يوم الجمعة ٢/ ٦/ ١٩٦٧م اجتمع الرئيس « جمال عبد الناصر » مع المشير « عامر » ومعه تسعة من قادة القوات المسلحة (وكنت أنا بينهم وأنذرنا بأن إسرائيل ستقوم بالضربة الجوية صباح ٥/ ٦/ ١٩٦٧م ويدأ في القول أن على القادة عمل الإجراءات الوقائية لمثل هذا الحدث ... والمؤكد أنه في يوم ٥/ ٦/ ١٩٦٧م كانت معركة دفاعية ، ومصر تطبق الخطة الدفاعية المصدق عليها عام ١٩٦٦م واسمها قاهر [١] .

وكانت الأوامر بتلقي (الضربة الأولى) مثار نقاش ، إذ أخذ يتساءل البعض : لم لا نبدأ نحن بالهجوم ؟

وعندما سأل أحد الطيارين المشير عامر : « لماذا لا نضرب وننتهي ؟ أليست هذه الحرب هي الشيء الذي تربينا على ذكرها في مراحل التعليم ، وفي الصحافة والإعلام ، والمؤتمرات والخطب اللانهائية ، وهي مصيرنا ومصير العرب ولا شك

---

(١) عبد الله إمام (عامر وبرلنتي) ص ١٩٠ ، سينا للنشر ، ط ٢ ، ١٩٨٩م .

والكتاب في مجمله يصور بالوثائق معالم العصر الناصري ممثلًا في الانحلال الأخلاقي ، والصراع على السلطة ، والاستهتار المفرط بشئون الوطن ، وعلى رأسها إثارة العدو الإسرائيلي ، وخلق المبرر له للعدوان دون استعداد للحرب !

أما في حرب أكتوبر فقد تم الاستعداد لها .. ويرى الدكتور جمال حمدان أن جزءًا من انتصارنا يرجع إلى مبادرتنا بالهجوم ، فالمهاجم والبادئ بالهجوم - كقاعدة عامة وأساسية في كتاب الحرب - هو الأقدر والأقوى على فرض إرادته ، وهو الأقرب إلى احتمالات النصر ، والأكثر تدميرًا للعدوّ حتى إن لم ينتصر .. وإذا كان هذا هو درس المعركة كما هو درس التاريخ كله ، فالأهم أن يبقى درس المستقبل وأمل العرب .. الهجوم أولًا ، الهجوم أولًا ، الهجوم وإلّا) .

د. جمال حمدان (٦ أكتوبر في الاستراتيجية العالمية) ص ٢٦ - مكتبة الأسرة ، ٢٠١٣م .

في قدومها ، ونحن مستعدون ، فلماذا هذا التأخير ؟ »[١] .

ورد المشير بابتسامة مفتعلة قائلًا : « يعني يا ... تضرب الأول ويعدين نحارب أمريكا وإسرائيل .. وإلا تستنى تأخذ الضربة الأولى من إسرائيل ويعدين نحاربها هي وحدها ؟) .

ولم يقتنع الطيار بالإجابة وكان تعليقه « ولكن يا فندم هل حنقدر نأخذ الضربة الأولى ويعدين نحارب بكفاءة ؟! »[٢] .

أما الأمر الأكثر غرابة وإثارة للدهشة حقًا ، بل يُخفي سرًا ، ما سجّل وقائعه « عاصم شراكي » (ضابط أمن قاعدة المليز الجوية) ، إذا كتب تحت عنوان :

قوات معصوبة العينين :

« ... تعتبر طلعات الاستطلاع الجوية هي نظر القوات المسلحة، ودون هذه الطلعات لا تستطيع أن تحدد موقف العدو ، وكيفية مقاومته ، والاحتمالات القادمة .

ورغم ذلك أوقفت طلعات الاستطلاع تقريبًا قبل الحرب بـ٤٨ ساعة فقط .. وأصبحت قواتنا المسلحة كأنها مغمضة العينين .

وتم تفسير هذا الأمر الغريب بأن ذلك كان حرصًا على ألا يتم الاحتكاك بين طائراتنا وطائرات إسرائيل ... وأصبح الموقف شديد التناقض ... طائرات إسرائيل تستطلع فوق أراضينا كما تشاء ونحن لا نستطيع أن نقوم بالاستطلاع !

---

(١) عصام دراز (ضباط يونيو يتكلمون) ص ٢٧ مصدر سابق ، وهذا الجزء من الكتاب بقلم الطيار هشام مصطفى حسن .

(٢) نفسه ، ويقول إبراهيم سعده : (حذّرت محطات إذاعة القاهرة وصحفها وأقلام كبار كتّابها - وربما يقصد هيكل بالذات - جماهير الشعب ، وهيأوه نفسيًا قبل الحرب بعدة أسابيع بالنصر القريب على إسرائيل ، وأدخلوه في متاهات عسكرية حول « الضربة الأولى » ، ومن الذي يجب أن يبدأها ، ومن الذي عليه أن يصدّها ويمتصها ثم يردها بأعنف منها) . (سنوات الهوان) ص١٩٦ .

إن هذا الأمر وبعد مرور سنوات طويلة على حرب يونيو يعتبر من أخطر الأوامر التي صدرت قبل حرب يونيو ، بل لعبت دورًا كبيرًا في هزيمة القوات المسلحة المصرية .

وإذا كانت رئاسة الجمهورية هي التي أصدرت هذا الأمر وهي نفسها القيادة العليا للقوات المسلحة ، فإن الموضوع يحتاج إلى دراسة تاريخية حقيقية ؛ إذ لم يحدث في تاريخ الحروب أن يصدر رئيس الجمهورية (وهو نفسه القائد الأعلى) أمرًا بحرمان قواته المسلحة من الاستطلاع فوق أراضي العدو بحجة الخوف من الاحتكاك ، في حين أن العدو نفسه يستطلع بحرية تامة فوق أراضينا ، وقواتنا المسلحة قد تم حشدها فعلًا استعدادًا لحرب وشيكة !

وينتهي الضابط « عاصم شراكي » بتعليقه المناسب لهذا الأمر الغريب والشاذ في تاريخ الحروب ، بقوله وكأنه يصرخ متألمًا من شدة وقعه على نفسه : (شيء لا يصدقه عقل) [1] .

وتكررت المأساة الكبرى بتكرار الأمر بالانسحاب ، وأصبح التشابه بين حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧م كاملًا من نواحٍ عدة ، منها : أن حرب ٦٧ دارت بدون تجهيز ولا إعداد حقيقي تمامًا كحرب ٥٦ التي أعوزتها قدرة القادة على الحرب ، ولم يعوزها السلاح فقط ، وكان « عبد الناصر » يرى في حرب ١٩٥٦م أنه ليس

---

(١) عصام دراز (ضباط يونيو يتكلمون) ص ٩١ .

ويقول أنيس منصور : (إن أحدًا من القادة العسكريين قد صحّح أخطاء القادة الذين اعترفوا بأخطاء غيرهم وبراءة أنفسهم ! وفي ذلك الصمت دليل على القبول .. أو دليل على العجز .. وفي الحالتين نحن أمام خيانة عسكرية ارتكبها الذين نكسونا والذين فضحونا) ص ٢٧١ من كتاب (عبد الناصر المفترى عليه والمفتري علينا) مصدر سابق .

لديه معلومات أو أوامر العمليات أو تحركات القوات أو أي خطة دفاع ، بالرغم من أنه المسئول الأول في الدولة ، ولم يصدق « عبد الناصر » تهديد كل من إنجلترا وفرنسا بالحرب ، وإذا دخلتا الحرب فلن يكون تحركها لضرب مصر إلا من طريق الإسكندرية ، ورفض التخطيط لأي احتمال آخر [١] .

وكانت النتائج أن حشرنا خلال اليومين الأوليين ٣٠٥ طائرة على الأرض وفي الجو ... ولتوضيح حجم النجاح الذي حققه جيش الصهاينة أن الجنرال « موردخاي » - وهو قائد طيران العدو - قال : « إن ما حدث يفوق أكثر أحلامي جنونًا ! » وذكر شهود عيان أنه صعد فوق مكتبه وأخذ يرقص طربًا [٢] .

وقال « ديّان » تعليقًا على النصر الذي أحرزه دون قتال : « إن ما حققناه من نصر كان أكثر جدًّا مما تمنّيناه ، ولو أن أكثر أعداء مصر قد وضع تخطيطًا لسحق جيش مصر ما استطاع أن يحقق ما حققته سياسة عبد الناصر » [٣] .

لذلك لا نعجب من اقتراح أحد قرّاء « توفيق الحكيم » ، الذي شاركه الرأي بإقامة تمثال لـ « عبد الناصر » (ولكنه رأى أن يكون مكانه ليس في القاهرة ، بل في تل أبيب ، لأن إسرائيل لم تكن تحلم يومًا بأن تبلغ بهذه السرعة هذه القوة العسكرية ، ولا أن تظهر أمام العالم بهذا التفوق الحضاري ؛ إلا بفضل سياسته) [٤] .

---

(١) ، (٢) صلاح شادي (صفحات من التاريخ) ص ٢٩٣ ، شركة الشعاع للنشر - الكويت - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .

ومن المسرحيات الهزلية أن « عبد الحكيم عامر » أجاب على « عبد الناصر » عندما استفسر عن مدى استعداد الجيش فأجابه بأن وضع يده على رقبته ، وقال : « برقبتي يا ريس ، كل شيء على ما يرام ! » .

(٣) د. أحمد شلبي (موسوعة التاريخ الإسلامي) جـ٩ ، ص ٧٣١ .

(٤) توفيق الحكيم (عودة الوعي) ص ٩٥ مصدر سابق .

وفي مصدر آخر أنه : « في يوم الجمعة ٢ يونيو عقد « عبد الناصر » اجتماعه الذي تحدث فيه عن الموقف السياسي والعسكري داخل مصر وإسرائيل ... وقال : إن إسرائيل ستقوم بضربة جوية وقائية صباح ٥ يونيو ، ودارت مناقشة حول قبول الضربة الأولى ، وقدّر الفريق أول « صدقي محمود » الخسائر المتوقعة في قواتنا الجوية بأنها بين ١٥ و٢٠ ٪ وأن هذا الإجراء يفقدنا المبادأة ، فرد عليه « عامر » بأن ذلك أفضل من أن تحارب أمريكا[1] .

واتضحت معالم النكسة عندما تبيّن أن الخسائر الجسيمة تفوق الخيال ، وكان الانسحاب باهظ الثمن ، فظيعًا في منظره ونتائجه وآثاره .. بل كان في رأي الخبراء العسكريين مجزرة بشرية رهيبة .. وجعل الجيش يجري حافيًا في الصحراء تحت وابل نيران العدو .. وإن قرار الانسحاب بهذه الصورة هو قرار أهوج من مسئول فقد أعصابه ويستحق المحاكمة .. وسحقت مصر سحقًا بهزيمة لن ينساها التاريخ »[2] .

واختفت وراء الهزيمة بعض المعاصي التي يندى لها الجبين ، وربما كانت سببًا في غضب الله ﷻ ونقمته : ففي تلخيص لكتاب الجاسوس الإسرائيلي « باروخ نادل » بعنوان : « تحطمت الطائرات عند الفجر » يعرض الخبير العسكري اللواء « طاهر عز الدين » وقائع مخزية ومحزنة ولا تكاد تصدّق ، وقد تطابقت رواية الجاسوس في كتابه مع أقوال أجهزة مصرية في أوقات لاحقة ، ولم يقدّم أحد من المسئولين تكذيبًا مقبولًا لما ورد في هذا الكتاب .. وهذا الجاسوس أقام في مصر ما يقرب من أربع عشرة سنة بعد أن دخلها تحت اسم (مالك نوير) .. وقد ادّعى أنه رتّب سهرة حضرها عدد كبير جدًّا من ضباط سلاح الطيران في الليلة التي سبقت

---

(١) عبد الله إمام (عامر وبرلنتي) ص ١٦٣ مصدر سابق .

(٢) توفيق الحكيم (عودة الوعي) ص ٩٤ مصدر سابق .

الضربة الجوية الإسرائيلية، واستمرت السهرة حتى الرابعة فجرًا (أي قبل الضربة بساعات معدودة) .. وقد وصف تلك الليلة بقوله: «هتف الطيارون وصفقوا مع رفع الموسيقى الصاخبة، والحركات التي كانت تؤديها الراقصة «سهير زكي» ... وكنت أصدر الإشارة إلى الخدم ليقدموا المزيد من الشراب، وكان عدد الطيارين الذين حضروا الحفل ٤٠٠ طيار مع قائد سلاح الجو»[1]، فماذا كانت النتيجة؟

يقول الدكتور أحمد شلبي: (انتهت حرب ١٩٦٧م بكوارث وبهزيمة عبد الناصر هزيمة ساحقة، وقد تحدَّث عبد الناصر عن حرب ١٩٦٧م فقال في التلفزيون على الملأ: «إن الطريق إلى القاهرة كان مفتوحًا أمام إسرائيل، ولم يكن هناك جندي واحد يعرقل أي تقدم لإسرائيل»، وكرَّر أنه هو المسئول عن ذلك، كما أعلن أرقامًا فادحة عن خسارة مصر في هذه المعركة المشئومة، فذكر أن مصر خسرت في هذه الحرب ٨٠٪ من سلاحها و١٠٠٠٠ جندي و١٥٠٠ ضابط، وأسر ٥٠٠٠ جندي و٥٠٠ ضابط لم يعد اكثرهم، وتذكر المراجع أن ضحايا هذه الحرب كانت ٣٥٠٠٠ بين قتيل وجريح قُتل أكثرهم، واعترفت إسرائيل ١٩٩٥م بأنها قتلت الأسرى)[2].

ويضيف الأستاذ إبراهيم سعده إلى ذلك مصائب أخرى فادحة، تلك التي أصابت سكان منطقة القناة بصفة خاصة، فهم وحدهم الذين دفعوا ثمن المناورة العسكرية والسياسة الفاشلة الممهدة لحرب يونيو ٦٧، ويقول: (لقد أراد أولو

---

(١) لواء طاهر عز الدين (مقال عن «باروخ» الجاسوس الإسرائيلي الذي اخترق الجيش المصري وتجول في مطاراته ..)، جريدة (الشعب) القاهرية – ٧ ذو القعدة ١٤٣٤ هـ - ١٣/٩/٢٠١٣م.

(٢) د. أحمد شلبي (صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين ودور الحضارة الإسلامية في هذا الصراع) ص ٢٦٧، مكتبة النهضة المصرية ط ٢، ١٩٩٦م.

الأمر فينا - وقتذاك - أن يضحكوا على الذقون ، وأن يحققوا نصرًا سياسيًا عن طريق البكش العسكري ، ولكن المحاولة فشلت ، والجيش المصري انهزم ، والكرامة المصرية أُهينت) [1] .

ثالثًا : مَن المسئول عن الهزيمة ؟

وهنا نعرض الأدلة التي استند عليها المهندس « محمد فؤاد غانم » بالقوات الجوية ، حيث سُئل عن المسئول في تصوره عن الهزيمة ، فأجاب : المسئولية تقع أولًا على « عبد الناصر » .. ويشاركه « عبد الحكيم عامر » عسكريًا .. لم يقم « عبد الحكيم عامر » بإعداد القوات المسلحة إعدادًا جيدًا للحرب .. أما « عبد الناصر » .. فكانت الخيوط في يده .. وأنه أساء التقدير تمامًا .. كيف يقال الآن إنه لم يستطع السيطرة على « عبد الحكيم عامر » .. هذا خطأ .. المسئولية أولًا على « عبد الناصر » .. كان يتصور أن العملية مجرد مهرجان دعائي .. مولد [2] .. وبعد ذلك ينتهي كل شيء بالنصر .. كما تخيل .. « عبد الناصر » سجن نفسه في عالم تلفيق القضايا للأبرياء .. الاتحاد الاشتراكي اهتم بالولاء على حساب البلد .. اشتروا ولاء القيادات .. أما الكفاءات .. فإما هربت أو في السجون .. وفي النهاية الشعب دفع الثمن .. الشعب آخر شيء كان يفكر فيه « عبد الناصر » أو « عبد الحكيم عامر ») [3] .

---

(١) إبراهيم سعده (سنوات الهوان) ص١٩٢ ، ويضيف إلى ذلك قائلًا : (ومنذ « يوليو ٦٧ وشعب القناة ينفذ الحكم الذي صدر ضده بلا جريمة ارتكبها . أخرجوه من بلاده ، وشتتوه في أقاصي الصعيد ، ووزعوه على وسط الدلتا .. ومنعوا تجمعاته في مكان واحد حتى يبدّدوا صرخته في الخلاء .. عاش سكان القناة عيشة تفر منها الحيوانات المستأنسة) !

(٢) (أعلن أنه سوف يدخل تل أبيب في ساعات ويستولي على القدس في دقائق ، ويلقي باليهود في البحر الذي جاءوا منه .. وينتهي كل شيء) .
أنيس منصور (عبد الناصر ..) ص ٢٨٠ ، مصدر سابق .

(٣) عصام دراز (ضباط يونيو يتكلمون) ص ١٣٠ مصدر سابق .

وعندما سُئل بصفته رجل عسكري سابق .. هل يستطيع « عبد الحكيم عامر » مهما كانت سطوته - كما يقولون - أن يصدر أمر انسحاب دون علم « عبد الناصر » ؟

أجاب بقوله : « إطلاقًا .. استحالة .. حتى لو كان هناك خلاف - كما يقولون - .. لأن مثل هذا الأمر خطير جدًا .. وكل قائد عسكري يعرف خطورة أمر الانسحاب أثناء القتال .. معناه المحاكمة ، معناه الإعدام .. فما بالك بقائد جيش .. لأنها تنطوي على خيانة عظمى .. مؤكَّد أن « عبد الناصر » وافق على أمر الانسحاب .. بدليل أن كليهما استمر في موقعه أثناء الانسحاب (يوم ٥ يونيو ويوم ٦ ويوم ٧ ويوم ٨ ويوم ٩) وأوامر الانسحاب صدرت يوم ٥ يونيو .. والعالم كله يعرف به .. ولكن بالطبع « عبد الناصر » أنكر أنه يعلم أي شيء عن أمر الانسحاب هذا .. وطبعًا لا توجد وثائق .. أنكر « عبد الناصر » .. وهذا أبدًا غير منطقي .. ولا يمكن حدوثه بهذه الطريقة .. ولكن كيف تثبت ذلك ؟ لا توجد وثائق .. بدليل أن أمر الانسحاب صدر .. وسواء كان « عبد الناصر » موافقًا عليه أم لا .. فقد دخل حجرته بالقيادة ونام .. ثم ذهب إلى منزله حتى يوم ٨ يونيو .. المنطق يقول في رأيي .. إن « عبد الناصر » جعل أمر الانسحاب حبل المشنقة الذي يربطه حول رقبة « عبد الحكيم عامر » ..

لا توجد وثائق أمينة عن هذه الأحداث .. ولهذا كان لابد من القضاء على « عبد الحكيم عامر » .. سواء انتحر أم لا .. ولكن قُضي عليه .. لكي لا نسمع الرأي الآخر .

أكرّر وأقول كلام مسئول .. والهزيمة مهّد لها « عبد الناصر » بسوء إعداد الدولة .. والجيش ، و« عبد الحكيم عامر » بسوء قيادته ..

إن هزيمة يونيو كانت نقطة تحول حادة في حياة معظم من عاشوا هذا الحدث .. ورغم أن حرب أكتوبر قد أزاحت بعض الآلام الجاثمة إلا أن يونيو .. ومرارة الهزيمة لازالت تؤثر بشدة)[1] .

والمهندس « محمد فؤاد غانم » محق تمامًا عندما حمّل « عبد الناصر » مسئولية الهزيمة بسوء إعداد الدولة ، إذ أنه باستبداده كمّم الأفواه جميعًا : (أعوامٌ طويلة مضت وفي مصر صحافة ، وفيها مجلس نيابي ، وفيها اتحاد اشتراكي ، هو الحزب الواحد الذي ضم كل عناصر الشعب ، ويقال إنه أعلى سلطة في البلاد .. هل سُمِع صوت واحد على صفحات جريدة أو كتاب أو مجلس نيابي أو اجتماع عام ، جرؤ أن يبدي رأيًا مخالفًا عن رأي « عبد الناصر ») ؟[2] .

وفي رأي « توفيق الحكيم » أن العلّة تكمن في نجاح « عبد الناصر » بواسطة إعلامه المضلل في جعل الشعب المصري ليس له حيلة ولا قوة إلا التعلّق به ؛ لأنه جرّده طوال الأعوام من كل فكر مستقل ، ومن كل شخصية قوية إلا شخصيته هو ؛ لذلك فإنه عقب الهزيمة لم يكن الشعب في حالة طبيعية من الوعي كأي شعب آخر في مثل هذه الظروف « يُسائل زعيمه - على الأقل - بوعي حاضر ، ولا أقول يحاكمه أو يطالبه بدفع ثمن الهزيمة كما فعل الشعب الفرنسي مثلًا الذي لعن « نابليون » وتركه للنفي بعد معركة « واترلو » .. وأخذ هو يجدّد حياته بدونه وبنفسه ، مع أن زعيمه شرّفه بانتصارات عسكرية مجيدة ساد بها أوروبا كلها ناشرًا مبادئ الثورة الفرنسية ومبشّرًا بالوحدة الأوروبية . لقد تركوه يدفع ثمن هزيمته الوحيدة »[3] .

---

(١) نفسه ص ١٣٠ / ١٣١ .

(٢) توفيق الحكيم (عودة الوعي) ص ٥٠٩ .

(٣) نفسه ص ٩٠ / ٩١ .

ويمضي « توفيق الحكيم » قائلًا : « أما عندنا ، فإن قائدنا الخالد بهزائمه العسكرية المتلاحقة التي غامر فيها بأموال شعب فقير ليحتل أرضه في النهاية عدو صغير ، بقي ليتنصل من هزيمته ويجعل مشيره هو الذي يدفع عنه الثمن بانتحاره ، ويقدم قواده إلى المحاكمات ويُلقي عليهم التبعات . وحتى مَن أراد أن يكتب تلميحًا عن فساد أو هزيمة أو نكسة ، فيجب إبعاد شخص الزعيم عن كل مسئولية ، فالمسئولون دائمًا هم الآخرون »[1] .

ثم يعود فيؤكد أن « عبد الناصر » أشعر شعب مصر بأنه لا يوجد في مصر ولا في العالم العربي كله غير عقل واحد ، وقوة واحدة ، وشخصية واحدة ، هي : « عبد الناصر ! » .. وهكذا الفاشستية ، والهتلرية ، والناصرية ، كلها تقوم على أساس واحد ؛ هو إلغاء العقول والإرادات الأخرى ، ماعدا عقل وإرادة الزعيم ![2] .



(١) ، (٢) نفسه ص ٩٠ / ٩١ .

العلاقة مع إسرائيل (هل هي حرب أم سلام) ؟

تاريخ نشأة إسرائيل ومراحلها ، وسياسة عبد الناصر معها :

قبل الحديث عن موضوع الحرب والسلام مع إسرائيل يتطلب الأمر عرضًا تاريخيًا موجزًا لنشأة إسرائيل ، وكيف بدأت (دويلة) صغيرة بتشجيع إنجلترا وبعض دول الغرب ، ثم نمت وكبرت بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية والتأييد السياسي من هيئة الأمم المتحدة ، ثم تولت أمريكا حمايتها والدفاع عنها بدوافع دينية في المقام الأول (معركة هرمجدون وعودة المسيح ﷺ) قبل دوافع المصالح [1] ، وأصبحت إسرائيل هي محط الأنظار ، والدولة الديمقراطية النموذجية للحضارة الغربية سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا حتى أصبح جيشها من أقوى جيوش العالم بفضل تسليحه بكافة الأسلحة المتطورة حتى يتغلب على جيوش البلاد العربية المحيطة به مجتمعة ، ثم تميزت إسرائيل أيضًا بالسلاح النووي وتفردت به عن سائر دول المنطقة !

والذي يعنينا من كل هذه المقدمة أن الأجيال الناشئة بعد عام ١٩٤٨ – عام نكبة غرس إسرائيل في قلب العالم العربي والإسلامي – تلك الأجيال تلقت

---

(١) ونريد أن نؤكد أن تأييد أمريكا بإسرائيل نابع من عقيدة دينية في المقام الأول ، أي المسيحية الصهيونية ، وهي حركة نشأت في أمريكا ، الغرض منها تعضيد دولة إسرائيل ، وقد أخذت هذه الدعوة طبعًا دينيًا لأنها كانت تدعي أن عودة اليهود إلى فلسطين هو تحقيق للنبوءات وإعداد لمجيء المسيح ﷺ ثانية إلى العالم ، وانتشرت في داخل وسائل الإعلام وبعض الكنائس ، وتبنتها هيئات متعددة ، منها هيئة سفراء المسيح .
يُنظر كتاب (الاختراق الصهيوني للمسيحية) للقس إكرام لمعي ص١٦ ، دار الشروق ١٤١٢هـ-١٩٩١م .
والمصادر التي تبرهن على الموقف الأمريكي الديني من إسرائيل أكثر من أن تُحصى في هذا الحيز الضيق .
يُنظر كتابنا (خواطر حول كتاب « الإسلام بين الشرق والغرب » د. علي عزت بيجوفيتش) دار الخلفاء الراشدين – الإسكندرية ص٨٥ وما بعدها ، تحت عنوان (مكانة الدين في السياسة الخارجية الأمريكية) .

مناهج دراسية وخضعت لعمليات غسيل مخ منتظمة لكي تقبل الأمر الواقع، حيث صوّروا لها إسرائيل كدولة (جارة) لنا، وأصبحت نغمة (السلام) هي السائدة كخيار استراتيجي وبخاصة بعد معاهدة (كامب ديفيد)، وهناك من ضعاف النفوس من يرّوج أنه لا طاقة لنا بمواجهتها، ومن ثمّ فالأفضل قبول الأمر الواقع والخضوع له !!

وبلغ الإحساس بالذل والصغار أن دفع مسئولًا كبيرًا ورئيس وزراء أسبق لمصر أن قال لليهود: (أود أن أطمئنكم أننا في مصر نفرق بين الدين والدولة، وأننا لن نقبل أن تكون قيادتنا السياسية مرتكزة على المعتقدات الدينية)، وانبرى له الدكتور تيفي يافوث وكأنه صفعه على وجهه بقوله: (أما نحن فنتعبر اليهودية ديننا وشعبنا ووطننا، أما أنتم فأحرار فيما تقررون، ولكن نحن في إسرائيل نرفض أن تقول إن اليهودية مجرد دين، لكننا نؤكد للعالم أجمع أن اليهودية دين وشعب ووطن) [1].

وهذه هي الطامة الكبرى التي ينبغي التصدي لها، وإعداد أجيال جديدة ذات وعي ديني وسياسي، ومحصّنة ضد الغزو الإعلامي المثبط للهمم والداعي للاستسلام أمام الاستعمار الإسرائيلي الاستيطاني الذي لا يقل ضراوة وهمجية عن هجمات المغول، وليس في ذلك أدنى مبالغة، فقد قامت دولة المغول في أول الأمر في وسط آسيا، ثم بدأت سياسة التوسع شرقًا في أراضي الصين، ثم اتجهت إلى التوسع غربًا على حساب أراضي العالم الإسلامي .. وأصبحت دولة تقدم على اغتصاب أراضي الشعوب، وعلى الإرهاب والقسوة والظلم، وكذلك إسرائيل هي دولة الاعتداء والاغتصاب، والأرض التي تعيش عليها قد اغتصبتها من الشعب العربي في فلسطين، بعد أن أبعدت أكثر من مليون عربي من وطنهم

---

(١) محمد عزت عارف (نهاية اليهود) ص ١٠١، دار الاعتصام بالقاهرة، ١٩٩٦م.

وديارهم ، وكان للجرائم الوحشية التي ارتكبها اليهود الأثر الحاسم في تمكينهم من أرض فلسطين ، وبمساعدة سلطات الانتداب البريطاني أيضًا الذي سمح للعصابات اليهودية بممارسة أعمالها الإرهابية ، وقد اعترف بذلك المجرم « بيجن » في كتابه فقال : (لقد سيطر الرعب على عرب أرض إسرائيل نتيجة لمذبحة دير ياسين ، فقد كان لها من الأثر ما يساوي قوة ستة كتائب من الجنود ، فقرية « قلونة » التي كانت قد صدّت كل هجوم شنّته الهاجاناه عليها أخليت في ليلة واحدة وسقطت في أيدينا بغير قتال ، كذلك أخليت قرية « بيت أكسا » ، لقد كانت هاتان القريتان تشرفان على الطريق الرئيسي العام ، وبسقوطهما مع استيلاء الهاجاناه على القسطل أمكن فتح الطريق إلى القدس ، أما بقية أنحاء القطر فقد ابتدأ العرب يفرون هلعًا قبل الاصطدام بالقوات اليهودية ، وقد حيك حول دير ياسين دعاية ساعدتنا على أن نشق طريقنا إلى المعارك الفاصلة في الميدان) [١] .

أما مسئولية الإنجليز عن اغتصاب أرض فلسطين فترجع إلى ما قبل عام ١٩٤٨م حيث اعترف الزعيم اليهودي « وايزمان » فقال : (لا بأس الآن من إزاحة الستار عن هذه الحقيقة ، وهي أنه كان بيننا – نحن اليهود الصهيونيون – وبين كبائر المسئولين الإنجليز – أمثال بلفور ولويد وجورج – اتفاق سري يقضي بتسليمنا فلسطين خالية من السكان ١٩٣٤م [٢] .

وتصر إسرائيل على شن الحروب للتوسع وإضافة الأراضي إليها بما تسميه (مفهوم الحدود التوراتية) ، وهي تضم سيناء كلها وجزء من شمال مصر حتى

---

(١) د. علي حسن الخربوطلي (بين المغول واليهود) ص ١٢٦ ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

(٢) نفسه ص ١٤٥ .

ضواحي القاهرة ، وفي الشرق : الأردن كلها وجزء كبير من السعودية والكويت كلها وجزء من العراق وجنوب الفرات ، وفي الشمال : لبنان كلها وسوريا بالإضافة إلى جزء كبير من تركيا حتى بحيرة فان ، وفي الغرب : قبرص ...

وإسرائيل تنشر العديد من الأبحاث والمناقشات الموسّعة عن هذه الحدود ، بما فيها الأطالس والكتب والمقالات والأشكال الأكثر انتشارًا من الدعاية) [١] .

كذلك نصّبت إسرائيل نفسها كحامية لمصالح دول الغرب ، وأدخلت في روعها أنه لولا إسرائيل لانهارت أنظمة الحكم بالمنطقة منذ فترة طويلة ، فقد وصف الجنرال « شلومو جازيت » - وهو قائد في المخابرات الحربية سابقًا - وفي قوات الاحتياط حاليًا - المبادئ التي تحكم الإستراتيجية الإسرائيلية الكبرى بقوله : (لم تتغير المهمة الأساسية لإسرائيل على الإطلاق منذ انهيار الاتحاد السوفيتي ، وما زالت ذات أهمية قصوى ، فالموقع الجغرافي لإسرائيل وسط الشرق الأوسط الإسلامي والعربي يحتّم عليها أن تكون حاميًا مخلصًا للاستقرار في كل الدول التي تجاورها ، ويكمن دورها في حماية أنظمة الحكم الموجودة : أي منع أو إيقاف عمليات التغيير الراديكالي ، وإعاقة توسع الحماس الديني الأصولي ، لذلك ستمنع إسرائيل التغييرات التي تحدث وراء حدودها ، فلن « تطيق » إسرائيل هذه التغيرات ، مما يضطرها لاستخدام كافة إمكاناتها العسكرية لمنعها أو استئصالها) [٢] .

---

(١) إسرائيل شاحاك (اليهودية : أيديولوجية قاتلة) ص ٢٧ ، ترجمة : جمال الجزيري - تقديم : إدوارد سعيد ، مراجعة وتقديم : د. إمام عبد الفتاح ، ط الإعلامية للنشر بالقاهرة ٢٠٠٢م .
(٢) نفسه ص ٢٨ ، ٢٩ .

عبد الناصر ومعاهدة السلام :

انقضى نحو نصف قرن على حرب الأيام الستة بهزيمة يونيو ١٩٦٧م – التي وصفها كوبلاند بأنها أبشع هزيمة في التاريخ العسكري الحديث [١]، وظهرت حقائق جديدة كانت خافية علينا، أو بمعنى أصح: أخفيت عن عمد بواسطة الإعلام المضلل لنظل فاقدي الوعي حسب وصف توفيق الحكيم بكتابه (عودة الوعي) !

إن تلك الحقائق تصدم العقول وتذهل النفوس، وكان أشد ما أذهلنا هو ما ورد على لسان السادات في تصريحه للرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون حول ما دار بينه وبين عبد الناصر من حديث يتناول موضوع السلام مع إسرائيل !

يروي السادات أن عبد الناصر فاجأه بزيارة في شهر يوليو ١٩٧٠م، وكان يبدو عليه الحزن الشديد معترفًا بأنه فشل في تحقيق (السلام)، فلما سأله السادات: مع من؟ أجاب: (السلام مع كل العالم يا أنور حتى مع إسرائيل) [٢].. ثم التفت إليه وقال بجديّة: (سأكتب لك أفكارًا هامة أرجو منك أن تتذكرها وتدرسها جيدًا، ولا تتضايق لو رسمت لك بعض الأفكار) [٣].

ثم فوجئ السادات مرة أخرى عندما زاره بعد نحو أسبوع وقدم له ملفًّا به ١٢ ورقة من مكتبه تحمل كل منها بندًا هامًّا مكتوبة بخط عبد الناصر بالقلم الحبر، مما جعل السادات يتعجب لأن جمال كان يفضل الكتابة بالقلم الرصاص ولم يحرر كتاباته بالحبر إلا ما يعتقد أنه مسودة نهائية لن يقوم بالتغيير فيها ثانية [٤]، وقد

---

(١) محمد جلال كشك (ثورة ٢٣ يوليو الأمريكية) ص ٢٤١.

(٢) توحيد مجدي (أسرار آخر الحروب – البنود السرية في معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل) ص ١٢، كتاب الأخبار ٢٠١٢م.

(٣) نفسه ص ١٣.

(٤) نفسه ص ١٤.

علّق السادات [١] على ذلك بقوله : (في الواقع كنت في شبه صدمة ، وكانت المفاجأة كبيرة حتى إني قلت له : « معقول ده يا جمال : سلام مع إسرائيل ؟! » .. غير أنه ابتسم مؤكدًا أنها الحقيقة !

ويتبيّن بعد ذلك أن تلك الأوراق كانت هي ذاتَ البنود التسعة التي تصورها عبد الناصر لما يمكن التوصل إليه في معاهدة أو اتفاقية لسلام شاملة مع تعديلات طفيفة ربما لا تذكر [٢] .

ويعلّق الأستاذ توحيد مجدي على ذلك بقوله : (والأغرب أن الرئيس جمال عبد الناصر حرّر بيده حتى بنود وشروط الإشراف الأمريكي على تلك الاتفاقية التي وُقعَت بعدها بأعوام في ١٧ / ٩ / ١٩٧٨م في كامب دافيد بين مصر وإسرائيل [٣] .

والحق أنه لو قام السادات باسترجاع خطوات الانقلاب منذ ٢٣ يوليو ٥٢ لتبين له أنه منذ ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤ لم تكن إسرائيل على قائمة اهتمامات عبد الناصر باعترافه هو في أكثر من خطاب [٤] ، بينما كان النظام القديم الذي قام عبد الناصر

---

(١) ، (٢) ولا يُعفى السادات نفسه من مسئوليته في تلك المعاهدة ، إذ يروي أحمد بهاء الدين الواقعة التالية المعبرة عن حرصه الشديد على إبرامها مهما كانت التنازلات . قال في وصفه للمقابلة التي جرت بينه وبين المجرم « بيجن » : (لقد بدا السادات على شاشة التليفزيون وهو جالس بجوار مناحم بيجن وكأنه جسد محنط عاجز عن الحركة ... ولم يتردد بيجن في إهانة مصر وإهانة السادات كلما سنحت له الفرصة .. وزعم أن اليهود هم الذين بنوا الأهرامات ، وكان يتحدث بكبرياء وصلف ووقاحة لا مثيل لها .. والسادات بجواره عاجز عن الرد أو تخفيف الموقف) .

وفي تفسير هذا السلوك يقول بهاء الدين : (فهذا رجل مضطر لاحتمال ما لا يحتمل لأنه حريص على استمرار عملية السلام ، والآخر لا يريد السلام أصلًا ولا يريد إعادة شبر من سيناء ولا يهمه إذا وقع أي صدام ينهي المفاوضات) .

المصدر : أحمد بهاء الدين (محاوراتي مع السادات) ص١٧٣ ، مكتبة الأسرة بمصر ٢٠١٣م .

(٣) نفسه ص ١٤ .

(٤) جلال كشك (كلمتي للمغفلين) ص ٣٣٣ ، ويقول بكتابه (ثورة ٢٣ يوليو الأمريكية) : (لم تكن قضية فلسطين تشغل الضباط) ص ٢٣١ .

بإزائه شديد العداء للصهيونية إذ خاض حربًا شاملة ، عسكريًا بالهجوم في ١٥ مايو ١٩٤٨م ، واقتصاديًا بإغلاق قناة السويس والمبادرة الناجحة بسد خليج العقبة والحكم بالشلل والموت على كل مشاريع إسرائيل عبر البحر الأحمر وإيلات ... وبوضع قوانين المقاطعة الاقتصادية ، بل الإصرار على أن تشمل المواد الغذائية رغم معارضة الدول العربية وخاصة التي كانت تبيع وتستورد من إسرائيل ![1] .

وكان الملك فاروق - رأس النظام القديم - مصممًا على الثأر من هزيمة ١٩٤٨م ... وقد حاول السفير الأمريكي (كافري) حينذاك كسبه للمشاركة في عملية سلام على حساب الفلسطينيين ، غير أن الملك رفض تأييد ما كان يعتبره غدرًا بهم[2] ... بل حاول فاروق بالتعاون النشيط لعبد الرحمن عزام إيجاد شكل جديد من الوحدة العربية تقوم على أساس فيدرالية عظمى ، وتجنيد مستشارين ومساعدين عسكريين من الألمان لبناء فرقة تدريب نموذجية كنمط لجيش عربي من مليون رجل ، وإنشاء سلاح جوي من ألفي طائرة (وكانت هذه العملية كافية لإزعاج إسرائيل ومؤيديها الأمريكيين ؛ إذ إن النجاح الكامل أو حتى الجزئي لمثل هذه الخطة سيحدث خللًا خطيرًا في توازن القوى في هذه المنطقة ، ويشكل تهديدًا خطيرًا لبقاء إسرائيل)[3] .

---

* هذا ، وبينما كان عبد الناصر حريصًا على السلام كانت إسرائيل مصممة على استمرار الحروب ، وفي هذا الصدد يقول جارودي : (ونتنياهو هو من نظّم أول عمل استفزازي بحفره النفق تحت المسجد الأقصى ، ودعا للملك الافتتاح من أسماهم سيّاحًا أمريكيين ، هذا الاستفزاز حصد ٧٠ قتيلًا ، وهذا ليس إلا الحلقة الأولى من حلقات إيقاف المساعي لمفاوضات تم الالتزام بها في مدريد وأوسلو وواشنطن والمسماة « المسارات السلمية » ، وبالمقابل فإن « خطة الحرب » المعدّة بدقة أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م دخلت مرحلة التنفيذ) .
ص٤٠ من كتاب روجيه جارودي (محاكمة الحرية) منشورات الفيحاء - بيروت ١٩٩٨م .

(١) نفسه ص ٣٣٦ .

(٢) عادل ثابت (فاروق الأول ، الملك الذي غدر به الجميع) ص ٢٢٢ ، ترجمة : محمد مصطفى غنيم ، كتاب أخبار اليوم ط ٢ ، ١٩٨٩م .

(٣) نفسه ص ٢٢٠ .

وكانت تلك القضية هي الشغل الشاغل للسياسة الأمريكية، وقد خصصت مجلة «تايم» الأمريكية حينذاك عددًا لها يحمل صورة فاروق على غلافها، واحتوت على مقال يتضمن آراء السفير جيفرسون كافري، وانتهت إلى القول: البديل الوحيد لفشله في إقناع فاروق بإبرام صلح مع إسرائيل هو التحريض على الثورة ضده![1].

ويعلق مؤلف الكتاب على ذلك بقوله: (لقد كان فاروق بوضوح مثاليًّا لا يمكن رشوته، وكان لابد من البحث عن أولئك الذين لديهم استعداد للغدر بالفلسطينيين في أماكن أخرى[2]، وكان مما يزعج إسرائيل وأمريكا معها أن فاروق كان يسمح بحرب الفدائيين ضد إسرائيل، لذلك فإن دارس التاريخ بوعي وجديّة كالأستاذ جلال كشك يلاحظ أنه على أثر قيام انقلاب يوليو ٥٢ انقلب الموقف رأسًا على عقب لمصلحة إسرائيل، فقال: (من هنا كانت مصلحة إسرائيل الواضحة في توفير المجال للعسكر لتصفية النظام القديم، وخاصة التنظيمات شبه العسكرية، التي كانت قضية فلسطين تحتل مكانًا بارزًا في تفكيرها وبرامجها مثل الإخوان المسلمين ومصر الفتاة ... إلخ ... أو الوفد الحزب الشعبي ذو التاريخ الديمقراطي والمكانة الدولية البارزة لدى حركات التحرير البورجوازية في آسيا وأفريقيا، والذي أثبت عداوته المؤثرة ضد إسرائيل)[3].

---

(١) نفسه ص ٢٢٢.

(٢) نفسه ص ٢٢٣، ويذكر المؤلف أن السفير كافري كان يميل إلى اعتبار الانقلاب الناجح ضد فاروق انتصارًا شخصيًا له، وقد مضى كافري في توثيق علاقاته الحميمة بالضباط الأحرار إلى حد أنه كان يشير إليهم بقوله: «أولادي» ص ٢١٩.

(٣) محمد جلال كشك (كلمتي للمغفلين) ص ٣٣٦، دار ثابت بالقاهرة ١٩٨٥م.

وبعد ، فإن موقف عبد الناصر من السلام مع إسرائيل يجعلنا نعيد النظر في سياسته طوال فترة حكمه ، فإن التهديدات التي لم يكد يخلو منها خطاب من خطبه أوهمتنا بأنه بطل (تحرير) فلسطين ... وإذا بنا نكتشف في النهاية أننا كنا نعيش في وهم وتضليل كبيرين ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما لاحظه مؤلف كتاب (لعبة الأمم) كوبلاند الأمريكي أنه كانت هناك فرص للانتصار على إسرائيل ولم ينتهزها ! فقال : (إن المؤرخين والدارسين الذين لا تتاح لهم معرفة التاريخ السريّ للأحداث لا يمكنهم أن يفسّروا مثلًا لماذا تجنب عبد الناصر الحرب مع إسرائيل في ظروف كان النصر فيها محتملًا ، بينما قاد بلاده إلى حرب محتومة الخسارة) [1] ، ولا يحل الغموض الذي يكتنف علاقة عبد الناصر بإسرائيل (حرب أم سلام) إلا النظر في الحصيلة النهائية لفترة حكمه ، والذي يرجح – بلا تردد – أنها صاحبة الحظ الأوفر في التمتع بالسلام والاستقرار والازدهار في عصره ، وكانت إنذاراته (الخطابية) عونًا لها على استمرار عطف العالم لتقدم لها المعونة العسكرية والاقتصادية والسياسية ويقف بجوارها في هيئة الأمم المتحدة ، إذ صورت نفسها في صورة (الحمل الوديع) أمام (نمر) مفترس !

وإذا انتقلنا إلى دراسة أنظمة الحكم الأخرى في المنطقة فنجد نفس السياسة ! أي الإعلان في أجهزة الإعلام عن العداء لإسرائيل والتهديد بإزالتها ، بينما العلاقات وراء الستار على ما يرام .

* * *

---

(١) محمد جلال كشك (كلمتي للمغفلين) ص ١٠ ، دار ثابت بالقاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٥م .

الحصيلة المرّة للعصر الناصري : الرجوع إلى الوراء !

خلّف لنا العصر الناصري معاهدة كامب ديفيد ، وعبد الناصر هو الذي خطط لها قبل موته ، وهي تعبّر عن عار الهزيمة السياسية بعد الانتصار العسكري الباهر في حرب أكتوبر ٧٣ بقيادة البطل الفريق سعد الدين الشاذلي رحمه الله تعالى .

ثم جاء عصر مبارك – عصر المأساة الكبرى لمصر ، لا فقط بسبب الاستبداد السياسي ، ولا الانحطاط التاريخي والتأخر الاقتصادي والاجتماعي ؛ بل مأساة مصر – أيضًا – في أنها بلد فقد استقلاله الوطني ويخضع للهيمنة الأمريكية الإسرائيلية المباشرة [1] .

أما بعض جرائم اليهود في مصر بعد التطبيع فهي كالتالي :

– عمليات التجسس قادها رئيس المركز الأكاديمي والمستشار العسكري للسفارة اليهودية بمصر ، وكان آخرها فضيحة آل مصراتي .

---

(١) عبد الحليم قنديل (على اسم الشهيد : نهاية إسرائيل) ص ١٦٥ ، ط سطور الأولى بالقاهرة ٢٠١٠م .
ولمن يريد الاطلاع على مخازي هذا العصر فليرجع إلى كتاب الأستاذ إبراهيم سعده بعنوان (سنوات الهوان) إذ سجّل فيه الكثير من معالمه ممثّلة في ديكتاتورية الحزب الواحد .. والشعارات التي لم تطبق .. وورطة الجيش المصري في حرب اليمن .. ولصوص القصور المصادرة والذين استولوا على شقق الحراسة والعزب والأطيان .. وسنوات الإرهاب بما فيها من صور التعذيب البشعة ، وانتشار الفساد بين كبار لصوص الدولة .. والتفسيرات المضللة للماركسية وكذب الإعلام في حربي ٥٦ و٦٧ .. وتمويل صحف بيروت للإشادة والتهليل للحاكم .. إلخ .. إلخ ...
وقد أعلن أيضًا في غلاف الكتاب عن عزمه إصدار الجزء الثاني عن سماسرة السلاح (٢٥ سنة حرب – ٥٠ ألف مليون جنيه خراب) ، ثم قال في الختام : (لقد تحمل الشعب المصري أكثر مما تحمله غيره في سبيل تحقيق أحلام وأوهام لم تتحقق أبدًا !) ص ٢٧١ .

- ضبط خمسة ونصف كيلو حشيش وثلاثين كيلو من الأفيون في عامين فقط .. ومصادرة ثمانية وعشرون مليون دولارًا مزيفًا في عام واحد .

- نجحوا في حذف كل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والوقائع التاريخية المتعلقة باليهود من مناهج التعليم .

- صدّروا البذور والتقاوي والشتلات الملوثة فدمروا الإنتاج الزراعي والتربة بالجدب .

- هرمونات زراعية وأسمدة مخصبة ومبيدات إسرائيلية محرمة دوليًا وتصيب الإنسان بالعقم والسرطان .

- طاعون الجابوري جاء مع طرود البيض المخصّب من تل أبيب ، فقتل ثلثي الثروة الداجنة ، وطاعون الفاروا جاء مع ملكات النحل فقضى على ٨٠٪ من إنتاج العسل .

- تورطوا في تلويث ٤٠٪ من شواطئ البحر الأحمر السياحية ، وحاولوا تدمير المحميات الطبيعية بعد أن جذبت السياحة من شواطئ إيلات ... وربما ما خفي كان أعظم ! [1] .

وبعد أن كنا نتطلّع - خلال الستين عامًا الماضية - إلى مستقبل أفضل تتحقق فيها الحرية ، وتنهض مصر لتتبوأ مكانتها الجديرة بها ، وتصبح قدوة للأمة الإسلامية في تجديد حضارتها ... بدلًا من كل هذا فإذا حالة مصر - بالمصطلح العسكري - وبسبب الحكم العسكري « إلى الخلف دُرْ » ، وعادت إلى ما كانت

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية - العدد ١٠٥٢ بتاريخ ١١ ذي الحجة ١٤١٣ هـ - الموافق ٢ يونيو ١٩٩٣م - كلمة المحرر ص ٤) .

عليه في العصر الملكي قبل انقلاب الجيش في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، تخضع للاستعمار الأجنبي ، وتحكمها أسرة ، وتنحط إلى منحدر دول العالم الثالث !

ويصف الأستاذ عبد الحليم قنديل ذلك كلّه بقوله : (ومظاهر فقدان السيادة والاستقلال الوطني تبدو ظاهرة ، فأغلب سيناء منزوع السلاح [١] وأغلب قرارات السياسة والاقتصاد منزوع السيادة ، والسفارة الأمريكية بالقاهرة تحولت إلى ما يشبه دار المندوب السامي البريطاني في زمن الاحتلال القديم ، والنظام الجمهوري تحول إلى حكم عائلي يشبه حكم الملك فاروق ، وتلازم التبعية والفساد صار عنوانًا لقصر العائلة المباركية ، والنظام تحوّل إلى « دفع الجزية » لإسرائيل طلبًا للرضا السامي) [٢] .

وكان ينبغي توقّع ما هو أسوأ بعد خضوعنا لفصيل علماني يعادي المشروع الإسلامي استمر يحكم مصر طيلة ستين عامًا ، وهو فصيل منظّم (له قنواته التليفزيونية ، وشبكات مصالحه ، ومصادر تمويله ، وقياداته ، وأبواقه ، ومطامعه السياسية ، وأدواته) [٣] .

---

(١) وكان من المعارضين لاتفاقية السلام المشير الجمسي ، حيث أبدى رأيه بوضوح في خطورة الدور الأمريكي ، إذ عادت لنا سيناء في ضوء الاتفاقية بقيود شديدة ، كي تضع إسرائيل في الموقف العسكري الاستراتيجي الأقوى !
وقال : (كنت أدرك الجهد والتضحيات التي تحملتها القوات المصرية في القتال ، وعدم وجود مبرّر لتقديم هذا التنازل الكبير سياسيًّا أو عسكريًّا) .. وكان من رأيه أن الإدارة السياسية للحرب لابد أن تنطلق من العمل العسكري الذي يتحقق في ميدان القتال وليس العكس ، كذلك رأى أن السياسة تؤثر سلبًا على تفرغ العسكري لعمله مستشهدًا بقول وزير الدفاع أحمد إسماعيل : (السياسة عندما تدخل الجيوش تفسدها) ، ويرد الجمسي : (إننا في القوات المسلحة يجب أن نحترف عملنا العسكري فقط) .
مصطفى نبيل ، مقال بعنوان (المشير الجمسي .. وداعًا – عندما دمعت عينا بطل) ص٢٨ – مجلة الهلال المصرية – جمادى الأولى ١٤٢٤هـ – يوليو ٢٠٠٣م .

(٢) نفسه ص ١٦٦ .

(٣) بية صلاح الدين ، مقال بعنوان (علماني مصر .. أنتم أيضًا «تنظيم») جريدة الشروق ١٤/ ٣/ ٢٠١٤م ، ص ١٣ .

وتقول الكاتبة بهية صلاح الدين بصراحة تُشكر عليها : (أننا حكمنا مصر طيلة الستين عامًا الماضية . لو رجعنا تاريخ كل رؤساء الوزارة الذين مرّوا على مصر من بداية الجمهورية - أي العصر الناصري وتوابعه - وحتى الآن لم يكن من بينهم « إسلامي » واحد ، نظام موافقة الأمن المشروطة لتولي أي وظيفة حكومية تابعة لوزارة سيادية ترتب عليها أننا - العلمانيين - قدمنا لمصر أعتى وزراء ورجال داخليتها وأمنها ، نحن مثّلنا مصر في الداخل والخارج ، نحن كتبنا قوانينها واتفاقياتها ، نحن رسمنا ونفّذنا سياستها التعليمية والصحية ، نحن حكمنا مصر واضطهدنا من اضُطهد فيها) [1] .

وفي تحليلها لموقف التيار العلماني ، تذكر أن قلّة منه احتجت على الاضطهاد أو الفساد بغض النظر عن انتماء المظلوم أو المستفيد ، إلا أن الأغلبية صمتت خوفًا من أن أي إصلاح سيترتب عليه فقدان السلطة لصالح الخصم السياسي ، أي الإسلاميين !

ومع اعترافها بمسئولية العلمانيين عما حدث بعد ادّعاء البراءة والمثالية ، تقدّم اعتذارها في النهاية فتقول : (آن لنا أن نعتذر لهذا الوطن عما بدر منا ، وأن نعتذر لخصمنا السياسي عمّا جنينا) ! [2] .

ولكننا لن نفقد الأمل في نصر الله ﷻ إذا نفّذنا سنّته ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد : ٧] ، والدليل على ذلك أنه عقب الهزيمة الكارثة في حرب يونيو ٦٧ قيض لنا الله تعالى قائدًا مؤمنًا حقق لنا على يديه نصرًا أذهل العالم ، واتضح لنا - فيما بعد - من سيرته الذاتية أن مثله الأعلى - بعد النبي ﷺ - هو أمير المؤمنين عمر بن

(١) ، (٢) نفسه .

الخطاب رضي الله عنه ، في عدله وحسمه وصرامته ودفاعه المستميت في الحق ، وفي حرصه على إقامة قواعد راسخة لدولة المسلمين)[1] .

ونعود في الختام ، لنردد ما قلناه في حديث سابق في البداية عن سنة الله ﷻ في صلة الأمة الإسلامية بتقدّمها وازدهار حضارتها ، إذ عندما كانت سائرة على الطريق المستقيم في طاعة ربها ﷻ ، والعمل بشريعته ، والاتعاظ بالقصص القرآني عن الأمم السابقة ، والقيام بالمهمة المناطة بها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ﷻ لتكون كلمة الله هي العليا ، حينذاك تحقق لها النصر ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال : ١٠] .

وعندما تخلّت عن دورها ومضت في الطريق المعاكس بالانغماس في الشهوات والمعاصي وتقليد غيرها من الأمم وغير ذلك من الأسباب التي أبعدتها عن طاعة ربها ﷻ ، عندئذ انتكست حضارتها وانحطت ، بل تكالبت عليها الأمم الأخرى كما تتكالب الأكلة على قصعتها طبقًا لما ورد في حديث الرسول ﷺ ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

وما دمنا نتحدث في إطار تاريخنا الحضاري المعاصر ومدى الالتزام بأوامر الله ﷻ ونواهيه ؛ فإن عين الدارس لا تخطئ في رؤية أسباب الهزائم والسقوط إلى قاع الهزيمة والإخفاق ، ومن ثم نعلّل نتائج الطريق المنحرف الذي سارت فيه حركات الانقلابات العسكرية إذ قلّدت المشروع التغريبي المعادي للمشروع

---

(١) آمال البنا (سعد الدين الشاذلي ... القائد الأسطورة) ص ١٣٨ ، سلسلة (اقرأ) – دار المعارف بمصر ، رقم ٧٦٦ ، ٢٠١٣م .

الإسلامي ، فأدّت بنا إلى أحوالنا المتردّية التي لا ينكرها إلّا (ناصري علماني) معاند ، لا يملك دليلًا واحدًا على صحة مذهبه !

و ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ .

انتهى الكتاب بتوفيق الله تعالى وعونه

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *



الملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

ملحق رقم ١ ، وتعليق

إن الملاحق الواردة بعده تتحدث عن نفسها ، ولا تحتاج إلى تعليق ، ولكن هذا الملحق بالذات يحتاج إلى التنوية بعدة ملاحظات :

أولاً : إن الدكتور عبد الرحمن بدوي - رحمه الله تعالى - قدَّم لنا خلاصة تجربته العلمية - وبخاصة العقدية والفلسفية - حيث هداه الله ﷻ في نهاية حياته إلى معرفة الحق ، ونوَّر بصيرته لتصبح تجربته مصدرًا يُستفاد منه لإعادة النظر في المناهج الفلسفية بجامعاتنا ، لكي تفسح مجالًا واسعًا للدراسات النقدية ولمذاهب الفلسفة وتاريخها ، وذلك لتحصين الطلّاب من الفتنة التي خدعت أجيالًا من قبل ، وكأنّه بهذا التحول المذهل يدق ناقوس الخطر تحذيرًا من نظام التعليم الجامعي المصطبغ بصبغة ثقافة الغرب ، والذي سمَّم عقول شباب لا يعلم عدده إلا الله ﷻ .

ثانيًا : ضرورة تعريف شبابنا بالأدباء والمفكرين والزعماء الذين كانت إبداعاتهم منبثقة من الإسلام وتاريخه ، بدلًا من الشخصيات التي قادت حملة التغريب ، واحتلت المساحة الثقافية طيلة عقود بغير جدارة ، مع التوسع أيضًا في دراسة الثقافة الإسلامية بفروعها المتشعبة من عقائد وعبادات ومعاملات ونظم وقيم أخلاقية ، إذا أريد لأمتنا لتنهض من جديد على يد الأجيال القادمة بمشيئة الله تعالى .

وقد دلّنا الدكتور عبد الرحمن بدوي إلى الطريق الصحيح للنهضة بعد أن أيقن أن غيره من الطرق مسدودة، بل عادت علينا بالوبال والانحطاط، وواقعنا المعاصر خير دليل.

ثالثًا: وكما عاد الدكتور عبد الرحمن بدوي إلى الإسلام ليستظل بظله الظليل، ولينعم بالإيمان ويتذوق حلاوته، فكأنّه يدعو أمته أيضًا للتخلص من أدران التغريب والعودة إلى تراثها الإسلامي من جديد، إذ ثبت بالتجارب التاريخية التي خاضتها من عصر النبي ﷺ أنه هو وحده مصدر قوّتها وعزتها وأساس حضارتها، وأنه لا مفر - إذا أردنا النهوض واجتياز طريق التقدم - من العودة إلى الارتفاع إلى المستوى الذي وصلت إليه أمتنا عندما كانت تسير على الطريق المستقيم لعدّة قرون، وكانت وقتذاك تسود غيرها من الأمم.

وبالله التوفيق،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



مجلة الحرس الوطني ، عدد ٢٤٤ .. ٢٠٠٢/١٠/١

في آخر حوار معه .. الدكتور عبد الرحمن بدوي : نعم .. عدت إلى الإسلام بعد اغتراب ستين عامًا

كانت آخر أمانيه قبل أن يتوفى في شهر يوليو الماضي ٢٠٠٢م أن يمد الله في عمره حتى يتمكن من خدمة الإسلام والدفاع عنه بعد أن ظل ستين عامًا من عمره في خندق الوجودية معاديًا لدينه وقضايا أمته .

إنه المفكر الدكتور عبد الرحمن بدوي ، الذي لم يمهله القدر لتحقيق كل أمانيه ، وإن كان قد سجل قبل وفاته مراجعاته وكفره بالفلسفة الوجودية وغيرها من الفلسفات التي تصادم الفكر الإسلامي ، وقد أجرت مجلة الحرس الوطني حوارًا مع د. عبد الرحمن بدوي ، وأثناء تجهيز الحوار للنشر ومثول المجلة للطبع تناقلت وسائل الإعلام خبر وفاته ، وقد كشف المفكر العربي الراحل في حواره الكثير من الأسرار والخفايا ، وفي مقدمتها براءته من الوجودية وأوزارها ، والهجوم الذي تعرض له بعد إصداره للكتب التي تدافع عن الإسلام .

والغريب أن كل الكتابات التي تحدثت عن الدكتور بدوي بعد رحيله لم تتعرض - لا من قريب ولا من بعيد - لمراجعاته وعودته للفكر الإسلامي بعد اغتراب ستين عامًا .. والأغرب من ذلك أن الذين كانوا يحتفون بشطحات الدكتور بدوي وكتاباته المنحرفة لم يعجبهم أن يتحول إلى الفكر الإسلامي النقي ، وهاجموه بعد أن أصدر كتابيه : (الدفاع عن القرآن ضد منتقديه) ، و (دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره) .

وقد رأينا نشر الحوار مع الدكتور بدوي دون تدخل أو تعديل في السياق الزمني للحوار .

المحرر :

هو من الطيور العائدة إلى نقاء الفكر الإسلامي عن حب واقتناع ودراسة ، بعد أن اغترب عنه واجتذبته فلسفات وأفكار أوروبية خادعة ، رجع أخيرًا وأيقن أن الحضارة الإسلامية هي خير ما أنتجه الفكر الإنساني على مر العصور ، وآب إلى رشده مؤكدًا عظمة الإسلام كدين ورسالة ، وأن الوجودية التي حمل لواءها لمدة ستين عامًا ليست إلا شطحات وخزعبلات لا قيمة لها في دنيا الناس والعلم الواقع .

إنه الدكتور المفكر العربي عبد الرحمن بدوي « ٨٥ عامًا » الذي نبغ شابًا ، وبرز أستاذًا جامعيًا ، وخاض معارك طاحنة مع كبار المفكرين والأدباء في مصر والوطن العربي ، أصدر العديد من الدراسات التي ألّبت عليه جميع التيارات ، حتى وصفه البعض بأنه عدو التراث العربي الإسلامي .. لكنه في النهاية .. عاد وآب منقبًا عما في الفكر الإسلامي من النفائس والدرر ، وحاملًا لواء الدفاع عنه ضد أباطيل المستشرقين ومن لفّ لفهم من تلاميذهم في البيئة العربية ، فأصدر كتابيه اللذين أحدثا دويًا في الداخل والخارج وهما : (الدفاع عن القرآن ضد منتقديه) ، و (دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره) .

هاجمه المرض مؤخرًا .. وساءت حالته فرجع إلى مصر لتلقي العلاج ، ومعه كان هذا الحوار الجاد الذي رفض فيه التصوير الذي يؤثر على عينيه وصحته .

التوبة بعد الندم :

ماذا تود أن تقول وأنت على فراش المرض ؟

لا أستطيع أن أعبِّر عما بداخلي من إحساس الندم الشديد ، لأنني عاديت الإسلام والتراث العربي لأكثر من نصف قرن ، أشعر الآن أنني بحاجة إلى من يغسلني بالماء الصافي الرقراق لكي أعود من جديد مسلمًا حقًّا . إنني تبت إلى الله وندمت على ما فعلت ، وأنوي إن شاء الله بعد شفائي أن أكون جنديًّا للفكر الإسلامي وللدفاع عن الحضارة التي أشادها الآباء والأجداد ، والتي سطعت على المشارق والمغارب لقرون وقرون .

القرب من الله :

وهل تبرأت من كتاباتك السابقة عن « الوجودية » و « الزمن الوجودي » وعن كونك رائد الوجودية في الوطن العربي ؟

نعم .. أي عقل ناضج يفكر لا يثبت على حقيقة واحدة ، ولكنه يتساءل ويستفسر ويطرح أسئلته في كل وقت ، ويجدد نشاطه باستمرار ، ولهذا فأنا في الفترة الحالية أعيش مرحلة القرب من الله تعالى ، والتخلِّي عن كل ما كتبت من قبل من آراء تتصادم مع العقيدة والشريعة ومع الأدب الملتزم بالحق والخير والجمال ، فأنا الآن هضمت تراثنا الإسلامي قراءة وتذوقًا وتحليلًا وشرحًا ، وبدا لي أنه لم يتأتَّ لأمة من الأمم مثل هذا الكم الزاخر النفيس من العلم والأدب والفكر والفلسفة لأمة الضاد ! كما أني قرأت الأدب والفلسفات الغربية في لغاتها الأم مثل الإنجليزية والفرنسية واللاتينية والألمانية والإيطالية ، وأستطيع أن أقول

أن العقل الأوروبي لم ينتج شيئًا يستحق الإشادة والحفاوة مثلما فعل العقل العربي ! وتبين لي في النهاية الغي من الرشاد، والحق من الضلال .

مشروعات قادمة :

وماذا تنوي أن تقدم من مشاريع فكرية في المستقبل ؟ وهل ستعود إلى باريس ثانية ؟

مشاريعي الفكرية القادمة - إن شاء الله - تتجه وجهة فكرية أخرى، تميل إلى الأصالة بعد أن افتضحت « المعاصرة » وعرّاها الجحود والتخلف والتعقيد .

وأنا من الباحثين عن أسس مرجعية للحضارة الإسلامية، وبصدد تأليف كتاب يكون مرجعيًا لمعالم الحضارة في الإسلام : سماتها، أسماؤها، معالمها، اتجاهاتها، شخصياتها، أبرز علمائها .. إلخ، وهناك كتاب آخر عن الأدب والعقيدة دراسة في نماذج مختلفة، وغير ذلك من الموضوعات التي تمتاح من الأصالة وتتعمقها وتتشربها أصلًا ونبراسًا وطريقًا لا مناص ولا محيد عنه، وربما أعود لباريس ثانية .

الرافعي المظلوم :

خلافك مع كبار المفكرين كالدكتور طه حسين، وقولك إنه لم يقدم ما يستحق عليه لقب « عميد الأدب العربي » هل ما زلت مصرًا عليه ؟

نعم .. وليقارن القارئ بين إنتاج طه حسين وإنتاج معاصريه كالرافعي مثلًا، ذلك الأديب الكبير المظلوم، الذي يمتلك قدرات ومؤهلات أدبية وفكرية خارقة، وصاحب قلم رشيق، وخيال خصب، وعبارات مبتكرة، وكتابات توزن بميزان

الذهب . بينما نجد على النقيض أعمال طه حسين الضاربة في اتجاه معاداة الإسلام واللغة العربية والدعوة إلى الفكر الغربي ثقافة وأدبًا .

خطايا الحداثة :

وما رأيك في الحداثة بعد أن افتضح أمرها ، وثارت حولها القصص والحكايات بشأن التمويل والعلاقات المشبوهة مع المخابرات الغربية ؟

الحداثة ماتت في الغرب في السبعينيات ، لكننا أحييناها على ترابنا ، وفي جامعاتنا ومعاهدنا ، وفي منتدياتنا الفكرية والثقافية والأدبية ، وعادينا من أجلها تراثنا العظيم ، وشعرنا العمودي ، وفكرنا القويم ، وخضنا بسببها حروبًا طاحنة واشتباكات فكرية لا طائل من ورائها !! ولم يفطن أدباؤنا ولا مفكرونا إلى حقيقتها وإلى أوزارها ومساوئها إلا بعد صدور هذا الكتاب (الحرب الباردة الثقافية .. دور المخابرات المركزية الأمريكية في الثقافة والفن) الذي أحدث صدمة قوية بالنسبة لهؤلاء المتغربين ، فاقتنعوا أخيرًا بما كنا نقوله من قبل .

وحش العولمة :

يهاجم الجميع العولمة لما يكتنفها من هيمنة وغزو وسيطرة ومحق للثقافات وهويات الآخرين الحضارية ، فما رأيك في ذلك ؟

العولمة شبح يريد الفتك بنا جميعًا ، فهي وحش كاسر يتربص بالعالم كله لكي يستحوذ عليه ثقافيًا وفكريًا وحضاريًا واقتصاديًا وعسكريًا ، وهي استعمار جديد ، وهيمنة غربية على مقدرات العالم وعقوله وأفكاره وأمواله ! ويجب أن نتصدى لها وأن نفيق لمخططاتها الجهنمية .

وهل تقدرون مغبة عودتك الحميمة للإسلام بالنسبة للحداثيين والعلمانيين الذين سيشنون حربًا شرسة ضدكم ؟

ما دمت قد هاجمت الأصلاء وعرَّضت بهم وبإنتاجهم لسنين وسنين ؛ فما المانع أن أذوق من نفس الكأس وأن أشرب منه بعد أن تسببت في تجرع الكبار من هذا الكأس من قبل ؟! وأنا سعيد بأن يهاجمني الوجوديون والعلمانيون والشيوعيون ؛ لأن معنى ذلك أنني أسير على الحق ، وأنني على صواب ، ولا أكترث بما يكتبون ، لأن القافلة تسير والكلاب تنبح .

وماذا تتمنى في هذه اللحظة ؟

أتمنى أن يمد الله في عمري لأخدم الإسلام ، وأرد عنه كيد الكائدين وحقد الحاقدين .

اللهم اغفر له وارحمه ، آمين .



ملحق رقم ٢

وفيما يلي ترجمة لنص بعض ما جاء في خطبة ألقاها الحاخام ريشورن في اجتماع سري عقده اليهود على قبر قديسهم سيمون بن يهودا في مدينة براغ سنة ١٨٦٩م، ونشرت الوثيقة في مجلة Cantemporain بتاريخ ١/ ٧/ ١٨٨٠. ونظرًا لأهمية الوثيقة فلقد رأيت من الفائدة أن أنشر بعض نصوص تلك الوثيقة، ومما ورد فيها ترجمته فيما يلي:

(لقد وكل آباؤنا للنُّخْبة من قادة اليهود أمر الاجتماع مرة على الأقل في كل قرنٍ حول قبر أستاذنا الأعظم الرابي المقدس «سيمون بن يهودا»، الذي تعطي تعاليمه للصفوة من كل جيل سيطرة على جميع العالم، وسلطة على نسل يهودا.

وها قد مضى ثمانية عشر قرنًا على حرب يهودا من أجل تلك السيطرة التي وعد بها إبراهام والتي اغتصبها الصليب، ورغم أن شعب يهودا قد ديس بالأقدام وأهين من قبل أعدائه وكان على الدوام مهددًا بالموت والاضطهاد والاغتصاب وجميع أنواع الشدائد فإنه لم يستسلم، وإذا كنا قد انتشرنا في جميع أنحاء العالم فذلك لأن العالم كله ملك لنا.

ومنذ قرون عديدة حارب حكماؤنا الصليب بشجاعة وعزيمة لا تغلبان، إن شعبنا يخطو شيئًا فشيئًا نحو القمّة، وفي كل يوم تزداد قوّتنا، نحن نملك آلهة هذا العصر.. تلك الآلهة التي نصبها لنا هارون في الصحراء، إنه العجل الذهبي الذي عبدناه، والذي يعتبر اليوم إله العالم أجمع.

ومنذ اللحظة التي نصبح فيها المالكين الوحيدين للذهب في العالم فإن القوة الحقيقية تصبح ملك أيدينا ، وعندئذٍ تحقق الوعود التي قدمت لإبراهام .

إن الذهب أعظم قوة في عالم الذهب ، إنه قوة وفي الوقت نفسه هبة ، إنه يؤمن جميع أنواع السيادة تلك التي يخشاها المرء ويشتهيها ، هنالك يكمن السر وعمق المعرفة بالروح التي تحكم العالم ، هناك نملك المستقبل .

كانت القرون الثمانية عشر الماضية لأعدائنا ، ولكن القرن الحالي والقرون المُقبِلة ستكون لنا ، ويجب أن تكون لنا نحن شعب يهودا ، ومن المحقق أنها ستكون لنا . إن عصور والاضطهاد والعذاب والأزمنة السود المؤلمة التي تحمّلها شعب يهودا بالصبر والشجاعة قد مرت بسلام ، وشكر لتطور المدنية بين المسيحين وتقدمها ، وهذا التقدم هو الدرع الذي تختبئ من ورائه ، لنعمل بثبات وبسرعة خاطفة من أجل إزالة الفجوة التي ما زالت تفصلنا عنْ غاياتنا النهائية .

دعونا نجيل النظر على الحالة المادية لأوروبا ، وندقق في الموارد التي جمعها اليهود من بداية هذا القرن ، مجرد ما جمعناه من رؤوس أموال كبيرة هي ملك أيدينا في هذه اللحظة . وهكذا في باريس ، لندن ، فينا ، برلين ، أمستردام ، هامبورج ، روما ، نابلي .. إلخ ، وفي الروتشيلد نجد أن اليهود في كل مكان هم سادة الأوضاع المالية لأنهم يملكون عدة آلاف الملايين ، يعيش الملوك وأباطرة وأمراء اليوم مثقلين بالديون ، وعلينا أن نستغل هذه الناحية ونزيد من قروضنا لهم مقابل رهن أملاكهم وسكك الحديد والمصانع والمناجم في بلادهم ، وبذلك تتم لنا السيطرة على عروشهم وأماراتهم . شعبنا طموح فخور ومحب للسعادة والرفاهية . وحيثما كان النور لابد من وجود ظل ، وليس عبثًا أن إلهنا قد أعطى

شعبه المختار قوة الأفعى وحيويتها ، وحيلة الثعلب ومكره ، وبعد نظر الصقر ، وقوة ذاكرة الكلب ، والتضامن الفطري لدى كلاب البحر .

قيل بأن عددًا من إخواننا اليهود تنصروا ، وماذا يضيرنا ؟

إن هؤلاء اليهود الذين يتعمدون بأجسامهم ستظل أرواحهم يهودية ، وسوف يكونون لنا مشعلًا نستنير به في اكتشاف خبايا النصرانية ، ومساعدين لنا على رسم الخطط التي تدمر المسيحية . إن الكنيسة عدونا الخطير ، فلنستفد من إخواننا الذين تنصروا في الظاهر لبث الفساد في الكنيسة ، وإشاعة أسباب الخلاف والفرقة والصراع بين المسيحيين ، ونشر الأنباء المشوهة التي تسيء إلى رجال الدين ، فيقل احترامهم ويزدريهم الشعب في كل مكان .

التجارة والمضاربة مصدرا ربح عظيم فلا يصح خروجها من أيدينا ، علينا أن نستولي على احتكارات الخمور والحبوب والدقيق والتجارة للمواد الغذائية لنتحكم في بطون الجتايل الكفار .

علينا أن نتسلل إلى جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، لابد من أن نتسلم مناصب رئيسية في القضاء والوزارات الرئيسية والجامعات وأقسام الفلسفة منها والقانون والموسيقى والاقتصاد والطب والآداب والعلوم .

علينا أن نشجع الزواج من المسيحيات ، ولن نخسر شيئًا من جراء ذلك الاختلاط ، بل لابد أن نكون الرابحين ، وقد توصلنا مصاهرة الأسر المسيحية الكبيرة إلى السلطة ومفاتيح النفوذ في جميع الدوائر ، فلنشجع الزواج العرفي بعقد أمام السلطة المدنية ، ولنحارب الزواج الديني في الكنيسة .

إذا كان الذهب هو القوة الأولى فإن الصحافة هي القوة الثانية ، ولكن الثانية لا تعمل من غير الأولى ، فعلينا بواسطة الذهب أن نستولي على الصحافة ، وأن نبذل المال لمن نجد نفوسهم مفتوحة لتقبل الرشوة ، وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين إلى تحطيم الحياة العائلية والأخلاق والدين والفضائل .

شعبنا محافظ مؤمن متدين ، ولكن علينا أن نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية ، فيعم الفساد والكفر ، وتضعف الروابط المتينة التي تعتبر أهم مقومات الشعوب ، فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد .

علموا أبناء يهودا هذه التعاليم والمبادئ التي ستجعل من شعبنا شجرة عظيمة مثمرة تحمل أغصانها ثمار السعادة والرخاء والثراء) .

ومهما يكن من أمر فلقد حقق اليهود كثيرًا من هذه المبادئ في كثير من الدول .

المصدر : كتاب الأستاذ محمد متولي العتربي بعنوان (قضية فلسطين قضية عالمية) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة – ١٣٨٩ هـ – ١٩٧٠ م .



ملحق رقم ٢

مقدمة كتاب (المفسدون في الأرض) لمؤلفه : س. ناجي

الغاية من التاليف

لقد أسهب الكتاب والمفكرون في تعليل أسباب نكبة عام ١٩٤٨ المفجعة ، فذهب بعضهم يعزوها إلى النقص في الإدراك السياسي ، وزعم غيرهم أنها كانت نتيجة التقصير في التأهب الحربي ... وراح آخرون يدعون أنها كانت وليدة ظروف خاصة أحاطت بالشعب العربي الذي كان في طور التكون والنضوج .

أما أنا الذي شاءت الأقدار أن يكون لي شرف الجهاد في خوض معاركها ، وأشاهد عيانًا أكثر أحداثها المريرة وتطوراتها المفاجئة ، وأن أكتوي بلظى نتائجها الأليمة التي أسفرت عن فقدي أعز رفاقي في السلاح وأصلبهم عودًا وأشدهم بأسًا . وإني وإن كنت لا أقلل من أهمية ما قيل في تعليل أسباب هذه النكسة المشؤومة إلا أنني اعتقد جازمًا أن أهم أسبابها يرجع إلى النقص الفاضح في توعيتنا القومية والوطنية الذي كان يسود ربوعنا العربية قبل الكارثة ، إذ كنا متفرقين إلى شيع ومذاهب دون أن ندرك أهداف هذه المذاهب التي كنا نتشيع لها ، ودون أن يكون لها نصيب من صلابة العقيدة القومية والوطنية ، وبدون أن نبحث عن خفاياها وعمن يكمن وراءها .

فكان منا المنتسب للماسونية بحجة أنها جمعية ذات أهداف إنسانية نبيلة ، ومنا من يظاهر الدول الغربية المهودة عن جهل في كنه نواياها اعتقادًا منا بأنها دول حرة لا تبغي للإنسانية سوى الخير والحرية ، وكانت في صفوفنا فئة افتقدت مزية

التفكير الصحيح والتي كانت تنظر إلى اليهود نظرة الرثاء والشفقة بزعم أنهم أفراد شعب مضطهد وأصحاب شريعة سماوية وأحفاد أصحاب الرسالات والمعجزات، حتى إن بعض حملة الأقلام لم يحجموا أحيانًا عن الدفاع عنهم، وترديد ما روته المصادر اليهودية عن الكرامات والمعجزات المنسوبة إلى أسلافهم الأولين، بغية استدرار الشفقة والعطف على القضايا اليهودية التي كانت تعترضها بعض العقبات أحيانًا في أكثر البلدان الأوروبية.

فهذه النوازع المتباينة هي التي أسدلت ستار الغشاوة على الأعين الأمينة لقضايانا القومية والوطنية، وحالت دون قيام المخلصين بالتوعية القومية الصحيحة التي كانت تفرضها الظروف السائدة ما قبل الكارثة، وبالتالي أدت إلى عدم اطلاع المواطن العربي على خفايا الأمور ومعرفة الحقائق التاريخية المرعبة التي كان اليهود أبطالها عبر القرون في كل زمان ومكان.

وهكذا ظل المواطن العربي نهبًا للدعايات الماسونية المضللة، وللتصريحات الفكرية الخاطئة التي كانت تصدر عن المغرر بهم ممن كانوا يثقون بالغرب ودولته المهودة، ومطية سهلة للأساطير والخرافات التي كانت تطلق من قبل ذوي العقول المريضة الذين جعلوا من أنفسهم داعية لهذه الأساطير والخرافات التي أغرق اليهود في خضمها ليس أقطار الشرق العربي فحسب بل العالم أجمع، حتى انزلقت في متاهاتها أكثر الشعوب الأوروبية وانطلت ألاعيبها على الأكثرية الساحقة من بني الإنسان. رغم أن أكثر شعوب العالم سبق لها أن ذاقت الأمرين على أيدي اليهود، قلَّ أن نجد في التاريخ شعبًا لم يكتو بنار الحقد اليهودي الأسود، ولكن عبقرية اليهود الشيطانية كانت دائمًا وأبدًا تعمل بمختلف الأساليب على محو آثار الطعنات التي تسددها من ذاكرة ضحاياها، فتارة تشتري الضمائر

الرخيصة لتبرير جرائمها ، وأخرى تبتاع الأقلام القذرة لتنبري للدفاع عنها وإسدال الستار على مخازيها ، ومرة ثانية توعز إلى أنصارها من الماسون والمهودين للعمل على إخفاء عواقب آثامها ، وأحيانًا تعمد إلى تشويه الحقائق وتزوير التاريخ لتطمس معالم ما ارتكبته من الجرائم ضد الآخرين ، وبفضل هذه الأساليب الجهنمية عاش اليهود عبر القرون بأمان يعملون بسرية وهدوء ليصلوا إلى أهدافهم البعيدة وفي مقدمتها السيطرة على العالم أجمع ، ولقد جعلوا نقطة الانطلاق لهذا الهدف احتلال فلسطين للمرة الثانية في التاريخ ، بغية الاندفاع منها إلى مراحل أخرى خططت لها منذ أجيال عديدة .

وبينما كان اليهود يعملون ويخططون دون هوادة لتأسيس دولتهم وتحقيق أحلامهم ؛ كنا نحن العرب في غفلة منهم ، وكأن الأمر لا يهمنا ، وانهمكنا في معارك جانبية تاركين لهم الحبل على غاربه ، حتى داهمتنا النكسة المفجعة وأيقظتنا من رقدنا العميق .

فلو أن الأجيال الغابرة ورجال الفكر والقلم لعهود ما قبل النكسة تنبهوا لما كان يدور حولنا منذ عدة قرون ، وسارعوا إلى البحث عن الأسرار الخفية لسلوك اليهود ، وتنبهوا إلى تصريحات ومساعي زعمائهم منذ مستهل القرن التاسع عشر ؛ لكانوا أدركوا مراميهم الخفية بكل يسر وسهولة ، وعندئذ كان بإمكانهم أن يوقظوا شعبهم من سباته العميق ، ويعدوا إلى توعيته بصورة جدية ، وذلك عن طريق فضح أسرار اليهود السياسية والإجرامية ، وكشف الستار عن خيانة من يعملون في خدمتهم من الماسون والمفرد بهم ، وبالتالي تطهير صفوف الأمة من هؤلاء وممن يدور في فلكهم من العملاء والانهزاميين ، ومن ثم تقوية الوحدة القومية والوطنية في أرجاء الوطن العربي للحيلولة دون النكسة التي ألمت بنا ، أما

وقد فاتهم الأوان ، فوقعت الكارثة ، وصدمنا بالأمر الواقع ، ولم يعد لنا مناص إلا بمجابهة العدو بكل طاقاتنا وإمكانياتنا ، وسد ما في صفوفنا من الثغرات ، وفي مقدمتها ثغرة التوعية القومية والوطنية والخلقية ، ونبذ الدعوات الباطلة المستمدة من المصادر اليهودية ، والعمل صفًّا واحدًا بكل تصميم وحزم لنكشف للعالم أجمع ما ارتكبه اليهود من جرائم وآثام بحق الإنسانية ، ولنوضح لأبناء قومنا حقيقة الرواسب الباطلة العالقة في أذهانهم عن اليهود واليهودية ، ونشمر عن ساعد الجد لإرغام التاريخ على أن يعيد نفسه ، ونرمي مرة أخرى بالأقزام الدخلاء المعتدين خارج أرض كنعان المقدسة كما فعل بهم أسلافنا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا خلت لنطهر الأرض المقدسة من رجسهم ، ونزيل وصمة العار التي لصقت بنا ، ونعيد للعالم ثقته بأمتنا المجيدة .

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل الذي ينشده كل عربي مخلص ، وإسهامًا في توعية النضال القومي والوطني والخلقي ، أضع مجهودي المتواضع هذا بين يدي القارئ العربي الكريم بغية إطلاع الرأي العام على جرائم اليهود وكشف حقائقها وفضح أسرارها وإزالة كل غموض والتباس في خفاياها ، وأرجو الله ﷻ أن أكون بهذا قد وفقت إلى ما فيه خير أمتي ووطني الكبير ، والله ولي التوفيق .

س. ناجي

كتاب (المفسدون في الأرض) ، ط ٢ ، ١٩٧٣ ط ، العربي للإعلام والنشر – دمشق .

* * *

ملحق رقم ٤

يقول الدكتور حسن ظاظا :

(أما فيما يعنينا نحن العرب وأمم الإسلام فإن الجولات السابقة مع الصهيونية - وهي جولات سلبية النتائج على طول الخط - لابد أن تعلمنا شيئًا هامًّا أشرنا إليه منذ البداية ، وهو أن زوال إسرائيل أمر ضروري لحرية العالم العربي والإسلامي وازدهاره ورقيه ، وأن النتائج السلبية التي واجهناها لا تعني على الإطلاق أن نتزحزح عن هذا الهدف الأساسي ، كما يبدو من صنيع بعض المفكرين منا الذين يحاولون أن « يتأقلموا » في الوجود الصهيوني الإسرائيلي الاستعماري .

إن مشكلة الآن هي أن يتحول زوال الصهيونية عن وطننا من هدف تكتيكي إلى استراتيجي ، أي أننا نعمل له مهما طال المدى ، تمامًا كما عمل اليهود لإنشاء إسرائيل ، والمهم هو ألا يغيب عن أنظارنا ، وألا تلهينا عنه أو تميته في ضمائرنا الحلول البديلة أو التسويات الوقتية وما تعد به من أمن وراحة واسترخاء . زوال الصهيونية في هذا الركن من العالم أمانة في أعناق العرب والمسلمين مهما استغرق ذلك من أجيال ، ونحب أن نقول في النهاية : إننا لا نعني بزوال إسرائيل من المنطقة وزوال الصهيونية من العالم إبادة اليهود أو الدعوة إلى إفنائهم أو حتى اضطهادهم والتعصب ضدهم ، ولكننا نقول كما قال الكثيرون من المستنيرين منهم : إن اليهودي إذا شفي من حقده على العالم استطاع أن يجد له وطنًا في كل مكان ، كالمسيحي والمسلم والبوذي والزنديق ، وهو وراء ذلك كله واجد وطنه القومي والروحي في التوراة والتلمود ، كما يجده المسلم في الكتاب والسنة ،

والمسيحي في الإنجيل وأعمال الرسل ، وقد عرف الإسلام قديمًا كيف يشفي قلوب اليهود المريضة بحيث تم التآخي بين الأمتين في ظل الراية العربية ، لا المسلم يجور على اليهودي ولا اليهودي ينال من المسلم ، وكان ذلك عصرًا ذهبيًّا باعتراف كل أقطابه ومفكريه ، وإنما بدأت اليهودية تتردى إلى الحضيض عندما ضعف أمر العرب ، وتمزق ملك المسلمين ، ودبت الفتن في مجتمعهم ، هنا وجُد اليهودي نفسه بلا ولي ولا نصير ، وقد يجد نفسه في مثل هذا الموقف في فلسطين في المستقبل القريب أو البعيد إن ظل محترفو الصهاينة هم القادة الذين يقررون مصير قومهم في إسرائيل ، حينئذ سيكون الأمر أخطر من مجرد صراع بين اليهود والعرب ، لأنه سينتهي حتمًا إلى كارثة عالمية لا يعلم أبعاد الدمار فيها إلا الله) .

د/ حسن ظاظا (إسرائيل .. ركيزة للاستعمار بين المسلمين) ص ٦٥ ، ٦٦ ، ط مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .





تذييلات

بعض القضايا
المتعلقة بثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢

[١] ثورة ٢٣ يوليو بين المدح والذم

الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ﷺ .. وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد،،،

فقد امتد بي العمر لأعاصر آثار (ثورة) ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ المدمِّرة بكل ما تحمله هذه الكلمة من إيحاءات مثبِّطة للهمم، بينما كنت – ومعي أبناء جيلي والشعب المصري بمجمله – تملأ صدورنا الآمال الكبار بارتفاع مصر إلى مكانتها اللائقة بين الدول المعاصرة.. وكانت أجهزة الإعلام تخدعنا وتلعب بعواطفنا وتغذي أحلامنا بانتصارات موهومة بالخارج، وإصلاحات ومشاريع كبرى في الداخل، حتى وصل بنا الحد إلى (فقد الوعي) كما عبَّر بذلك الأديب الشهير توفيق الحكيم، ولكن مرَّت السنوات، وإذا بهزيمة عام ١٩٦٧ – والتي وصفت بأنها أقسى هزيمة عسكرية في العصر الحديث – تصدمنا صدمة كبرى، بل كانت أكبر من قدرتنا على الاحتمال – وإذا بنا كأننا وقعنا فجأة من شاهق!

وكان السؤال الملحّ أمامنا جميعًا: ما المخرَج؟

أجل إن حدثًا له تأثيره الهائل في تغيير مجرى تاريخنا كحركة الانقلاب العسكرية في مصر عام ١٩٥٢ يستدعي الدراسة الشاملة العميقة بواسطة علماء التاريخ والاجتماع والسياسة والنفس والاقتصاد والتربية كلٌّ في مجاله، ولمكانة مصر دورها التاريخي في الدفاع عن العرب والمسلمين أثناء الحروب الصليبية وهجمات التتار، وهي في أوقات السلم – تقع في قلب العالمينْ العربيِّ والإسلامي، وهي

بلد الأزهر أقدم جامعة في العالم، وما يحدث فيها من تغييرات ثقافية وعسكرية وسياسية يؤثر على المنطقة بأسرها من مكانة ووزن، وغرضي من دعوة العلماء - كلٌّ في مجاله - لمزيد من الدراسة .. إلخ، لما لها من الدراسة لكي نستخلص العبر والدروس - وهي النصيحة التي وجّهها إلينا الرئيس الأسبق محمد نجيب رَحِمَهُ اللَّهُ بعد التجربة الواقعية المريرة المخيِّبة للآمال بقوله: «وعلى الجميع أن يستوعبوا الدرس وأن يحفظوه جيدًا، ولا يفرِّطوا في التجربة التي عاشها الجميع ودفعوا فيها ثمنًا باهظًا»[1].

واختلفت الأراء حول (ثورة) يوليو ١٩٥٢ بين المدح والذم، أحيانًا بشكل موضوعي متزن، وأحيانًا أخرى بشكل معارضة عنيفة تكتسح في طريقها ما لها من مميزات ولو ضئيلة.

ونكتفي برأيَيْن، أحدهما يرى أنها (أسهمت في تغيير الدنيا من حولنا وفي تجديد أمتنا العربية.. وغيرت في الداخل إلى غير رجعة شكل الهرم الاجتماعي، وأعطت الفئات المحرومة فرصة التعبير عن نفسها والدفاع عن مصالحها مع إقامة قاعدة صناعية حديثة)[2].

والرأي الآخر يعبر به الرئيس الأسبق محمد نجيب بقوله: «أعتقد أنه لابد أن نخرج من الحقيقة بالخبرة والموعظة . تحويل مصر، أكبر الدول العربية وقلبها النابض إلى ضيعة يتحكم فيها واحد مهما سمت غاياته وعظمت قدراته وتعددت طاقاته هو أمر لابد وأن ينتهي بكارثة..

القضية ليست في بناء المصانع والسدود ولكنها في بناء الإنسان.. وعندما تُسلب إرادة الإنسان، ويصادر رأيه ويحجر على حريته، يتحول إلى كيان سلبي لا يقدِّم لمجتمعه ما يفيد، وإنما يفكر في الهروب والانطلاق..

---

(١) د/ رفعت يونان (محمد نجيب زعيم ثورة أم واجهة حركة؟) ص ١٥٥ .

(٢) د/ رفعت يونان (محمد نجيب زعيم ثورة أم واجهة حركة؟) ص ١٥٥، دار الشروق بمصر عام ٢٠٠٨م.

والهجرة من مصر أصبحت مع الأسف طابع المرحلة.. بعد أن كان المصري يضرب بجذوره في وادي النيل كما يضرب النخيل، ويرتفع أصبح مثل النبت الصغير تذروه الرياح وتحمله معها إلى حيث يسير»[1].

وظل محمد نجيب يشكو مرَّ الشكوى من سوء المعاملة التي لقيها من زملائه الضباط وبخاصة عبد الناصر، فقال: «لكن .. لم يحافظ عبد الناصر لا على الأصول ولا على التقاليد..».

وأخذ يشكو من الانهيار الأخلاقي بقوله: «تعاملوا معي كأنني لص.. أو مجرم.. أو شرير ... ولم يشرحوا إلى ما حدث ... ولم يحترموا سني ولا رتبتي ولا مركزي ولا دوري، وألقوا بي في النهاية في أيدي لا ترحم وقلوب لا تحس، وبشر تتعفف الحيوانات من الانتساب إليهم»[2].

وعندما ظهرتْ بوادر الحرب عام ١٩٥٦م كتب إلى عبد الناصر مُبديًا رغبته الصادقة في المشاركة في القتال دفاعًا عن مصر، متطوعًا جنديًّا عاديًا في جبهة القتال باسم مستعار، وقال ـ في ختام خطابه ـ: «أعدك بشرفي أن أعود إلى معتقلي إذا بقيت حيًّا بعد انتهاء القتال. وبذلك تغسلون ما لحق بي من آلام»[3].

وبهذا الموقف وتميزه من المواقف التي سجلها محمد نجيب بكتابيه (كنت رئيسًا لمصر) و(كلمتي للتاريخ) يتضح لنا ما اتسم به من مكارم الأخلاق، ومحاولته ضرب المثل الأعلى.

ومن كلماته: «أريد أن نضرب مثلًا جديدًا على إنكار الذات»، وكأنه ينبهنا إلى معالي الأخلاق المنصوص عنها بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبينا محمد ﷺ، وكم نحن

---

(١) الرئيس محمد نجيب (كلمتي ... للتاريخ) ص ٢٠٢ المكتب المصري الحديث، وأوجه عناية الباحثين إلى كتاب أ.د أحمد شلبي عام ٢٠١٠م (موسوعة التاريخ الإسلامي) ج٩ مكتبة النهضة العصية عام ١٩٨٠ ويقع في نحو ٨٠٠ صفحة.

(٢) مذكرات محمد نجيب (كنت رئيسًا لمصر) ص ٣٥٦ المكتب المصري الحديث ط.ع عام ١٩٨٤ م.

(٣) نفسه ص ٣٦٥ ويشرح أيضًا بواقعة أغرب من الخيال، فيقول: «وإذا كان عبد الناصر طلب إذابة جثتي في حامض بشرش.. فأنا طلبت منه أن انطوع كجندي عادي في جيش مصر».

في حاجة إلى وضعها أمام أعيننا للفت الانتباه إلى مدى إهمالنا لها، إذ كانت الركيزة الأولى لإقامة حضارتنا الإسلامية التي من سماتها الكبرى الرقي الأخلاقي في كافة دروب الحياة الإنسانية، وينبغي إدراك أن مشاغل الحياة المعاصرة المشوبة بعدوى آفات الحضارة الغربية صرفتنا عن متابعة آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، فضلاً عن تنفيذها كما وردت. والمتابع لأحوال بلادنا يفجعه ذلك التردي عن المستوى الأخلاقي الذي عاش في ظلّه الآباء والأجداد ولا يفوتنا إثبات الشكوى على ألسنة مسئولين كبار كالسادات بكتابه (البحث عن الذات)، أو تسجيل عمق أوجه الفساد التي ضربت في أعماق مجتمعنا المصري في عصر مبارك.

يقول السادات: «ففي الثمانية عشر عامًا السابقة على رئاستي للجمهورية حاولوا أن يجعلوا من مصر مجتمع حقد وقوة فقط، ولكن التجربة فشلت ١٠٠٪ لأنها لا تلائم تكويننا أو طبعنا.. نادينا بالديكتاتور العادل أو المستبد فلما جاءنا.. قام البناء على الرمال .. وليت الأمر اقتصر على هذا.. فأقبح ما واجهته لم يكن الوضع الاقتصادي المنهار، ولا الوضع العسكري المهيمن.. بل جبل الحقد الذي نشأ عن محاولة بناء مجتمع القوة.. ففي هذه المجتمعات - كما قلت - تنعدم القيم الإنسانية، ومع انعدامها يصبح الشاغل الوحيد لكل فرد في المجتمع أن ينال أكبر قسط من النجاح الخارجي (الكسب أو الجاه أو القوة المادية) بحق أو بدون حق ومهما كلّفه ذلك ولو كان القضاء على الآخرين.

ومن نتائج مجتمع الحق والقوة حالة الضياع والحيرة التي يعيشها الشباب في مصر اليوم .. ونشأ صراع داخلي مرير عند الشباب بين قيم جمالية ترسبت في وعيهم الجماعي.. ومجتمع القوة الجديد الخالي من أي قيم والذي فُرض عليهم فرضًا .. وازدات حدة الصراع وأصبح الضياع أمرًا محتومًا عندما رأى الشباب مجتمع القوة ينهار أمام أعينهم، ومع ذلك فمازالوا يلقنونهم أنه أفضل المجتمعات وأقواها»[1].

---

(١) أنور السادات (البحث عن الذات قصة حياتي) ص ١١٣ المكتب المصري الحديث عام ١٩٧٨م.

وما أكثر المقالات والبحوث والكتب التي وصفت أنواع الفساد في عصر مبارك، اخترنا منها كتابًا بعنوان (اقتصاد الفساد في مصر .. كيف جرى إفساد مصر والمصريين: عام ١٩٧٤-٢٠١٠) لمؤلفه عبد الخالق فاروق وتعريف الفساد كما ورد في الكتاب أنه «اتخاذ القرارات في الشأن العام فيما يتصل بتخصيص الموارد الاقتصادية، وتوزيع العائد الاقتصادي وفق اعتبارات المصلحة الخاصة، وليس وفق الصالح العام أو بالتضاد معه».

ويقول د/ نادر فرجاني في تقديمه للكتاب: «إن الثقافة العربية الإسلامية في ينابيعها الأنقى، تذم الفساد بشدة وتدينه أشد الإدانة. انظر مثلاً في أحكام القرآن: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [الرعد:٣٩]، ثم يلخص مظاهر الفساد في مصر، حيث تتعايش حالة استثنائية من العجز التنموي والإخفاق الوطني، قوميًا وإنسانيًا، ويتضافر سوء الحكم مع استشراء الفساد في مناحي الحياة كافة حتى قاربت كل مدونات السلوك الرشيد أن تخلي السبيل تمامًا لتنويعات مريعة على لحن الفساد المزعج. ولعل أشد نواحي الفساد ضراوة هو تسلل الفساد إلى المؤسسات التي يفترض أن تكون في مقدمة الحرب عليه، مثل القضاء والمجالس النيابية»[1].

ولا نبالغ إذن إن قررنا أنه لا فائدة تُرجى من مشروعات نهضة صناعية أو زراعية أو تعليمية أو تكنولوجية أو اقتصادية أو غيرها، ما لم ننهض أخلاقيًا لإحياء حضارتنا من جديد، بالاقتداء بأسوتنا ﷺ، التي فتح القلوب القاسية بأخلاقه، وتأسّى به الصحابة والتابعون فكانوا بحق (خير أمة أُخرجت للناس)، ومازالت الأمة الإسلامية مطالبة لأداء دورها في هداية العالم إلى الطريق المستقيم، صراط الله الذي له ملك السموات والأرض.

***

(١) إصدار الهيئة المصرية للكتاب عام ٢٠١٢م.

[٢] موقف ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ من إسرائيل

كان الأستاذ محمد جلال كشك رَحِمَهُ اللَّهُ ممن برعوا في دراسة أحداث الثورة بكتابيه (ثورة ٢٣ يوليو الأمريكية) و(كلمتي للمغفلين) تحليلاً ومقارنةً ونقدًا، وسنكتفي بالنتائج التي توصل إليها في بحث صلة عبد الناصر بقضية فلسطين، وهل كانت (إسرائيل) ضمن القضايا التي شغلته طوال فترة حكمه؟

يتساءل رَحِمَهُ اللَّهُ: «وماذا تعني الصلة الحسنة بين الأمريكان والثورة لإسرائيل إلا إذا انعكست في مثل هذا الموقف، وهو إزالة الموقف الوطني للقوى الرجعية بشطب قضية بل اسم فلسطين من برنامج وميثاق وأهداف هيئة التحرير، وحل الحزب الذي ذكرها وسجن وشنق من قاتلوا على أرضها»[(١)].

ويفسِّر هذه الصلة الحسنة بناء على الاتفاق الذي تم بين الولايات المتحدة ورجال العهد الجديد (أي حركة ٢٣ يوليو) قبل الوصول للحكم وبعد الاستيلاء عليه، وهو تجميد قضية فلسطين، والتركيز على المشاكل الداخلية وإتاحة فرصة للولايات المتحدة لإيجاد حل سلمي... بينما كان (النظام القديم) شديد العداء للصهيونية، خاض حربًا شاملة ضدها، عسكريًّا بالهجوم في ١٥ مايو عام ١٩٤٨، واقتصاديًّا بإغلاق قناة السويس، والمبادرة الناجحة بسد خليج العقبة والحكم بالشلل والموت على كل مشاريع عبر البحر الأحمر وايلات، وبوضع قوانين المقاطعة الاقتصادية بل والإصرار على أن تشمل المواد الغذائية رغم معارضة الدول العربية وخاصة التي كانت تبيع وتستورد من إسرائيل»[(٢)].

ويضيف إلى ذلك أن مصلحة إسرائيل تتضح في توفير المجال للعسكر لتصفية النظام القديم، وخاصة التنظيمات العقائدية شبه العسكرية، التي كانت قضية فلسطين تحتل مكانًا بارزًا في تفكيرها وبرامجها مثل الإخوان المسلمين ومصر

---

(١) محمد جلال كشك (كلمتي للمغفلين) ص٣٣٥، دار ثابت بالقاهرة ط٢ عام ١٩٨٥م.

(٢) نفسه ص٣٣٦.

القناة.. إلخ.. أو الوفد الحزب الشعبي ذو التاريخ الديمقراطي والمكانة الدولية البارزة لدى حركات التحرير البرجوازية في آسيا وأفريقيا والذي اثبت عداوته المؤثرة ضد إسرائيل[(١)].

وبناءً على مراجعة خطب عبد الناصر، يؤكد الأستاذ محمد جلال كشك أنه من ١٩٥٢-١٩٥٤ لم تكن إسرائيل على قائمة اهتماماته باعترافه في أكثر من خطاب وبشهادة هيكل[(٢)].

ثم ينقلنا إلى مراجعة نص من كتاب كوبلاند (رجل المخابرات الأمريكية) الذي يقول فيه: «ولنذكر أن جوهر القضية في دعمنا لناصر هو أن يصبح لنا في السلطة في واحدة من أهم من الدول العربية، القائد الذي تتوافر له السلطة الكافية لفرض قرار غير محبوب مثل توقيع السلام مع إسرائيل؛ ولذا فإن أول خطوة في برنامجنا وبرنامج ناصر هي فرض سلطته هذه، ولو بالقوة»[(٣)].

ويفتح ملفّات حرب السويس سنة ١٩٥٦ وحرب سنة ١٩٦٧ ثم يستخلص بدراسته الشاملة أن كل القرارات كانت لصالح إسرائيل، ويقرر في حسم وقطع: **«لو كان الذي يحكم مصر يهوديًّا.. لما خدم إسرائيل بأكثر مما فعل عبد الناصر».**

ويقول هشام خضر: «وليت توفيق الحكيم كان حيًّا لوصف لنا مشاعره حين بعث أحد أبناء مصر المغتربين يطلب منه وضع تمثال (أبو خالد) في ميدان مشهور بتل أبيب تقديرًا لدوره في تحقيق أطماع الدولة الصهيونية التي تحقق على يديه ما لا يمكن بحال من الأحوال أن يتكرر في عهد أي زعيم آخر مهما بلغت درجة إهماله وفوضويته»[(٤)].

---

(١) نفسه ص ٣٣٦.

(٢) نفسه ص ٣٣٣.

(٣) محمد جلال كشك (ثورة ٢٣ يوليو الأمريكية) ص ٣٣٧ ويقول أيضًا: «إن عبد الناصر - كما ذكر هيكل - لا يشغل نفسه بإسرائيل، وإنما يركز على التنمية الداخلية في مصر، وأنه لذلك خفض ميزانية القوات المسلحة بخمسة ملايين جنيه لاعتقاده أن إسرائيل ليست خطرًا على مصر إلا لأن مصر ضعيفة اقتصاديًا واجتماعيًا.. بينما اعتمدت حكومة ما قبل الثورة ٥٤ مليون جنيه للتسلح» ص ٣٧٥.

(٤) هشام خضر (عبد الناصر وعلاقاته الخفية بالموساد والمخابرات الأمريكية) ص٥٢ العالمية للكتب والنشر بالقاهرة، ط٢ عام ٢٠٠٦م.

[٢] كيف نقض مجلس قيادة الثورة[1] العهد الذي التزم به عند بداية الاتفاق على الانقلاب العسكري؟

تتضح الإجابة على ذلك بشهادتين من الضباط المشاركين في الثورة، وهما كمال الدين حسين وحسين محمد أحمد حمودة.

قال الأوَّل ـ ضمن خطابه إلى عبد الحكيم عامر ـ: «وأنت لا يمكنك أن تنكر، ولا جمال عبد الناصر يمكنه أن ينكر اتجاهنا الديني الإسلامي والوطني منذ تعرفنا على بعضنا .. وأنت تعلم الظروف التي جمعتنا بجمال عبد الناصر، وتعلم أننا حلفنا على المصحف والمسدس في حجرة مظلمة في حي الصليبية مع المرحوم السندي، وأنا حين وجدت أن الانحراف سيجرف تياره الثورة، قلتُ: إنه لا عاصم لنا إلا الإسلام، وهذا كلام الله عَزَّ وَجَلَّ الذي قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣]»[2].

وقال ـ في موضع آخر من خطابه ـ: «وأنت تعلم كيف أقنعنا الضباط عام ١٩٥٤ بأننا نسير في طريق الإسلام،. وأنت تعلم أننا كنَّا كثيرًا ما تحدثنا ومعك بالذات عن الاشتراكية الإسلامية»[3].

وقال الثاني مخاطبًا عبد الناصر:

«إننا انضممنا للإخوان على أساس مبادئهم التي اقتنعنا بها، وهي أن يكون الحكم بكتاب الله تعالى وسنّة نبينا محمد ﷺ، فقال: اطمئن من هذه الناحية، فمادام

---

(١) وإحقاقًا للحق يجب التنويه بأن ثلاثة من أعضاء المجلس وهم البغدادي وحسن إبراهيم وكمال حسين وقفوا في وجه عبد الناصر وعارضوه، وكان جزاؤهم الاعتقالات، وفرض الحراسة على أقاربهم، وسحب السيارات والتليفونات منهم. المصدر سامي جوهر (الصامتون يتكلمون) ص ١١٣.

(٢) سامي جوهر (الصامتون يتكلمون) ص ٩٧، ٩٨ ط ٢ المكتب المصري الحديث عام ١٩٧٥م.

(٣) نفسه ص ٩٧، ٩٨.

زمام الأمور سيكون في أيدينا، فسوف نحكم بالقرآن إن وفَّقنا الله تعالى في الاستيلاء على السلطة في مصر»[١].

وقال أيضًا: «فقد أقسم جمال عبد الناصر معنا في ليلة من الليالي الأولى لعام ١٩٤٦ على المصحف والمسدس في حجرة مظلمة في حي الصليبية مع المرحوم السندي على فداء الدعوة الإسلامية والعمل في سبيلها، وكنا في هذه الليلة سبعة ضباط هم: عبد المنعم عبد الرؤف، وجمال عبد الناصر، وكمال الدين حسين، وخالد محي الدين، وسعد حسن توفيق، وحسين أحمد حمودة (كاتب هذه السطور)، وصلاح خليفة»[٢].

ونحن إذا احتكمنا بدورنا للقرآن الكريم، فإننا نجده يصف كلَّ من نقض العهد بقوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[التوبة:١٢]، وجاء في تفسير العلَّامة السعدي: «أي لا عهود، ولا مواثيق يلازمون على الوفاء بها، بل لا يزالون خائنين ناكثين للعهد لا يوثق بهم»[٣].

وكذلك حديث الرسول ﷺ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»[٤].

وقد أعلن كمال الدين حسين في خطابه إلى عبد الحكيم عامر تبرأه من التحول الذي حدث قائلًا: «وأنا لم أتبن أفكارًا جديدة - كما زعم جمال عبد الناصر في مارس عام ١٩٦٤ - ولكن الحقيقة أننا اختلفنا أيدولوجيًا. كما قال أيضًا: أنا أحاول

---

(١) حسن محمد أحمد محمود (أحد الضباط اللاحرار) أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون، ص ٧٥ الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٢) نفسه ص ١٥٠.

(٣) عبد الرحمن السعدي (تيسير الكريم الرحمن) ص ٣٠٩ مكتبة الصفا بميدان الأزهر عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٤) صححه الألباني، الجامع الصغير، جـ٢ ص ١٢٠٥، ط المكتب الإسلامي - بيروت / دمشق ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

أن نرجع إلى الأصل الذي بدأنا منه، وأنتم تغريكم مظاهر جديدة وأفكار جديدة وأيدولوجيات جديدة.. أنتم أحرار، وأنا حرٌّ أيضًا»[1].

وأحتكم في ذلك إلى الله فقال: «وإن ما بيني وبينكم آحتكم فيه إلى الله وإلى الرسول ﷺ»، أما عن أفكاره هو فإنه يصفها بأنها ليست جديدة، ثم يستطرد قائلًا: «ولكن الانحراف هو الذي أصاب نفوسنا .. وإجراءاتنا عندما نسينا الله الذي نصرنا في كل خطوات نجاحنا في ثورة ٢٣ يوليو وفي حرب السويس.. الله الذي نصرنا وليس الصاروخ الروسي»[2]، وحشد الآيات القرآنية التي تحضُّ على الحكم بما أنزل الله، ثم ختمها بقوله: «وآيات كثيرة في هذا المعنى أن نرجع أمورنا والحكم فيها إلى الله ورسوله ﷺ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾»، ويدور مجمل خطاب كمال الدين حسين على أمر انزعاجه الشديد من نقض العهد، ويُلاحظ فيه الاستشهاد بغزارة بالآيات القرآنية كأدلة على سلامة معتقداته وصحة موقفه المبني على أمرين:

الأمر الأول - اعتراضه على انفراد جمال عبد الناصر بالسلطة المطلقة في شكل القوانين التي أصدرها بما في ذلك الدستور الذي (منحه) للشعب[3].

الأمر الثاني - اعتراضه عى اندفاع البلاد إلى هوية الشيوعية[4].

واتضح ذلك بجلاء عندما ناقش عبد الناصر وجهًا لوجه حيث سأله عبد الناصر في تهكم: «أيهما تفضل يا أبو كمال .. عبّود وإلا ستالين رئيس روسيا – وكان يعني بذلك الرأسمالية ويرمز لها بعبود باشا، أحد أصحاب الملايين قبل قيام الثورة،

(١) سامي جوهر (الصامتون يتكلمون) ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) نفسه ص ٩٨.

(٣) نفسه ص، وقد شاركه الرأي الدكتور رشوان فهمي بجامعة الإسكندرية.٩٧.

(٤) نفسه ص ٧٣،إذ قال لأعضاء النقابات المهنية في ٢٤/ ٩/ ١٩٦٢: «أن السلطات التي في يد عبد الناصر كحاكم لم تجمع في يد حاكم قبله، وليس من السهل على الحاكم أن يتنازل عن سلطاته للشعب.. وعلى الشعب حماية مكاسب الثورة»، ص ١٨٣.

والنظام الشيوعي رامزًا لستالين - فردّ عليه كمال حسين بذكاء: «كأنك تسألني أيهما أفضل الشيطان، أم إبليس، فكلاهما لا شك مُر.. علينا أن نطبق ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ عن الاشتراكية»[1].

ومن دلالات تمسكه بمبادئه حتى لو أدت إلى اعتقاله أنه وجّه رسالة إلى عبد الناصر، ونسخه منها إلى إلى عبد الحكيم عامر[2]. بداها بقوله: «اتق الله»، وأتبعها بالشرح الآتي:

«أراد الله تعالى بها الرسول ﷺ والمؤمنين، وأمر بها الرسول ﷺ أصحابه المؤمنين، وقالها المسلمون للخلفاء والأئمة والولاة ولبعضهم البعض: اتق الله.. قالتها تلك الأمة التي أعزها الله تعالى بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

وسلامي على من اتبع الهدى إمضاء كمال الدين حسين ١٢/ ١٠/ ١٩٦٩»[3].

إن هذا الموقف الإيماني الراسخ لكمال الدين حسين يدل على فهمه العميق لدلالة تطبيق الشيوعية (باسم الاشتراكية في الظاهر) على شعب مصر، وامتدادها إلى شعوب الأمة العربية والإسلامية؛ لأن النموذج الاشتراكي لن يقتصر على النظامين الاقتصادي والسياسي فحسب - كما اتضح فيما بعد - بل سيمتد أثره لهدم كيان الأمة الإسلامية وعرقلة تقدمها الحضاري الذي ينبغي انبعاثه من تراثها وقيمها الأصلية المتوارثة منذ عصر النبي ﷺ. يقول الدكتور غازي التوبة: «سار النموذج الاشتراكي في البلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية في الستينيات من القرن الماضي، وكانت مصر أول بلد عربي دعا إلى الاشتراكية، ثم انتقلت دعوتها

---

(١) نفسه ص ٧٤، وقد تنبّه إلى أن الميثاق الوطني كان تأصيلاً للاشتراكية الوافدة من الروس وهمّش الإسلام بوصفه «قيمًا روحية»! وذلك ذرًا للعيون وخداعًا للجماهير المسلمة!

(٢) سنعلل فيما بعد سبب تخصيص الاثنين معًا بالرسالة دون غيرهما.

(٣) نفسه ص ٦٦، ٦٨.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧م»[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١، المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧م»[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء أ.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١، المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧م[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء أ.ح جمال حماد بكتابه الفريد (الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١ المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧»[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١ لـ المكتب الإسلامي، بيروت، عمان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧م[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١، المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧»[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١ المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧»[(١)].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء أ.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١، المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧م[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١ المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧م[(١)].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمهما السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١ المكتب الإسلامي، بيروت، عمان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧م[١].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء أ.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١ المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧م"[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء أ.ح جمال حماد بكتابه الفريد (الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١، المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧م»[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء أ.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١ المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧»[(١)].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمهما السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١ المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧م[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٠١، المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧»[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١، المكتب الإسلامي، بيروت، عمان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧»[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١ المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧»[١].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١ المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧»[1].

وفي النهاية، بقى دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١، المكتب الإسلامي، بيروت، عمان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧»[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١ المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧»[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء أ.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١ المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧م"[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء أ.ح جمال حماد بكتابه الفريد (**الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر**).

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١، المكتب الإسلامي، بيروت، عمان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الاشتراكية إلى معظم الدول العربية، فسادت النظم الاشتراكية في سورية والعراق والجزائر وليبيا والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي، وقد ترافقت مع الدعوة الاشتراكية موجة معادية للدين الإسلامي، لذلك اعتبرت الدول التي طبقت الاشتراكية أن الدين الإسلامي هو سبب التخلُّف؛ لأنه يرشح العقلية الخرافية، وعملت على استئصاله من حياة الناس، وحاربت أتباعه ودعاته، واعتبرتهم رجعيين ومتخلِّفين، وذلك لأن المادة أساس الكون، واعتبرت أن الإيمان بكل أمور الغيب أوهام وليس لها أساس علمي، لذلك عاشت المجتمعات العربية في الستينيات محنة كبيرة، وتزعزعت القيم والمثل زعزعة لم تعرفها في أية مرحلة من تاريخها، وأحدثت هذه المحنة اضطرابًا في كل مكوِّنات الأمة: الفرد، المجتمع، البناء النفسي البناء العقلي.. إلخ.

كما أحدثت تأخرًا في الاقتصاد العربي، وتخلفًا في المستوى العلمي والتكنولوجي والتربوي .. إلخ.

ولكن هذه المحنة انتهت وخفت صوت الاشتراكية بسبب الهزيمة التي لحقت بالأمة عام ١٩٦٧م[1].

وفي النهاية، بقي دورنا في تعليل حرص كمال الدين حسين على إرسال خطابه الذي بدأه بقوله «اتق الله» إلى كلٍّ من عبد الناصر وعبد الحكيم دون غيرهما من أعضاء مجلس الثورة، ذلك لأنه كان يراقب عن كثب ما حدث من تقاسمها السلطة الذي انتهى إلى صراع مروِّع أدَّى إلى خراب البلاد وضياعها .. ونكتفي بانتقاء واقعتين من كتاب المؤرخ العسكري اللواء ا.ح جمال حماد بكتابه الفريد **(الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر)**.

---

(١) د/ غازي التوبة، لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟ قراءة في عوامل صنعت الأمة، ص ١٤١، المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.